

كتاب
الاعجاز

لأبي الفرج الأصفهاني

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكرة عباس

دار طائر
بيروت

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد السابع

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

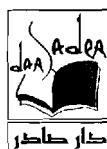
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com


KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[99] - أخبار الوليد بن يزيد ونسبه¹

[نسبه]

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحَكَم بن أبي العاصي بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف ، وَيُكْنَى أبا العَبَّاس . وأُمُّهُ أُمُّ الحَجَّاج بنت محمد بن يوسف بن الحَكَم بن أبي عَقِيل التَّقْفِي ، وهي بنت أخي الحَجَّاج . وفيه يقول أبو نُخَيْلَة² : [من الرجز]
 بين أبي العاصي وبين الحَجَّاج يا لَكُمَا نُورًا سَرَّاجٌ وَهَّاجٌ
 عليه بعد عَمِّه عُقْد التَّاج

وأُمُّ يَزِيدَ بن عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حَرْب بن أُمَيَّة .
 وأُمُّهَا أُمُّ كَلْثُوم بنت عبد الله بن عامر . وأُمُّ عبد الله بن  أُمُّ حَكِيم البَيْضَاء بنت عبد
 المطلب بن هاشم ؛ ولذلك قال الوليد بن يزيد³ :

نَبِيُّ الهُدَى خَالِي وَمَنْ يَكُ خَالَهُ نَبِيُّ الهُدَى يَقْهَرُ بِهِ مَنْ يُفَاخِرُ

[كان شاعراً خليعاً مرمياً بالزندقة]

وكان الوليد بن يزيد من فتيان بني أُمَيَّة وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم ،
 وكان فاسقاً خليعاً متهماً في دينه مرمياً بالزندقة ؛ وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره
 الناس فقتل . وله أشعار كثيرة تدلّ على خبثه وكفره . ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره ،
 ويقول : إِنَّهُ نُجِلَهُ وَأُلْصِقَ إِلَيْهِ . والأغلب الأشهر غير ذلك .
 [ولاية العهد بعد هشام]

أخبرني الحسن بن عليٍّ وأحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائني عن إسحاق بن أيوب
 القُرَشِيَّ وجُوَيْرِيَّة بن أسماء وعامر بن الأسود والمنهال بن عبد الملك وأبي عمرو بن المبارك
 وسُحَيْم بن حَفْص وغيرهم : أن يزيد بن عبد الملك لما وجّه الجيوش إلى يزيد بن المهلب

1 ترجمة الوليد بن يزيد في المصادر التاريخية التي تناول فترة الدولة الأموية : تاريخ الطبري (7) :
 209-262 ، والكمال لابن الأثير (5 : 287-298) ، والمسعودي (مروج الذهب : 2236-2253) ،
 والتنبيه والإشراف (325-333) ، ونهاية الأرب (21 : 473-487) . وقد جمع شعره غابري ، دار
 الكتاب الجديد ؛ وأيضاً جمع د . واضح الصمد ، طبعة دار صادر ، بيروت ، ومنه نشير .

2 سترجم أبو الفرج لأبي نخيلة فيما بعد .

3 ديوان الوليد : ص 47 ، رقم 45 .

وعقدَ مَسْلَمَةَ بن عبد الملك على الجيش وبعث العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقدَ له على أهل دِمَشْق ، قال له العباس : يا أمير المؤمنين ، إنَّ أهل العراق أهلُ غَدْرٍ وإِرْجَافٍ ، وقد وجهتُنا محاربين والأحداثُ تحدثُ ، ولا آمَنُ أن يُرْجِفَ أهلُ العراق ويقولوا : مات أمير المؤمنين ولم يعهد ، فَيَقُتْ ذلك في أعضاء أهل الشام ؛ فلو عهدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد ! قال : غداً . وبلغ ذلك مَسْلَمَةَ بن عبد الملك ، فأبى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ، أئِماً أحبُّ إليك : ولدُ عبد الملك أو ولد الوليد ؟ فقال : بل ولدُ عبد الملك . قال : فأخوك أحقُّ بالخلافة أم ابنُ أخيك ؟ قال : إذا لم تكن في ولدي فأخي أحقُّ بها من ابن أخي . قال : فابنُك لم يُلْغ ، فبايعَ هشام ثم لابنك بعد هشام ، قال : والوليدُ يومئذ ابن إحدى عشرة سنة ، قال : غداً أبايعُ له . فلما أصبح فعل ذلك وبايعَ هشام ، وأخذ العهدَ عليه ألاَّ يَخْلَعَ الوليدَ بعده ولا يغيِّرَ عهده ولا يَحْتالَ عليه . فلما أدرك الوليدُ ندم أبوه ، فكان ينظر إليه ويقول : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك . وتوفي يزيد سنة خمسٍ ومائةٍ وابنه الوليد ابنُ خمسٍ عشرة سنة . قالوا : فلم يزل الوليد مكرماً عند هشام رفيع المنزلة مدّة ، ثم طمع في خَلْعِهِ وعقدَ العهدَ بعده لابنه مَسْلَمَةَ بن هشام ، فجعل يذكر الوليدَ بن يزيد وتهتكه وإدمانه على الشراب ، ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به ، ولأه الحِجَّ ليظهرَ ذلك منه بالحرمين فيسقطُ ؛ فحجَّ وظهر منه فعلٌ كثير مذموم ، وتشاغل بالمغنين وبالشراب ، وأمر مولاً له فحجَّ بالناس . فلما حجَّ طالبه هشامُ بأن يخلع نفسه فأبى ذلك ؛ فحرره العطاء وحرّم سائرَ مَوالِيهِ وأسبابه وجفاه جفاءً شديداً . فخرج مُتَبَدِّلاً وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبه ، وكان يُرمَى بالزندقة . ودعا هشامُ الناسَ إلى خلعه والبيعةِ لمَسْلَمَةَ بن هشام ، وأمه أمّ حكيم بنت يحيى بن الحَكَم بن أبي العاصي . وكان مَسْلَمَةُ يُكنى أبا شاكر ؛ كُنِيَ بذلك لمولَى كان لمروان يُكنى أبا شاكر ، كان ذا رأيٍ وفضلٍ وكانوا يعظمونه ويتبركون به ، فأجابه إلى خَلْعِ الوليد والبيعة لمَسْلَمَةَ بن هشام ومحمد وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل المخزومي والوليد وعبد العزيز وخالد بن القَعْقَاع بن خُوَيْلِد العَبْسِي وغيرهم من خاصّة هشام . وكتب إلى الوليد : ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيتَه واركتبته غير مُتَحاشٍ ولا مستترٍ ، فليت شعري ما دينُك ؟ أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ فكتب إليه الوليد بن يزيد ، ويقال : بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونَحَلَهُ إِيَّاه :

[من السريع]

صوت


يا أيُّها السائلُ عن ديننا نحن على دين أبي شاكِرٍ
نشرُّبُها صِرْفاً وممَّزوجةً بالسُّخْنِ أحياناً وبالْفَاتِرِ

غناه عمرُ الوادي رَمَلاً بالبِصَرِ ، فغضب هشام على ابنه مسلمة ، وقال : يعيِّرني بك الوليدُ وأنا
أرشدُك للخِلافة ! فالزَمَ الأدبَ ، وأحضِرَ الصلوات . وولاه المَوْسَمَ سنةَ سبعِ عشرةَ ومائةَ ،
فأظهر النُّسكَ وقَسَمَ بمكَّةَ والمدينةِ أموالاً . فقال رجل من موالي أهل المدينة : [من السريع]

يا أيُّها السائلُ عن ديننا نحن على دين أبي شاكِرٍ
الواهب البُزْلَ بأَرْسانِها ليس بزنديقٍ ولا كافِرٍ

قال المدائني : وبلغ خالدُ القسريُّ ما عزمَ عليه هشام ، فقال : أنا بريء من خليفة يُكنَّى
أبا شاكِرٍ ؛ فبلغتْ هشاماً عنه هذه ، فكان ذلك سببَ إيقاعه به .

[تساب هو والعباس بن الوليد في مجلس هشام]

أخبرني محمد بن الحسن الكِنْدِيُّ المؤدَّب قال حدَّثني أبي عن العباس بن هشام قال : دخل
الوليد بن يزيد يوماً مجلسَ هشام بن عبد الملك وقد كان في ذِكْرِهِ قبل أن يدخل ، فحمَّقه من
حضر من بني أُمِّية . فلما جلس قال له العباس بن الوليد وعمر بن الوليد : كيف حُبُّك يا وليد
للرومِياتِ ، فإنَّ أباك كان بهنَّ مشغوفاً ؟ قال : إني لأُحِبُّهِنَّ ؛ وكيف لا أُحِبُّهِنَّ ولن تزال
الواحدةُ منهن قد جاءت بالهَجِينِ مثلك ، وكانت أُمُّ العباس روميَّةً ، قال : اسكتْ 
الفحلُ يأتي عَسْبُهُ بمثلي ؛ فقال له الوليد : اسكتْ يا ابنَ البُظْراءِ ! قال : أتفخر عليّ بما قطع
من بَظَرِ أُمِّك . وأقبل هشام على الوليد فقال له : ما شرَّأُك ؟ قال : شرَّأُك يا أمير المؤمنين ؛
وقام مغضباً فخرج . فقال هشام : أهذا الذي تزعمون أنَّه أحقُّ ! ما هو أحقُّ ، ولكني لا أظنُّه
على المِلَّةِ .

[عبته بوجه بني أُمِّية في مجلس هشام]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديُّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائنيِّ قال : دخل
الوليد بن يزيد مجلسَ هشام بن عبد الملك وفيه سعيد بن هشام بن عبد الملك وأبو الزبير مولى
مَرْوان وليس هشام حاضراً ؛ فجلس الوليدُ مجلسَ هشامٍ ، ثم أقبل على سعيد بن هشام فقال له :
من أنت ؟ وهو به عارف ؛ قال : سعيد ابن أمير المؤمنين ؛ قال : مرحباً بك . ثم نظر إلى أبي الزبير
فقال : من أنت ؟ قال : أبو الزبير مولاك أيها الأمير ؛ قال : أُنسَطَّاسُ أنت ؟ مرحباً بك . ثم قال
لإبراهيم بن هشام : من أنت ؟ قال : إبراهيم بن هشام . قال : مَنْ إبراهيم بن هشام ؟ وهو

يعرفه ؛ قال : إبراهيم بن هشام بن إسماعيل . قال : مَنْ إسماعيل ؟ وهو يعرفه ؛ قال : إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة . قال : مَنْ الوليد بن المغيرة ؟ قال : الذي لم يكن جدُّك يُرى أنه في شيء حتى زوجه أبي وهو بعضُ ولدِ ابنته . قال : يا ابن اللِّخَاء ! أتقول هذا ! واتخذنا¹ . وأقبل هشامٌ ؛ فقبل لهما : قد جاء أمير المؤمنين ، فجلسا وكفَّا . ودخل هشامٌ ؛ فما كاد الوليد يتحنَّى له عن صدر مجلسه ، إلَّا أنه زحل له قليلاً ؛ فجلس هشام وقال له : كيف أنت يا وليد ؟ قال : صالحٌ . قال : ما فعلت برابطك ؟ قال : مُعملةٌ أو مُستعملة . قال : فما نعل ندمائك ؟ قال : صالحون ، ولعنهم الله إن كانوا شرّاً ممّن حضرك ؛ وقام ؛ فقال له هشام : يا ابن اللِّخَاء ! جئوا عنقه ؛ فلم يفعلوا ودفعوه رؤيئداً . فقال الوليد² :

[من الطويل]

أنا ابنُ أبي العاصي وعثمانُ والدي ومروانُ جدِّي ذو الفَعَالِ وعامرُ
أنا ابنُ عظيمِ القريتين وعِزُّها ثَقِيفٌ وفَهْرٌ والعَصاةُ الأكابرُ³
نبيُّ الهدى خالي ومن يكُ خالُه نبيُّ الهدى يَقْهَرُ به من يُفَاخرُ

[رثاء مسلمة بن عبد الملك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : كان هشام بن عبد الملك يُكثِّرُ تَنَقُّصَ الوليد بن يزيد ؛ فكان مسلمة يعاتب هشاماً ويكفّه ؛ فمات مسلمة ؛ فغمَّ الوليدُ ورثاه فقال⁴ :

[من المتقارب]

صوت

أنا بريدانٍ من واسطٍ يَخْبَانُ بالكُتُبِ المَعْجَمَ
أقولُ وما البعدُ إلَّا الرَّدَى أَمْسَلُمُ لا تَبْعَدَنَّ مَسْلَمَةَ
فقد كنتُ نوراً لنا في البلاد تُضِيءُ فقد أصبحتُ مُظْلِمَةً
كَمَنَّا نَعْيَكُ نَخْشَى اليَقِينَ فجلَّى اليَقِينُ عن الجَمْعَمَةِ
وكم من يَتِيمٍ تلافيتَه بأَرْضِ العَدُوِّ وكم أَيْمَةٍ
وكنتَ إذا الحربُ دَرَّتْ دَمًا نصَّبَتْ لها رايةً مُعَلِّمَةً

غنى في هذه الأبيات التي أولها :

1 اتخذنا : تصارعا .

2 ديوان الوليد : ص 46 ، رقم 45 .

3 القرينان : مكة والطائف .

4 ديوان الوليد : ص 78 ، رقم 87 .

أقول وما البعد إلا الردى

يونسٌ خفيف ثقیل بالوسطى عن عمرو . وذكر الهشامي أن فيه ثقیلاً أولٌ يُنسب إلى أبي كامل وعمر الوادي . وذكر حبش أن ليونس فيه رَمَلاً بالبَصر .
 أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ مُضَرَّسٍ بْنُ مَنْظُورٍ بْنُ زَبَّانٍ بْنُ سَيَّارٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : رَأَيْتُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَنَا فِي عَسْكَرِهِ يَوْمَ تُوفِّيَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهِشَامٌ فِي شَرْطَتِهِ ، إِذْ طَلَعَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ نَشْوَانٌ يَجُرُّ مِطْرَفَ خَزٍّ عَلَيْهِ ؛ فَوَقَفَ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ عُقِبْتِي مِنْ بَقِي لِحُقُوقٍ مِنْ مَضَى ؛ وَقَدْ أَقْفَرَ بَعْدَ مَسْلَمَةَ الصَّبِيدُ لِمَنْ يَرَى ، وَاحْتَلَّ الثَّغْرُ فَوْهَى ، وَعَلَى أَثَرٍ مَنْ سَلَفَ يَمْضِي مِنْ خَلْفٍ ؛ فَتَزَوَّدُوا ، فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى . فَأَعْرَضَ عَنْهُ هِشَامٌ وَلَمْ يَرُدَّ¹ جَوَاباً ؛ وَوَجَمَ النَّاسُ فَمَا هَمَسَ أَحَدٌ بِشَيْءٍ . قَالَ : فَمَضَى الْوَلِيدُ وَهُوَ يَقُولُ² : [من الوافر]

أَهْنِمَةٌ حَدِيثُ الْقَوْمِ أَمْ هُمْ	سُكُوتٌ بَعْدَ مَا مَتَعَ النَّهَارُ ³
عَزِيزٌ كَانَ بَيْنَهُمْ نَبِيًّا	فَقَوْلُ الْقَوْمِ وَحْيٌ لَا يُحَارُ
كَأَنَّا بَعْدَ مَسْلَمَةَ الْمُرَجَّى	شُرُوبٌ طَوَّحَتْ بِهِمْ عُقَارُ
أَوْ آلَافٌ هِجَانٌ فِي قِيودِ	تَلَفَتْ كُلَّمَا حَنَّتْ ظُؤَارُ ⁴
فَلَيْتَكَ لَمْ تَمُتْ وَفَدَاكَ قَوْمٌ	تُرِيحُ غَبِيهِمْ عَنَّا الدَّيَارُ
سَقِيمُ الصَّدْرِ أَوْ شَكِسٌ نَكِيدٌ	وَأَخَرُ لَا يَزُورُ وَلَا يُزَارُ

يَعْنِي بِالسَّقِيمِ الصَّدْرَ يَزِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَيَعْنِي بِالشَّكِسِ هِشَاماً ، وَالَّذِي لَا يَزُورُ وَلَا يُزَارُ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ .

[هشام يحاول خلعه من ولاية العهد]

قال الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَرَادَ هِشَامُ أَنْ يَخْلَعَ الْوَلِيدَ وَيَجْعَلَ الْعَهْدَ لَوْلَدِهِ ؛ فَقَالَ الْوَلِيدُ⁵ :

[من الطويل]

كَفَرْتَ يَدًا مِنْ مُنْعِمٍ لَوْ شَكَرْتَهَا جَزَاكَ بِهَا الرَّحْمَنُ ذُو الْفَضْلِ وَالْمَنِّ

1 ل : بحر .

2 ديوان الوليد : ص 44 ، رقم 43 .

3 الهينة : الكلام الخفي غير المفهوم . ومتع النهار : طال وامتد .

4 ظؤار : جمع ظفر وهي الناقة التي تعطف على غير ولدها .

5 ديوان الوليد : ص 85 ، رقم 98 بترتيب مختلف .

رَأَيْتُكَ تَبْنِي جَاهِداً فِي قَطِيعَتِي وَلَوْ كُنْتَ ذَا حَزْمٍ لَهْدَمْتَ مَا تَبْنِي
أُرَاكَ عَلَى الْبَاقِينَ تَجْنِي ضَغِينَةً فَيَا وَيَحْهُمْ إِنْ مُتَّ مِنْ شَرٍّ مَا تَجْنِي¹
كَأَنِّي بِهِمْ يَوْماً وَأَكْثَرُ قَوْلِهِمْ أَيَا لَيْتَ أَنَا ، حِينَ ، يَا لَيْتَ ، لَا تُغْنِي²

[أمر هشام بطرد عبد الصمد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المذائنيّ قال : عتب هشام على الوليد وخاصته . فخرج الوليد ومعه قوم من خاصته ومواليه فنزل بالأبرق بين أرض بلقين وفرارة على ماء يقال له الأغدف ، وخلف بالرصافة كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك ليكاتبه بما يحدث ، وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى . فشرّبوا يوماً ، فقال له الوليد : يا أبا وهب ، قل أبياتاً تُغنيّ فيها ؛ فقال أبياتاً ، وأمر عمر الوادي فغنى فيها وهي : [من المتقارب]

صوت

أَلَمْ تَرَ لِلنَّجْمِ إِذْ سَبَّعَا يُبَادِرُ فِي بُرْجِهِ الْمَرْجَعَا
تَحْيِرَ عَنْ قَصْدٍ مَجْرَاتِهِ إِلَى الْغَوْرِ وَالتَّمَسِ الْمَطْلَعَا
فَقُلْتُ وَأَعْجِبَنِي شَأْنُهُ وَقَدْ لَاحَ إِذْ لَاحَ لِي مُطْمِعَا
لَعَلَّ الْوَلِيدَ دَنَا مُلْكُهُ فَأَمْسَى إِلَيْهِ قَدْ اسْتَجْمَعَا
وَكُنَّا نَوْمُلُ فِي مُلْكِهِ كَتَامِيلِ ذِي الْجَدْبِ أَنْ يُمْرِعَا
عَقَدْنَا لَهُ مُحْكَمَاتِ الْأُمُو رِ طَوْعاً وَكَانَ لَهَا مَوْضِعَا

فروى هذا الشعر ، وبلغ هشاماً ، ففقطع عن الوليد ما كان يُجري عليه وعلى أصحابه وحرّمهم ؛ وكتب إلى الوليد : قد بلغني أنك اتخذت عبد الصمد خيلاً ومحدثاً ونديماً ؛ وقد حقّق ذلك ما بلغني عنك ، ولن أبرّك من سوء ؛ فأخرج عبد الصمد مذموماً . قال : فأخرجه الوليد وقال³ :

لَقَدْ قَذَفُوا أَبَا وَهْبٍ بِأَمْرِ كَبِيرٍ بَلْ يَزِيدُ عَلَى الْكَبِيرِ
وَأَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَذَبُوا عَلَيْهِ شَهَادَةَ عَالِمٍ بِهِمْ خَبِيرِ

فكتب الوليد إلى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد ، واعتذر إليه من منادمته ، وسأله أن

1 الشطر الأول في الديوان : تثير على الباقيين مجنى ضغينة .

2 الشطر الثاني في الديوان : ألا ليتنا والليت إذ ذاك لا يغني .

3 ديوان الوليد : ص 47 ، رقم 46 .

يَأْذَن لَابِن سُهَيْلٍ فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ مِنْ خَاصَّةِ الْوَلِيدِ ، فَضْرَبَ هِشَامُ ابْنَ سُهَيْلٍ وَنَفَاهُ وَسَيَّرَهُ . وَكَانَ ابْنُ سُهَيْلٍ مِنْ أَهْلِ النَّبَاهَةِ ، وَقَدْ وَلِيَ الْوَلَايَاتِ ، وَلِي دِمَشْقَ مَرَاراً وَوَلِيَ غَيْرَهَا ، وَأَخَذَ عِيَاضَ بْنَ مُسْلِمٍ كَاتِبَ الْوَلِيدِ فَضْرَبَهُ ضَرْباً مَبْرَحاً وَأَلْبَسَهُ الْمُسُوحَ وَقَيَّدَهُ وَحَبَسَهُ ، فَغَمَّ ذَلِكَ الْوَلِيدَ فَقَالَ : مَنْ يَثِقُ بِالنَّاسِ ؟ وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ ؟ هَذَا الْأَحُولُ الْمَشْهُومُ قَدَّمَهُ أَبِي عَلَى وَلَدِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَوَلَّاهُ وَهُوَ يَصْنَعُ بِي مَا تَرَوْنَ ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ لِي فِي أَحَدٍ هَوًى إِلَّا أَضْرَبَهُ ؛ كَتَبَ إِلَيَّ بَأْنَ أَخْرَجَ عَبْدَ الصَّمَدِ فَأَخْرَجْتُهُ ، وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَأْذَنَ لَابِن سُهَيْلٍ فِي الْخُرُوجِ إِلَيَّ فَضْرَبَهُ وَطَرَدَهُ وَقَدْ عَلِمَ رَأْيِي فِيهِ ؛ وَعَرَفَ مَكَانَ عِيَاضٍ مَنِّي وَانْقِطَاعَهُ إِلَيَّ فَضْرَبَهُ وَحَبَسَهُ ، يُضَارُّنِي بِذَلِكَ ؛ اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْهُ . ثُمَّ قَالَ الْوَلِيدُ¹ : [من البسيط]

صوت

أَنَا النَّذِيرُ لِمُسَدِّي نَعْمَةٍ أَبَدًا إِلَى الْمَقَارِيفِ لَمَّا يَخْبُرِ الدَّخْلَ²
إِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَهُمُ الْفَيْتَهُمُ بَطَرُوا وَإِنْ أَهْتَنَّهُمُ الْفَيْتَهُمُ ذُلًّا
أَتَشْمَخُونَ وَمِنَّا رَأْسُ نَعْمَتِكُمْ سَتَعْلَمُونَ إِذَا أَبْصَرْتُمُ الدُّوْلَا
انْظُرْ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مَثَلِي لَهُمْ سِوَى الْكَلْبِ فَاضْرِبْهُ لَهُمْ مَثَلًا
بَيْنَا يَسْمُنُهُ لِلصَّيْدِ صَاحِبُهُ حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى مِنْ بَعْدِ مَا هَزَلَا
عَدَا عَلَيْهِ فَلَمْ تَضُرَّهُ عَدُوَّتُهُ وَلَوْ أَطَاقَ لَهُ أَكْلًا لَقَدْ أَكَلَا

غَنَاهُ مَالِكٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مِنْ رِوَايَةِ الْهَشَامِيِّ :

[فخره على هشام]

قَالَ : وَقَالَ الْوَلِيدُ أَيْضًا يَفْتَخِرُ عَلَى هِشَامٍ³ :

صوت

أَنَا الْوَلِيدُ أَبُو الْعَبَّاسِ قَدْ عَلِمْتُ عَلِيًّا مَعَدُّ مَدَى كَرِّي وَإِقْدَامِي
إِنِّي لَفِي الذُّرُورَةِ الْعُلْيَا إِذَا انْتَسَبُوا مُقَابِلٌ بَيْنَ أَحْوَالِي وَأَعْمَامِي
بَنَى لِي الْمَجْدَ بَانٍ لَمْ يَكُنْ وَكِلاَّ عَلَى مَنَارٍ مُضِيئَاتٍ وَأَعْلَامِ
حَلَلْتُ مِنْ جَوْهَرِ الْأَعْيَاصِ قَدْ عَلِمُوا فِي بَاذِخٍ مَشْمَخُرٍ الْعَزَّ قَمَقَامِ

1 ديوان الوليد : ص 66 ، رقم 70 .

2 المقاريف : الأندال . لما في الديوان : ما لم .

3 ديوان الوليد : ص 81 ، رقم 92 عن الأغاني .

صَعَبِ المَرَامِ يُسامي النَّجْمَ مَطْلَعُهُ يسمو إلى فرع طودٍ شامخ سامي
غناه عمرُ الوادي خفيفَ ثَقِيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

وأخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنَا أحمد بن زُهَيْر بن حرب قال حَدَّثَنِي مصْعَبُ
الرُّبَيْرِيُّ قال : بعث الوليد بن يزيد إلى هشام بن عبد الملك راويته فأنشده قوله : [من البسيط]

أنا الوليد أبو العباس قد عَلِمْتُ عُلِيًّا مَعْدًى مَدَى كَرِّي وإقدامي

فقال هشام : والله ما عَلِمْتُ له مَعْدًى كَرًّا ولا إقداماً ، إلا أَنَّهُ شَرِبَ مرّةً مع عمّه بَكَارٍ بن
عبد الملك فَعَرَبَدَ عليه وعلى جواريه ؛ فَإِنْ كَانَ يَعْنِي ذلك بكَرّه وإقدامه فعسى .

[عابه هشام والزهرى فحقد عليهما]

أخبرني الحسن بن عَلِيٍّ قال حَدَّثَنَا ابن مَهْرُويه قال حَدَّثَنِي عبد الله بن عمرو بن أبي سعد
قال حَدَّثْتُ أَنَّ أبا الزُّنَاد قال : دخلتُ على هشام بن عبد الملك وعنده الزُّهْرِيُّ وهما يَعْيانِ
الوليدَ ، فأعرضتُ ولم أدخل في شيء من ذكره . فلم أَلْبَثُ أَنْ اسْتُودِنَ للوليد فَأَذِنَ له ، فدخل
وهو مُغْضَبٌ فجلس قليلاً ثم نهض . فلما مات هشام وولي الوليدُ كتب إلى المدينة فحُمِلَتْ
فدخلتُ عليه ؛ فقال : أتذكر قولَ الأحوال والزهرى ؟ قلتُ : نعم ، وما عَرَضْتُ في شيء من
أمرِك ؛ قال : صدقتُ ؛ أتدري من أبلغني ذلك ؟ قلتُ لا ؛ قال : الخادم الواقف على رأسه ،
وايم الله لو بَقِيَ الفاسقُ الزهرى لَقَتَلْتُهُ . ثم قال : ذهب هشام بعمرى ؛ فقلت : بل يُبْقِيكَ اللهُ
يا أمير المؤمنين ، وقام وصَلَّى العصر . ثم جلس يتحدث إلى المغرب ثم صَلَّى المغرب ودعا
بالعشاء فتعَشَّيتُ معه ثم جلس يتحدث حتى صَلَّى العَتَمَةَ ، ثم تحدَّثْنَا قليلاً ثم قال : اسقيني
فأتيناه بإناء مغطًى ، وجاء جَوَّارٌ فقمْنِ بيني وبينه فشرب وانصرفن ؛ ومكث قليلاً ثم قال :
اسقيني ففعلن مثلَ ذلك . وما زال والله ذلك دأبه حتى طلع الفجرُ ، فأحصيتُ له سبعين
قدحاً .

وأخبرني الحَرَمِيُّ بن أَبِي العَلَاء قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بن بَكَارٍ قال حَدَّثَنِي عَمِّي مصْعَبُ عن
أبي الزُّنَاد قال : أجمع الزُّهْرِيُّ على أَنْ يدخل إلى بلاد الروم إن ولي الوليدُ بن يزيد ؛ فمات
الزهرى قبل ذلك .

قال المدائنيّ : وبلغ الوليدُ أَنَّ العباس بن الوليد وغيره من بني مروان يَعِيبُونَهُ بالشَّرَابِ ؛
فلعنهم وقال : إِنَّهُمْ لَيَعِيبُونَ عَلِيًّا ما لو كانت لهم فيه لَذَّةٌ ما تركوه ، وقال هذا الشعر ، وأمر عمرُ
الوادي أَنْ يَغْنِيَ فيه ، وهو من جيّد شعره ومُختاره . وفيه غناء قديم ذكره يونس لعمر الوادي
غيرَ مجنّسٍ : [من الكامل]

صوت

ولقد قضيتُ وإن تجلَّلَ لِمَتِي شيب على رِغمِ العِدَا ، لذَاتِي¹
 من كاعباتِ كالدُّمَى وَمَنَاصِفِ ومراكبٍ للصيد والنَّشَوَاتِ²
 في فِتْيَةٍ تَأبَى الهَوَانَ وجوهُهُمْ شَمَّ الأنوفِ ججاجِ ساداتِ
 إن يَطْلُبُوا بِتِرَاتِهِمْ يُعْطُوا بِهَا أو يُطْلَبُوا لا يُدْرِكُوا بترَاتِ

[بينه وبين هشام]

حدَّثني³ المِنْهَال بن عبد الملك قال : كتب الوليد إلى هشام : «قد بلغني ما أحدث أمير المؤمنين من قَطْع ما قَطَعَ عَنِّي وَمَخُو من محَا من أصحابي ، وَأَنَّهُ حَرَمَنِي وَأَهْلِي . ولم أكن أخاف أن يتلي الله أمير المؤمنين بذلك في ولا ينالني مثله منه ، ولم يبلغ استصحابي لأبن سهيل ومسألتي في أمره أن يجري عليّ ما جرى . وإن كان ابن سهيل على ما ذكره أمير المؤمنين ، فبحسب العير أن يقرب من الذئب . وعلى ذلك فقد عقد الله لي من العهد وكتب لي من العمر وسبب لي من الرزق ما لا يقدر أحد دونه تبارك وتعالى على قطعه عني دون مدته ولا صرفه عن مواقفه المحتومة له . فقدّر الله يجري على ما قدره فيما أحبّ الناسُ وكرهوا ، لا تعجيلَ لآجله ولا تأخيرَ لعاجله ؛ والناسُ بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقترفون الآثام على أنفسهم من الله بما يستوجبون العقوبة عليه . وأمير المؤمنين أحقُّ بالنظر في ذلك والحفظ له . والله يوفّق أمير المؤمنين لطاعته ، ويحسن القضاء له في الأمور بقدرته . وكتب إليه الوليد في آخر كتابه⁴ :

[من الطويل]

أليس عظيمًا أن أرى كلَّ وارِدٍ حياضَكَ يوماً صادراً بالنّوافلِ
 فأرجِعَ محمودَ الرّجاء مصرّداً بتحلّيةٍ عن وِرْدِ تلك المناهلِ
 فأصبحتُ مما كنتُ آملُ منكم وليس بلاقٍ ما رجا كلُّ آملِ
 كمُقْتَبَضٍ يوماً على غُرْضِ هَبْوةٍ يَشْدُ عليها كَفَّهُ بالأناملِ⁵

فكتب إليه هشام : «قد فهم أمير المؤمنين ما كتبتَ به من قَطْع ما قطع وغير ذلك . وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يُجري عليك ، ولا يتخوَّف على نفسه اقترافَ

1 ديوان الوليد : ص 24 ، رقم 14 .

2 الديوان : ونواصف (طبعة دار الكتاب الجديد) .

3 قارن نصّ الكنايين بما جاء في الطبريّ .

4 ديوان الوليد : ص 69 ، رقم 73 عن الأغاني .

5 الهبة : الغبرة .

المآثم في الذي أحدث من قطع ما قطع ومحو من محامٍ صحابتك ، لأمرين : أما أحدهما فإن أمير المؤمنين يعلم مواضعك التي كنت تصرف إليها ما يُجرّيه عليك . وأما الآخر فإثبات صحابتك وأرزاقهم دائرة عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البعوث عليهم وهم معك تجول بهم في سفهك . وأمير المؤمنين يرجو أن يكفر الله عنه ما سلف من إعطائه إياك باستئنافه قطعاً عنك . وأما ابن سهيل ، فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لما جعله الله لذلك أهلاً . وهل زاد ابن سهيل ، لله أبوك ، على أن كان زفاناً¹ مغنياً قد بلغ في السفه غايته ! وليس مع ذلك ابن سهيل بشرٌ ممن كنت تستصحبه في الأمور التي ينزّه أمير المؤمنين نفسه عنها مما كنت لعمري أهلاً للتوبيخ فيه . وأما ما ذكرت مما سببه الله لك ، فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له ، والله بالغ أمره . ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه إلا أنه لا يملك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضراً ولا نفعاً ، وإن الله وليّ ذلك منه وإنه لا بد له من مفارقتة ، وإن الله أرفأ بعباده وأرحم من أن يولي أمرهم غير من يرتضيه لهم منهم . وإن أمير المؤمنين مع حسن ظنه بربه لعل أحسن الرجاء لأن يوليّه بسبب ذلك لمن هو أهله في الرضا به لهم ؛ فإن بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبلغه ذكره أو يوازيه شكره إلا بعونٍ منه . ولئن كان قد قدر الله لأمر المؤمنين وفاة تعجيل ، فإن في الذي هو مفضّ وصائرٌ إليه من كرامة الله لخلفاً من الدنيا . ولعمري إن كتابك لأمر المؤمنين بما كتبت به لغير مُستنكر من سفهك وخمقك ، فأبقي على نفسك وقصر من غلوائها واربع على ظلمك² ؛ فإن الله سطواتٍ وغيراً يصيب بها من يشاء من عباده . وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور إليه وأرضاها له . وكب في أسفل الكتاب : [من الطويل]

إذا أنت ساحت الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال

والسلام .

[تبشيره بالخلافة بعد موت هشام]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز ؛ وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائني عن جويرية بن أسماء عن المنهال بن عبد الملك عن إسحاق بن أيوب كلّهم عن أبي الزبير المنذر بن عمرو ، قال : وكان كاتباً للوليد بن يزيد ، قال : أرسل إليّ الوليد صبيحة اليوم الذي أتمته فيه الخلافة فأتيتُه ؛ فقال لي : يا أبا الزبير ، ما

1 الزفان : الرقص .

2 المثل اربع على ظلمك ويروى «ارق على ظلمك» في مجمع الميادني 1 : 293 ، وفصل المقال : 456 ومستقصى

الزمخشري 1 : 142 .

أنت عليّ ليلة أطول من هذه الليلة ، عَرَضْتَنِي أُمُورٌ وَحَدَّثَتْ نَفْسِي فِيهَا بِأُمُورٍ ، وهذا الرجل قد أُولِعَ بِي ، فاركَبْ بنا تَنْتَفَسْ . فركب وسرت معه ، فسار ميلين ووقف على تلّ فجعل يشكو هشاماً ، إذ نظر إلى رَهْجٍ¹ قد أقبل ، قال عمر بن شَبَّة في حديثه ، وسمع قَعْقَعَةَ الْبَرِيد ، فتعوذ بالله من شرّ هشام ، وقال : إن هذا البريد قد أقبل بموتٍ وحيٍّ² أو بمُلك عاجل . فقلتُ : لا يسوءك الله أيها الأمير بل يسرك ويُقيك ، إذ بدا رجلان على البريد يُقبِلان ، أحدهما مولى لآل أبي سفيان بن حَرْب ؛ فلما قُربا رأيا الوليدَ فنزلا يَعدّوان حتى ذنّوا فسلّما عليه بالخلافة فوجم ، وجعلا يكرران عليه التسليم بالخلافة ؛ فقال : وَيَحْكُم ! ما الخبر ؟ أُمات هشام ؟ قالوا نعم ؛ قال : فمرحباً بكما ! ما معكما ؟ قالوا : كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن ؛ فقرأ الكتاب وانصرفنا . وسأل عن عِيَاض بن مُسْلِم كاتِبِهِ الذي كان هشام ضربه وحبسه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لم يزل محبوباً حتى نزل بهشام أمرُ الله ، فلما صار إلى حال لا تُرَجَى الحياةُ لثله معها ، أرسل عِيَاضٌ إلى الْخُزَّانِ : احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلن أحدٌ إلى شيء . وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئاً فَمُنِعَهُ ، فقال : أَرَأَا كُنَّا خُزَّاناً لِلْوَلِيدِ ؛ وقضى من ساعته . فخرج عِيَاضٌ من السجن ساعةً قَضَى هشامٌ ، فختم الأبواب والخزائن ؛ وأمر بهشام فأنزل عن فراشه ومنعهم أن يكفّنوه من الخزائن ، فكفّنه غالبٌ مولى هشام ، ولم يجدوا قُمُقْماً³ حتى استعاروه . وأمر الوليدُ بأخذ ابني هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، فأخذوا بعد أن عاذ إبراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك ؛ فقال الوليد : ما أراه إلا قد نجا ؛ فقال له يحيى بن عُرْوَة بن الزُّبَيْر وأخوه عبد الله : إن الله لم يجعل قبر أبيك معاذاً للظالمين ، فخذهُ برداً ما في يده من مال الله ؛ فقال : صدقت ، وأخذهما فبعث بهما إلى يوسف بن عمر ، وكتب إليه أن يَبْسُط عليهما العذابَ حتى يَتَلَفَا ففعل ذلك بهما وماتا جميعاً في العذاب بعد أن أقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى اقتضوا منه المظالم .

وقال عمر بن شَبَّة في خبره : إِنَّهُ لَمَّا نَعِيَ لَهُ هِشَامُ قَالَ : وَاللَّهِ لَا تَلْقَيْنَ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِسَكْرَةٍ قَبْلَ الظَّهْرِ ؛ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ⁴ :

[من الخفيف]

طاب يومي ولدَّ شربُ السُّلَافِهِ إذ أتاني نَعْيٌ من بالرُّصَافِهِ

1 رهج : غبار .

2 الوحي : السريع .

3 القمقم : وعاء من نحاس يسخن فيه الماء .

4 ديوان الوليد : ص 58 ، رقم 61 .

وَأَتَانَا الْبَرِيدُ يَنْعَى هَشَاماً وَأَتَانَا بِخَاتَمٍ لِلْخِلَافَةِ
فَاصْطَبَحْنَا مِنْ خَمْرٍ عَائَةً صِرْفاً وَلَكُونَا بِقَيْنَةٍ عَرَّافَةٍ
ثُمَّ حَلَفَ أَلَّا يَرِحَ مَوْضِعَهُ حَتَّى يُغْنَى فِي هَذَا الشَّعْرَ وَيَشْرَبَ عَلَيْهِ ؛ فَغْنَى لَهُ فِيهِ وَشَرِبَ
وَسَكَرَ ، ثُمَّ دَخَلَ فَبَوَّعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ .
قَالَ : وَسَمِعَ صَيَاحاً ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا مِنْ دَارِ هَشَامٍ يَكِيهِ بَنَاتُهُ ؛
فَقَالَ¹ :

إِنِّي سَمِعْتُ بَلِيلٍ وَرَأَى الْمُصَلَّى بَرْنَةً²
إِذَا بَنَاتُ هَشَامٍ يَنْدُبْنَ وَالْدَهْنَةَ
يَنْدُبْنَ قَرَمًا جَلِيلًا قَدْ كَانَ يَعْضُدُهَا³
أَنَا الْمَخْنُثُ حَقًّا إِنْ لَمْ أُتِيكُنَّهَا

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ فِي خَبَرِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ : وَشَرِبَ الْوَلِيدُ يَوْمًا ، فَلَمَّا طَابَت نَفْسُهُ تَذَكَّرَ
هَشَامًا ، فَقَالَ لِعَمْرِ الْوَادِي غَنِّي :

إِنِّي سَمِعْتُ بَلِيلٍ وَرَأَى الْمُصَلَّى بَرْنَةً

فَغَنَّا فِيهِ ، فَشَرِبَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَأَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ أَحَدٌ أَبَدًا لَأَقْتُلَنَّكَ . قَالَ :
فَمَا سَمِعَ مِنْهُ بَعْدَهَا وَلَا عُرِفَ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

طَابَ يَوْمِي وَلَدْتُ شَرْبُ السُّلَافَةِ إِذْ أَتَانَا نَعْيُ مَنْ فِي الرُّصَافَةِ
غَنَّا عَمْرُ الْوَادِي خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ .

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ قَالَ قَالَ حَكَمُ
الْوَادِي كُنَّا عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ وَهُوَ يَشْرَبُ ، إِذْ جَاءَنَا خَصِيٌّ فَشَقَّ جَبِيهَ وَعَزَّاهُ عَنْ عَمِّهِ هَشَامٍ
وَهَنَّا بِالْخِلَافَةِ وَفِي يَدِهِ قَضِيبٌ وَخَاتَمٌ وَطُومَارٌ⁴ ؛ فَأَمْسَكْنَا سَاعَةً وَنَظَرْنَا إِلَيْهِ بَعَيْنِ الْخِلَافَةِ ؛
فَقَالَ : غَنُونِي ، غَنِيَانِي : قَدْ طَابَ شَرْبُ السُّلَافَةِ . . . الْبَيْتَيْنِ ؛ فَلَمْ نَزَلْ نَغْنِيهِ بِهِمَا اللَّيْلَ كُلَّهُ .

1 ديوان الوليد : ص 84 ، رقم 96 .

2 صدر البيت الأول في الديوان : إِنِّي سَمِعْتُ خَلِيلِي (طبعة دار الكتاب الجديد) .

3 صدر البيت في الديوان : يَنْدُبْنَ شَيْخًا كَبِيرًا (طبعة دار الكتاب الجديد) .

4 طومار : صحيفة .

[سؤال الرشيد عنه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال : دخلت على الرشيد أمير المؤمنين فسألني عن الوليد بن يزيد فذهبت أترجح ، فقال : إن أمير المؤمنين لا يُنكر ما تقول فقل ؛ قلت : كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس . فقال : أتروي من شعره شيئاً ؟ قلت : نعم ، دخلت عليه مع عُمومتي وفي يده قضيب ولي جُمّة فينانة فجعل يُدخل القضيب في جُمّتي وجعل يقول : يا غلام ، ولدتك سُكّر (وهي أم ولد كانت لمروان بن الحكم فزوّجها أبا حفصة) قال : فسمعت يومئذ يُنشد¹ :

ليت هشاماً عاش حتى يرى مكياله الأوفر قد أترعا²
كلنا له الصاع التي كألها فما ظلمناه بها أصوعا
لم نأت ما نأتيه عن بدعة أحله القرآن لي أجمعا³

قال : فأمر الرشيد بكتابتها فكتبت .

وللوليد أشعار جيداً فوق هذا الشعر الذي اختاره مروان . فمنها ، وهو ما برز فيه وجوده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه ، قوله في صفة الخمر ، أنشدني الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شبة قال أنشدني أبو غسان محمد بن يحيى وغيره للوليد . قال : وكان أبو غسان يكاد يرقص إذا أنشدها⁴ :

إصدع نجى الهموم بالطرب وانعم على الدهر بابتة العنب
واستقبل العيش في غضارته لا تقف منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقادُمها فهي عجوز تعلق على الحقب
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلّت ورقّ جوهرها حتى تبدّت في منظر عجب
فهو بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب

1 ديوان الوليد : ص 53 ، رقم 54 .

2 مكياله في الديوان : محله .

3 لم نأت ما نأتيه في الديوان : وما أتينا ذاك .

4 ديوان الوليد : ص 18 ، رقم 7 .

كَأَنَّهَا فِي زَجَاجِهَا قَبَسٌ تَذْكُو ضِيَاءَ فِي عَيْنِ مَرْتَقِبٍ
فِي فِتْيَةٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ أَهْـ لَلْمَجْدِ وَالْمَأْتِرَاتِ وَالْحَسْبِ
مَا فِي الْوَرَى مِثْلَهُمْ وَلَا فِيهِمْ مِثْلِي وَلَا مُتَّمِّمٌ لِمِثْلِ أَبِي
قَالَ الْمَدَائِنِيُّ فِي خَبْرِهِ : وَقَالَ الْوَلِيدُ حِينَ أَتَاهُ نَعْيُ هِشَامٍ¹ : [مِنْ الْخَفِيفِ]

طَالَ لَيْلِي فَبِتُّ أُسْقَى الْمَدَامَا إِذَا أَتَانِي الْبَرِيدُ يَنْعَى هِشَامَا
وَأَتَانِي بِحُلَّةٍ وَقَضِيبٍ وَأَتَانِي بِخَاتَمٍ ثُمَّ قَامَا
فَجَعَلْتُ الْوَلِيَّ مِنْ بَعْدِ فَقْدِي يَفْضُلُ النَّاسَ نَاشِئاً وَغَلَامَا
ذَلِكَ ابْنِي وَذَاكَ قَرْمٌ قَرِيشٍ خَيْرُ قَرْمٍ وَخَيْرُهُمْ أَعْمَامَا
أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ قَالَ لِي عَمْرُو الْوَادِي :
كَنتَ يَوْمًا أَغْنَيْي الْوَلِيدَ إِذْ ذَكَرَ هِشَامًا ؛ فَقَالَ لِي : غَنَّنِي بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ ؛ قُلْتَ : وَمَا هِيَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ² :

صوت

هَلَكَ الْأَحْوَالُ الْمَشُورُ مُ فَقَدْ أُرْسِلَ الْمَطْرُ
ثُمَّتَ اسْتُخْلِفَ الْوَلِيدُ د فَقَدْ أَوْرَقَ الشَّجَرُ

[أَخَذَ الشُّعْرَاءُ مَعَانِيهِ]

وَلِلْوَلِيدِ فِي ذِكْرِ الْخَمْرِ وَصَفَتِهَا أَشْعَارُ كَثِيرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا الشُّعْرَاءُ فَأَدْخَلُوهَا فِي أَشْعَارِهِمْ ،
سَلَخُوا مَعَانِيَهَا ، وَأَبُو نَوَاسٍ خَاصَّةً فَإِنَّهُ سَلَخَ مَعَانِيَهَا كُلَّهَا وَجَعَلَهَا فِي شَعْرِهِ فَكَرَّرَهَا فِي عِدَّةٍ
مَوَاضِعَ مِنْهُ . وَلَوْلَا كِرَاهَةُ التَّطْوِيلِ لَذَكَرْتُهَا هَا هُنَا ، عَلَى أَنَّهَا تَنْبِيءٌ عَنْ نَفْسِهَا .

وَلَهُ أَبْيَاتٌ أَنْشَدْنَاهَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ أَنْشَدَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ فَهْمٍ قَالَ أَنْشَدَنِي عَمْرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ
أَنْشَدَنِي أَبُو غَسَّانٍ وَغَيْرُهُ لِلْوَلِيدِ ، وَكَانَ أَبُو غَسَّانٍ يَكَادُ أَنْ يَرْقُصَ إِذَا أَنْشَدَهَا : [مِنْ الْمُنْسَرَحِ]

إِصْدَعْ نَجِيَّ الْهَمُومِ بِالطَّرَبِ وَانْعَمْ عَلَى الدَّهْرِ بَابِنَةِ الْعَنْبِ
الْأَبْيَاتِ الَّتِي مَضَتْ مُتَقَدِّمًا . وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الْكَلَامِ وَنَادِرُهُ ؛ وَقَدْ جَوَّدَ فِيهِ مِنْذُ ابْتَدَأَ إِلَى
أَنْ خَتَمَ . وَقَدْ نَقَلَهَا أَبُو نَوَاسٍ وَالْحُسَيْنُ بْنُ الضُّحَّاكِ فِي أَشْعَارِهِمَا .
وَمِنْ جَيِّدِ مَعَانِيهِ قَوْلُهُ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

1 ديوان الوليد : ص 77 ، رقم 85 .

2 ديوان الوليد : ص 40 ، رقم 36 .

رَأَيْتُكَ تَبْنِي جَاهِداً فِي قَطِيعَتِي وَلَوْ كُنْتُ ذَا حِزْمٍ لَهْلَمْتُ مَا تَبْنِي
وقد مضت في أخباره مع هشام .

وأنشدني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فهم قال أنشدني عمرو بن أبي عمر وللوليد بن
يزيد وكان يستجيده فقال : [من الطويل]

إِذَا لَمْ يَكُنْ خَيْرٌ مَعَ الشَّرِّ لَمْ تَجِدْ نَصِيحاً وَلَا ذَا حَاجَةٍ حِينَ تَفْرَعُ
وَكَانُوا إِذَا هَمُّوا بِإِحْدَى هَنَاتِهِمْ حَسَرْتُ لَهُمْ رَأْسِي فَلَا أَتَقَنَّعُ

ومن نادر شعره قوله لهشام¹ : [من الوافر]

فَإِنْ تَكْ قَدْ مَلَلْتَ الْقُرْبَ مِنِّي فَسَوْفَ تَرَى مُجَانِبَتِي وَبَعْدِي
وَسَوْفَ تَلُومُ نَفْسَكَ إِنْ بَقِينَا وَتَبْلُو النَّاسَ وَالْأَحْوَالَ بَعْدِي
فَتَنَدَّمُ فِي الَّذِي فَرَطْتَ فِيهِ إِذَا قَايَسْتَ فِي ذِمِّي وَحَمْدِي

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا ابن مَهْرُويه وعبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا
عبد الله بن أحمد بن الحارث القرشيّ قال حدثنا محمد بن عائذ قال حدثني الهيثم بن عمران
قال سمعته يقول : لما بويغ الوليد سمعته على المنبر يقول بدمشق : [من الطويل]

ضَمِنْتُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَرْعَنِي مَنِيَّتِي بِأَنَّ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنْكُمْ سَتُقْلِعُ

[رسالة إلى أهل المدينة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شَبَّة قال حدثني عيسى بن عبد الله بن
محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما ولي الوليد بن يزيد كتب إلى
أهل المدينة والشعر له² : [من الطويل]

مُحَرَّمُكُمْ دِيَوَانُكُمْ وَعَطَاؤُكُمْ بِهِ يَكْتُبُ الْكُتَّابُ وَالْكُتُبُ تُطْبَعُ
ضَمِنْتُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَصَابُوا بِمَهْجَتِي بِأَنَّ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنْكُمْ سَتُقْلِعُ³

وأول هذه الأبيات : [من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمُخَيَّونَ أَلْبِغُوا سَلَامِي سُكَّانَ الْبِلَادِ فَأَسْمِعُوا
وَقُولُوا أَتَاكُمْ أَشْبُهُ النَّاسِ سَنَةً بِوَالِدِهِ فَاسْتَبْشِرُوا وَتَوَقَّعُوا

1 ديوان الوليد : ص 36 ، رقم 30 .

2 ديوان الوليد : ص 54-55 ، رقم 56 .

3 . . . تصابوا بمهجتي في الديوان : ضمنت لكم إن لم تعفني عوائق .

سُيُوشِكُ إلْحَاقُ بِكُمْ وَزِيَادَةُ وَأَعْطِيَةُ تَأْتِي تَبَاعاً فَتُشْفَعُ

وكان سبب مكاتبته أهل الحرمين بذلك أن هشاماً لما خرج عليه زيد بن علي رضي الله عنه منع أهل مكة وأهل المدينة أعطياتهم سنة . فقال حمزة بن بيض يردّ على الوليد لما فعل خلاف ما قال :

وَصَلَتْ سَمَاءُ الضَّرِّ بِالضَّرِّ بَعْدَ مَا زَعَمْتَ سَمَاءُ الضَّرِّ عَنَّا سَتُقْلَعُ
فَلَيْتَ هِشَاماً كَانَ حَيّاً يَسُوسُنَا وَكُنَّا كَمَا كُنَّا نُرْجِي وَنَطْمَعُ

[اجتماعه مع أهله يوم بيعته]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال روى جرير بن حازم عن الفضل بن سويد قال : بعث الوليد بن يزيد إلى جماعة من أهله لما ولي الخلافة فقال : أتدرون لِمَ دعوتكم ؟ قالوا لا ؛ قال : لِقُلِّ قَائِلُكُمْ ؛ فقال رجل منهم : أردت يا أمير المؤمنين أن تُرَبِّنا ما جدّد الله لك من نعمته وإحسانه ؛ فقال : نعم ، ولكني¹ :

أَشْهَدُ اللَّهَ وَالْمَلَائِكَةَ الْأَبْرَارَ وَالْعَابِدِينَ أَهْلَ الصَّلَاحِ
أَنْتَنِي أَشْتَهِي السَّمَاعَ وَشَرِبَ الْكَأْسَ وَالْعِصْيَ لِلْخُدُودِ الْمَلَّاحِ
وَالنَّدِيمَ الْكَرِيمَ وَالْخَادِمَ الْفَارِسَ يَسْعَى عَلَيَّ بِالْأَقْدَاحِ

قوموا إذا شئتم .

[اشترى جارية غنته]

أخبرني إسماعيل بن يونس وأحمد بن عبد العزيز قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال : عُرِضَتْ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ جَارِيَةٌ صَفْرَاءُ كُوفِيَّةٌ مُوَلَّدَةٌ يَقَالُ لَهَا سَعَادُ ، فَقَالَ لَهَا : أَيُّ شَيْءٍ تُحْسِنِينَ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا مَغْنِيَّةٌ ؛ فَقَالَ لَهَا : غَنِّي ، فَغَنَّتْ :

[من السريع]

صوت

لَوْلَا الَّذِي حُمِّلْتُ مِنْ حَبِّكُمْ لَكَانَ فِي إِظْهَارِهِ مَخْرَجُ
أَوْ مَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ ذُو فَسْحَةٍ أَجَلُ وَمِنْ حَجَّتْ لَهُ مَذْهَبُ
لَكِنْ سَبَانِي مِنْكُمْ شَادَنُ مُرَبَّبٌ ذُو غَنَّةٍ أَدْعُ
أَغْرُ مَمْكُورُ هَضِيمُ الْحَشَى قَدْ ضَاقَ عَنْهُ الْحِجْلُ وَالْدُمْلُجُ

الشعر للحارث بن خالد . والغناء لابن سريج خفيف رمل بالنصر . وفيه لدحمان

هَزَجَ بالوسطى ؛ وذكر الهشاميُّ أَنَّ الهزجَ ليحيى المكيِّ ، فطرب طرباً شديداً وقال : يا غلام اسقني ، فسقاه عشرين قدحاً وهو يستعيدها . ثم قال لها : لمن هذا الشعر ؟ قالت : للحارث بن خالد . قال : ومَنْ أخذتيه ؟ قالت : من حُنَيْن . قال : وأين لقيته ؟ قالت : رُبِيتُ بالعراق وكان أهلي يَجِيعُونَ به فيُطارحني . فدعا صاحبه فقال : اذهب فابتعها بما بلغتْ ولا تُراجعني في ثمنها ففعل ؛ ولم تزل عنده حَظِيَّةً .

[شرب مع محمد بن سليمان بجرن]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مهرويه قال حدَّثني عبيد الله بن عمّار قال حدَّثني عبيد الله بن أحمد بن الحارث القرشيّ قال حدَّثنا العباس بن الوليد قال حدَّثنا ضَمْرُه قال : خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام يوماً إلى بعض الدِّيَّارات فنزل فيه وهو والٍ على الرَّملة ؛ فسأل صاحبَ الدَّيْرِ : هل نزل بك أحدٌ من بني أُمَيَّة ؟ قال : نعم ، نزل بي الوليد ابن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك . قال : فأَيُّ شيء صنعَا ؟ قال : شربنا في ذلك الموضع ، ولقد رأيتهما شربا في أنيتهما ، ثم قال أحدهما لصاحبه : هَلُمَّ نشرب بهذا الجُرْن ، وأوماً إلى جرينٍ عظيم من رخام ، قال : أفعلُ ؛ فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى ثَمِلَا . فقال عبد الوهاب لمولاه أسود : هاتِه . قال ضمرة : وقد رأيتُه وكان يوصف بالشدة ، فذهب يحركه فلم يقدر . فقال الراهب : والله لقد رأيتهما يتعاطيانَه وكلُّ واحد منهما يملؤه لصاحبه فيرفعه ويشربه غيرَ مكترث .

[سعد بن مرة يمدحه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدَّثنا عمر بن شُبَّة قال حدَّثنا أبو غَسَّان محمد بن يحيى قال : وقد سعد بن مُرَّة بن جُبَيْر مولى آل كَثِير بن الصَّلْت ، وكان شاعراً ، على الوليد بن يزيد ، فعرض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج إلى متنزه له ، فصاح به ، يا أمير المؤمنين ، وافدُك وزائرُك ومؤمِّلُك ؛ فتبادر الحرسُ إليه ليصدّوه عنه ، فقال : دَعوه ، أَدْنُ إِلَيَّ فدنا إليه ؛ فقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل الحجاز شاعر ؛ قال : تريد ماذا ؟ قال : تسمع مِنِّي أربعة أبيات ؛ قال : هاتِ .

صوت

[من الكامل]

شِمْنَ المَخَايِلَ نَحْوَ أرضِكَ بالحَيَا وَلَقَيْنَ ركبَاناً بعُرفِكَ قَفَلَا

قال : ثم مَه ؛ قال :

فعمَدَن نَحْوَك لم يُنْخَن حاجة إِلَّا وقوعَ الطير حتى ترحلا

قال : إن هذا السير حثيث ؛ ثم ماذا ؟ قال :

يعمِدُنْ نحو مُوطًىءِ حجراتِهِ كَرَمًا ولم تعدِلْ بذلك مَعْدِلًا

قال : فقد وصلتَ إليه ، فَمَهْ ؛ قال :

لاحت لها نيرانُ حَيِّي قَسْطِلٍ فاخترن نَارَكَ في المنازلِ منزلًا¹

قال : فهل غيرُ هذا ؟ قال لا ؛ قال : أنجحتُ وفادُتُك ، ووجبتُ ضيافتُك ؛ أعطوه أربعة آلاف دينار ؛ فقبضها ورحل .

الغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٍ بالبصر عن عمرو والهشامي .

[مسلمة بن هشام وزوجته]

رجعت الرواية إلى حديث المدائني قال : لما قديم العباس بن الوليد لإحصاء ما في خزائن هشام وولده سوى مسلمة بن هشام فإنه كان كثيرًا ما يكفأ أباه عن الوليد ويكلمه فيه ألا يعرض له ولا يدخل منزله . وكانت عند مسلمة أم سلمة بنت يعقوب المخزومية ، وكان مسلمة يشرب . فلما قدم العباس لإحصاء ما كتب إليه الوليد ، كتبت إليه أم سلمة : ما يُفِيق من الشراب ولا يهتم بشيء مما فيه إخوته ولا يموت أبيه . فلما راح مسلمة بن هشام إلى العباس قال له : يا مسلمة ، كان أبوك يرشحك للخلافة ونحن نرجوك لما بلغني عنك ، وأنبه وعاتبه على الشراب ، فأنكر مسلمة ذلك وقال : من أخبرك بهذا ؟ قال : كتبتُ إليَّ به أم سلمة ؛ فطلَّقها في ذلك المجلس ، فخرجت إلى فلسطين ، وبها كانت تنزل ، وتزوجها أبو العباس السفاح هناك .

[طلق زوجته سعدة وهام بأختها سلمى]

وسلمى التي عناها الوليدُ هناك هي سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ وأمها أم عمرو بنت مروان بن الحكم ، وأمها بنت عمر بن أبي ربيعة المخزومية .
فأخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام وعن المدائني عن جويرية بن أسماء : أن يزيد بن عبد الملك كان خرج إلى قرين² مُتَبَدِّيًا به ، وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ؛ وكانت بنته أم عبد الملك ، واسمها سعدة ، تحت الوليد بن يزيد . فمرض سعيد في ذلك الوقت ، وجاءه الوليدُ عائداً ، فدخل فلمح سلمى بنت سعيد أخت زوجته ، وسترها حواشيها وأختها فقامت ففرعنهن طولاً ، فوقعت بقلب الوليد . فلما مات أبوه طلق أم عبد الملك زوجته وخطب سلمى إلى أبيها .

1 قسطل في ل : فاصطل . قسطل : قرية في البلقاء .

2 قرين : موضع باليمامة .

وكانت لها أخت يقال لها أم عثمان تحت هشام بن عبد الملك ؛ فبعثت إلى أبيها ، وقيل : بعث إليه هشام : أتريد أن تستفحل الوليد لبناتك يطلق هذه وينكح هذه ؟ فلم يزوجه سعيد وردّه أقبح ردّ . وهويها الوليد ورام السلو عنها فلم يسئل ؛ وكان يقول : العجب لسعيد ، خطبتُ إليه فردّني ، ولو قد مات هشام ووليت لزوجني ؛ وهي طالق ثلاثاً إن تزوّجتها حينئذ وإن كنت أهواها . فيقال : إنّه لما طلق سعدة ندم على ذلك وعمّه . وكان لها من قلبه محلٌّ ولم تحصل له سلمى ؛ فاهتمّ لذلك وجزع . وراسل سعدة ، وقد كانت زوّجت غيره فلم ينتفع بذلك .

[توسط أشعب عند سعدة]

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ والحسن بن عليّ قالوا حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم قال حدّثنا المدائني قال : بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلق امرأته ، فقال : يا أشعب ، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلغ رسالتي سعدة ؛ فقال : أحضر العشرة الآلاف الدرهم حتى أنظر إليها ؛ فأحضرها الوليد ؛ فوضعها أشعب على عنقه وقال : هات رسالتك ؛ قال : قل لها يقول لك أمير المؤمنين¹ :

أسعدةُ هل إليك لنا سبيلٌ وهل حتى القيامة من تلاقِي
بلى ولعلّ دهرًا أن يُؤاتي بموت من حليلك أو طلاقِ
فأصبحَ شامتًا وتقرَّ عيني ويُجمعَ شملنا بعد افتراقِ

فأتى أشعبُ البابَ فأخبرتُ بمكانه ، فأمرت بفُرُش لها ففُرُشت وجلست وأذنت له . فلما دخل أنشدها ما أمره ؛ فقالت لخدمها : خذوا الفاسق ! فقال : يا سيّدي إنها بعشرة آلاف درهم . قالت : والله لأقتلنك أو تبّلغه كما بلّغني ؛ قال : وما تهين لي ؟ قالت : بساطي الذي تحتي ؛ قال : قومي عنه ؛ فقامت فطواه وجعله إلى جانبه ، ثم قال : هات رسالتك فجعلتُ فذاك ؛ قالت : قل له² :

أتبكي على بُني وأنت تركتها فقد ذهبتُ لبني فما أنت صانعُ
فأقبل أشعب فدخل على الوليد ؛ فقال : هيه ، فأنشده البيت : فقال : أوّه قتلتنني يا ابن الزانية ! ما أنا صانع ، فاختر أنت الآن ما أنت صانع يا ابن الزانية ، إمّا أن أدّلك على رأسك

1 ديوان الوليد : ص 108 ، رقم 7 وفيه أنّها تنسب أيضاً إلى غيره .

2 سيأتي هذا البيت في ترجمة قيس بن ذريح برواية مختلفة ، 9 : 151-152 .

منكساً في بحر أو أرمي بك منكساً من فوق القصر أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة ،
 هذا الذي أنا صانع ، فاختَرْتُ الآن ما أنت صانع ؛ فقال : ما كنت لتفعل شيئاً من ذلك ؛
 قال : ولم يا ابن الزانية ؟ قال : لم تكن لتعذب عينيّن نظرتا إلى سعدة . قال : أوه ! أفلت والله
 بهذا يا ابن الزانية ! أخرج عني . وقال الحسن في روايته : إنها قالت له أنشدّه : [من الطويل]
 أتبكي على بُنى وأنت تركتها وأنت عليها بالملأ كنت أقدر¹
 وفي هذه الأبيات غناء هذه نسبتُهُ :

صوت

أرى بيت بُنى أصبح اليوم يُهجَرُ وهجرانُ لبني يا لك الخير مُنكرُ
 فإن تكن الدنيا لبُنى تغيّرت فللدّهر والدنيا بطونٌ وأظهُرُ
 أتبكي على بُنى وأنت تركتها وأنت عليها بالحرا كنت أقدرُ
 عروضه من الطويل . والشعر لقيس بن ذريح . والغناء في الثاني والثالث للغريض ثقل أول
 بالنصر عن عمرو والهشامي . وفيهما لعريب رملٌ بالنصر . وفيه لشارية خفيف رمل
 بالوسطى عن الهشامي . وفي الأول خفيف ثقل مجهول .
 [تربا يري زيات ليري سلمى]

قال ابن سَلَامَ والمدائني في خبرهما : وخرج الوليد بن يزيد يريد فَرَتَنِي لعلّه يراها ؛ فلقيه
 زيات معه حمار عليه زيت ؛ فقال له : هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتُعطيني حمارك هذا بما
 عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزيات ذلك . وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه
 الحمار يسوقه متنكراً حتى دخل قصر سعيد ، فنادى : من يشتري الزيت ؛ فاطّلع بعضُ
 الجوّاري فرأينه فدخلن إلى سلمى وقلن : إنّ بالباب زياتاً أشبه الناس بالوليد ، فخرجني
 فانظري إليه ؛ فخرجت فرأته ورآها ، فرجعت القَهْقَرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد !
 وقد رأيته ! فقلن له : لا حاجة بنا إلى زيتك ؛ فانصرف وقال² : [من مجزوء الرمل]

إنني أبصرتُ شيخاً حسنَ الوجه مليحُ
 ولياسي ثوب شيخ من عباء ومُسوح³

1 الملاء : اسم موضع .

2 ديوان الوليد : ص 28 ، رقم 19 .

3 ديوان الوليد : لابسا أثواب سوء (طبعة دار الكتاب الجديد) .

وأبيعُ الزيت بيعاً خاسراً غيرَ ربيعٍ

وقال أيضاً¹ : [من الوافر]

فما مسكٌ يُعلُّ بزنجيلٍ ولا عسلٌ بألبان اللقاح

بأشهى من مُجاجة ريقٍ سلمى ولا ما في الرقاق من القراح

ولا والله لا أنسى حياتي وثاقَ الباب دوني واطراحي

قال : فلما ولي الخلافةَ أشخص إلى المغنّين : فحضروه وفيهم معبدٌ وابن عائشة وذووها . فقال لابن عائشة : يا محمد ، إن غنيتني صوتين في نفسي فلك عندي مائة ألف درهم ؛ فغناه قوله :

إنني أبصرتُ شيخاً

وغناه :

فما مسكٌ يُعلُّ بزنجيل

الأبيات ، فقال الوليد : ما عدوتَ ما في نفسي ؛ وأمر له بمائة ألف درهم وأطاف وخِلَع ، وأمر لسائر المغنّين بدون ذلك .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الوافر]

فما مسكٌ يُعلُّ بزنجيلٍ ولا عسلٌ بألبان اللقاح

بأطيبَ من مُجاجة ريقٍ سلمى ولا ما في الرقاق من القراح

غناه ابن عائشة ، ولحنه ثقل أول بالوسطى عن الهشاميّ وحماة بن إسحاق .

[نزوج سلمى بعد ولايته الخلافة]

قال المدائني وابن سلام : فلما طال بالوليد ما به كتب إلى أبيها سعيد :

[من الوافر]

أبا عثمان هل لك في صنيع تُصيبُ الرشدَ في صلاتي هُديتا

فأشكرُ منك ما تُسدي وتُحيي أبا عثمان مَيَّةً ومَيَّةً²

قالوا : فلم يُجبه إلى ذلك حتى ولي الخلافة ، فلما وليها زوجته إياها ؛ فلم يلبث إلا مدّة يسيرةً حتى ماتت . وقال فيها ليلة زُفَّت إليه³ :

[من معزوء الخفيف]

1 ديوان الوليد : ص 31 ، رقم 23 .

2 ديوان الوليد : ص 21 ، رقم 11 . الديوان : فأشكر منك ذا المسدى وتحبي .

3 ديوان الوليد : ص 51 ، رقم 50 .

خَفَّ من دار جِيرَتِي يا ابن داود أنسُها
وهي طويلة . وفيها ممَّا يَغْنَى به :

أَوْ لا تخرج العرو سُ فقد طال حبسُها
قد دنا الصبح أو بدا وهي لم يُقَضَّ بُسُها
برزت كاهلال في ليلة غاب نخسُها¹
بين خمس كواعب أكرمُ الخمس جنسُها

غناء ابن سُرِيج ، فيما ذكره حبَّش ، رملٌ بالنصر ، أوله :

خَفَّ من دار جِيرَتِي

وغناء معبد فيه خفيفٌ ثقيلٌ ، أوله :

ومتى تخرج العرو سُ

في رواية الهشاميّ وابن المكيّ . وغناء عمر الواديّ في الأربعة الأبيات الآخر خفيفٌ رملٍ
بالنصر عن عمرو . وذكر في النسخة الثانية ووافقه الهشاميّ أنّ فيه هزجاً بالوسطى ينسب إلى
حكّم وإلى أبي كامل وإلى عمر .

[غنى حكم الوادي بشعره للمهدي]

وقد أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شُبّة قال حدثنا الأصمعيّ قال : رأيت
حكّم الوادي قد تعرّض للمهديّ وهو يريد الحجّ ، فوقف له في الطريق وكانت له شهرة ،
فأخرج دقّاً له فنقر فيه وقال : أنا ، أطل الله بقاءك ، القائل² : [من مجزوء الخفيف]

ومتى تخرج العرو سُ فقد طال حبسُها
قد دنا الصبحُ أو بدا وهي لم يُقَضَّ بُسُها

قال : فتسرّع إليه الحرس ، فصيحّ بهم ، وإذا هو حكم الوادي ؛ فأدخل إليه المضربَ
فوصله وانصرف .

نسبة أولاً تخرج العروس . قال : الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لعمر الواديّ . وفيه
لحنان هزجٌ خفيف بالخنصر في مجرى النصر وخفيفٌ رملٍ بالخنصر في مجرى النصر
جميعاً عن إسحاق ؛ وذكر حكم الواديّ أنّ الهزج له ؛ وذكر إسحاق أن لحن حكّم خفيفٌ
رملٍ بالخنصر في مجرى الوسطى . وقال في كتاب يحيى : إنّ هذا اللحن لعمر الواديّ .

1 برزت كاهلال في الديوان : خرجت كلمهاة (طبعة دار الكتاب الجديد) .

2 ديوان الوليد : ص 51 ، رقم 50 .

وذكر الهشامي أنّ فيه خفيفَ ثَقِيلٍ لمبعد ورملاً لابن سريج . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه للدُّلال خفيفَ ثَقِيلٍ أوّل بالنصر .
[رناؤه سلمى]

وقال المدائني : مكثتُ عنده سَلَمَى أربعين يوماً ثم ماتت ؛ فقال : [من الوافر]

أَلَمَّا تَعَلَّمَا سَلَمَى أَقَامَتْ	مُضْمِنَةً مِنَ الصَّحَرَاءِ لِحَدَا
لِعَمْرِكَ يَا وَلِيدُ لَقَدْ أَجَنَّا	بِهَا حَسَبًا وَمَكْرُمَةً وَمَجْدًا
وَوَجْهًا كَانَ يَقْصُرُ عَنْ مَدَاهِ	شِعَاعُ الشَّمْسِ أَهْلٌ أَنْ يُفَدَّى
فَلَمْ أَرْ مِيتًا أَبْنَى لِعَيْنٍ	وَأَكْثَرَ جَارِعًا وَأَجَلٌ فَقْدًا
وَأَجْدَرَ أَنْ تَكُونَ لَدَيْهِ مَلِكًا	يُرِيكَ جَلَادَةً وَيُسِرَّ وَجْدًا

[شعره في سلمى]

ذكر أشعار الوليد التي قالها في سلمى وغنى المغنون فيها منها¹ : [من الهزج]

صوت

عَفَا مِنْ بَعْدِ أَحْوَالِ	عَرَفْتُ الْمَنْزَلَ الْخَالِي
عَسُوفِ الْوَيْلِ هَطَّالِ	عَفَاهُ كُلُّ حَنَّانِ
وَبَنَاتِ الْعَمِّ وَالْخَالِ	لِسَلْمَى قَرَّةَ الْعَيْنِ
خِطَارًا أَتَلَفْتُ مَالِي ²	بَذَلْتُ الْيَوْمَ فِي سَلْمَى
سَحِيقٌ بَيْنَ جَرِيَالِ ³	كَأَنَّ الرِّيقَ مِنْ فِيهَا

غناه عمر الواديّ هزجاً بالوسطى عن عمرو . وذكر ابن خُرْداذبه أنّ هذا اللحن للوليد بن يزيد . وفيه رَمَلٌ ذكر الهشاميّ أنّه لابن سريج .

ومنها وهو الصوت الذي غناه أبو كامل فأعطاه الوليدُ قَلَنْسِيَتَهُ⁴ : [من الوافر]

صوت

مَنَازِلُ قَدْ تَحَلَّلَ بِهَا سَلِيمِي دَوَارِسُ قَدْ أَضَرَّ بِهَا السَّنُونُ

1 ديوان الوليد : ص 71 ، رقم 76 عن الأغاني .

2 الخطار : جمع خَطَرٌ وهو ما يتراهن عليه .

3 السحيق : المسك . والجريال : صفوة الخمر .

4 ديوان الوليد : ص 85 ، رقم 97 .

أُمِيتُ السَّرَّ حَفْظًا يَا سَلِمَى إِذَا مَا السَّرَّ بَاحَ بِهِ الْحَزُونُ¹
 غَنَاهُ أَبُو كَامِلٍ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ . وَفِيهِ لَابِنٌ سَرِيجٌ ، وَيَقَالُ لِلْغَرِيضِ ، خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ
 بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لِحَكَمٍ أَوْ لِعَمْرِ الْوَادِيِّ .
 وَمِنْهَا² :

[من المزج]

صوت

أَرَانِي قَدْ تَصَابَيْتُ وَقَدْ كُنْتَ تَنَاهَيْتُ
 وَلَوْ يَتْرُكْنِي الْحُبُّ لَقَدْ صَمَمْتُ وَصَلَيْتُ
 إِذَا شِئْتُ تَصَبَّرْتُ وَلَا أَصْبِرُ إِنْ شِئْتُ
 وَلَا وَاللَّهِ لَا يَصْبُرُ رَ فِي الدَّيْمُومَةِ الْحُوتِ³
 سَلِمَى لَيْسَ لِي صَبْرٌ وَإِنْ رَخَّصْتَ لِي جَيْتُ
 فَقَبَّلْتُكَ أَلْفِينَ وَفَدَيْتُ وَحْيَيْتُ
 أَلَا أَحِبُّ بَزُورٍ زَا رَ مِنْ سَلِمَى بِيْرُوتِ⁴
 غَزَالَ أَدْعَجُ الْعَيْنَ نَقِيَّ الْجَيْدِ وَاللَّيْتِ

غَنَاهُ ابْنُ جَامِعٍ فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ هَزْجًا بِالْوَسْطَى ، وَغَنَاهُ أَبُو كَامِلٍ فِي الْأَبْيَاتِ كُلِّهَا عَلَى
 مَا ذَكَرْتُ بَذَلُ وَلَمْ تَجْنِسْهُ . وَغَنَى حَكَمُ الْوَادِيِّ فِي الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ وَالسَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفَ
 رَمَلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو وَالْهَشَامِيِّ .

[من المديد]

ومنها⁵ :

صوت

عَتَبْتُ سَلِمَى عَلَيْنَا سَفَاهَا
 كَانَ حَقُّ الْعَتَبِ يَا قَوْمُ مِنِّي
 لَيْسَ مِنْهَا كَانَ قَلْبِي فِدَاهَا
 لَأَبِي سَلِمَى خِلَافَ هَوَاهَا
 فَتَكَلَّمْتُ الْيَوْمَ سَلِمَى فَسَلِمَى
 مَلَأْتُ أَرْضِي مَعًا وَسَمَاهَا

1 الحزون : الكثير الحزن .

2 ديوان الوليد : ص 21 ، رقم 12 عن الأغاني .

3 الديمومة : الصحراء البعيدة .

4 في هذا البيت والبيت الذي يليه إقواء . رواية معجم البلدان (1 : 525) :

أَلَا يَا حَبْدًا شَخْصَ حَمَتَ لَقِيَاهُ بِيْرُوتِ

5 ديوان الوليد : ص 91 ، رقم 105 عن الأغاني .

غير أني لا أظن عدوّاً قد أتاها كاشحاً بأذاها
فلها العُتْبَى لدينا وقلّت أبداً حتى أنال رضاها

غناه أبو كامل خفيف رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ليحيى المكيّ ثقيل
أول من رواية عليّ بن يحيى . وفيه رمل يقال : إنه لابن جامع ، ويقال : بل لحن ابن جامع
خفيف رمل أيضاً .

[خطب سلمى إلى أبيها وهو سكران]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني
عبد الله بن عمرو قال : لقي سعيد بن خالد الوليد بن يزيد وهو ثَمَلٌ ؛ فقال له : يا أبا عثمان ؛
أتردّني على سلمى ! وكأني بك لو قد وليتُ الخلافة خطبتني فلم أجبك ؛ وإن تزوّجتُها حينئذ
فهي طالق ثلاثاً . فقال له سعيد : إن المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيق بأكثر مما قلت ؛
فأمصّه الوليد وشتمه وتسامعا وافترقا . وبلغ الوليد أن سلمى جزعت لما جرى وبكت
وسبّت الوليد ونالت منه ؛ فقال :

عبت سلمى علينا سفاها أن هجوت اليوم فيها أباهما

وذكر الأبيات . وقال أيضاً في ذلك ¹ :

[من الوافر]

صوت

على الدور التي بليت سفاها قفا يا صاحبي فسائلاها
دعتك صباة ودعاك شوق وأخضل دمع عينك مأقياها
وقالت عند هجوتنا أباهما أردت الصرم فانتده انتداها
أردت بعادنا بهجاء شيخي وعندك خلّة تبغي هواها
فإن رضيت فذاك وإن تمادت فهبها خطّة بلغت مداها

غناه مالك بن أبي السّمح خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وللهذلي
فيه ثاني ثقيل بالوسطى عن يونس والهشامي ؛ وذكر حبش : أن الثقيل الثاني لإسحاق ، يعني
بقوله :

أردت بعادنا بهجاء شيخي

أنه كان هجا سعيد بن خالد ، فقال ² :

[من الطويل]

1 ديوان الوليد : ص 90 ، رقم 104 .

2 ديوان الوليد : ص 36 ، رقم 31 .

ومن يك مفتاحاً لخير يريده فإنك قُفْلٌ يا سعيد بن خالد
قال المدائني : لما غَضِيتُ سلمى من هجائه أباهَا قال يعتذر إليه بقوله¹ : [من مجزوء الوافر]
ألا أَبْلِغْ أَبَا عثْمَا ن عِذْرَةَ مُعْتَبٍ أَسْفَا
فَلَسْتُ كَمَنْ يُوَدِّكْ بِالِ لِسَانٍ وَيُكْثِرُ الْحِلْفَا
عَتَبْتُ عَلَيَّ فِي أَشْيَا ء كَانَتْ بَيْنَنَا سَرْفَا
فَلَا تُشْمِيتُ بِي الْأَعْدَا ء وَالْجِيرَانَ مَلْتَهَفَا
تَوَدُّ لَوْ أَنَّي لَحْمٌ رَأَتْهُ الطَّيْرُ فَاخْتُطَفَا
وَلَا تَرْفَعْ بِهِ رَأْسَا عَفَا الرَّحْمَنُ مَا سَلَفَا
ومنها وهو من سخيْف شعره² :

صوت

خَبَّرُونِي أَنْ سَلَمَى خَرَجْتُ يَوْمَ الْمُصَلَّى
فَإِذَا طَيْرٌ مَلِيحٌ فَوْقَ غَصْنٍ يَتَقَلَّى
قُلْتُ مَنْ يَعْرِفُ سَلَمَى قَالَ هَا ثَمَّ تَعَلَّى
قُلْتُ يَا طَيْرُ اذْنُ مَنِّي قَالَ هَا ثَمَّ تَدَلَّى
قُلْتُ هَلْ أَبْصَرْتَ سَلَمَى قَالَ لَا ثَمَّ تَوَلَّى
فَنَكَا فِي الْقَلْبِ كَلْمًا بَاطِنًا ثَمَّ تَعَلَّى³

فيه ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبَنْصَرِ مُطْلَقٌ ، ذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لِأَبِي كَامِلٍ وَلِعَمْرُ الْوَادِي ، وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّهُ لِلدَّحْمَانِ .
ومنها⁴ :

صوت

اسْقِنِي يَا ابْنَ سَالِمٍ قَدْ أَنَارَا كَوَكَبُ الصَّبْحِ وَانْجَلَى وَاسْتَنَارَا
اسْقِنِي مِنْ سُلَافِ رَيْقٍ سَلِيمِي وَاسْقِ هَذَا النَّدِيمَ كَأْسًا عُقَارَا

1 ديوان الوليد : 58 ، رقم 60 عن الأغاني .

2 ديوان الوليد : ص 67 ، رقم 71 .

3 نكا : مسهل نكأ . ونكأ : قشر مكان الجرح قبل الشامة .

4 ديوان الوليد : ص 42 ، 39 .

غناه ابن قندح ثاني ثقيل بالوسطى من رواية حبش .

[شعر ملك]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني أبي : أن المأمون قال لمن حضره من جلسائه : أنشدوني بيتاً لملك يدل البيت وإن لم يُعرف قائله أنه شعر ملك ؛ فأنشده بعضهم قول امرئ القيس :

أمن أجل أعرابية حلّ أهلها جنوب الملاء عيناك تبتران

قال : وما في هذا مما يدل على ملكه ! قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر ، فكأنه يؤتب نفسه على التعلق بأعرابية ؛ ثم قال : الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول الوليد :

اسقني من سلاف ريق سليمي واسق هذا النديم كأساً عقارا

أما ترى إلى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك . ومثل قوله : [من مجزوء المتقارب]

لي المحض من ودّهم ويغمرهم نائلي

وهذا قول من يقدر بالملك على طويّات الرجال ، يذل المعروف لهم ويُمكنه استخلاصها لنفسه .

وفي هذا البيت مع أبيات قبيله غناء وهو قوله ¹ :

صوت

سقيت أبا كامل من الأصفر البابي

وسقيتها معبداً وكلّ فتى بازل

لي المحض من ودّهم ويغمرهم نائلي

فما لامني فيهم سوى حاسدٍ جاهل

غناه أبو كامل ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

ومنها وهو من ملح شعره ² :

[من الوافر]

صوت

أراني الله يا سلمى حياتي وفي يوم الحساب كما أراك

1 ديوان الوليد : ص 72 ، رقم 78 .

2 ديوان الوليد : ص 62 ، رقم 66 .

أَلَا تَجْزِينَ مَنْ تَيَّمَتْ عَصراً وَمَنْ لَوْ تَطْلِبِينَ لَقَدْ قَضَاكِ¹
وَمَنْ لَوْ مِتُّ مَاتَ وَلَا تَمُوتِي وَلَوْ أَنْسَى لَهْ أَجَلٌ بِكَأَكِ²
وَمَنْ حَقّاً لَوْ اعْطَيْتِي مَا تَمَنَّى مِنْ الدُّنْيَا الْعَرِيضَةِ مَا عَدَاكِ
وَمَنْ لَوْ قُلْتُ مِتْ فَأُطَاقُ مَوْتاً إِذَا ذَاقَ الْمَمَاتَ وَمَا عَصَاكِ
أُثْبِتِي عَاشِقاً كَلِفاً مُعْنَى إِذَا خَدِرْتَ لَهُ رَجُلٌ دَعَاكِ

كانت العرب تقول : إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا خَدِرَتْ قَدَمُهُ دَعَا بِاسْمِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ فَسَكَتَ .
فِي الْخَبَرِ أَنَّ رَجُلًا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو خَدِرَتْ ؛ فَقِيلَ لَهُ : ادْعُ بِاسْمِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْكَ ؛ فَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَسَلَّمَ . ذَكَرَ يُونُسُ أَنَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لَحْناً
لِسِنَانِ الْكَاتِبِ ، وَذَكَرْتُ دَنَائِيرُ أَنَّهُ لِحْكُمْ وَلَمْ تَجَنِّسْهُ .

ومنها³ :

[من مجزوء الرمل]

صوت

وَيَحْ سَلَمَى لَوْ تَرَانِي لَعَنَاهَا مَا عَنَانِي
مُتَلِفاً فِي اللّهُو مَا لِي عَاشِقاً حُورَ الْقِيَانِ
إِنَّمَا أَحْزَنَ قَلْبِي قَوْلُ سَلَمَى إِذْ أَتَانِي
وَلَقَدْ كُنْتُ زَمَاناً خَالِي الذَّرْعَ لَشَانِي
شَاقَ قَلْبِي وَعَنَانِي حُبُّ سَلَمَى وَبِرَانِي
وَلَكُمْ لَامَ نَصِيحٍ فِي سَلَمَى وَنَهَانِي

غَنَّتْهُ فَرِيدَةٌ خَفِيفَةٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَفِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ يَنْسَبُ إِلَى مَعْبَدٍ ؛ وَهُوَ فِيمَا
يَذْكُرُ إِسْحَاقَ يُشَبِّهُ غَنَاءَهُ وَلَيْسَ تُعْرَفُ صَحَّتُهُ لَهُ ، وَذَكَرَ كَثِيرٌ⁴ الْكَبِيرُ أَنَّهُ لَهُ ، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ
لَا بِنَ الْمَكِّيِّ . وَفِيهِ لِحْكُمْ هَزَجٌ صَحِيحٌ .

ومنها⁵ :

[من مجزوء الرمل]

- 1 عَصراً فِي الدِّيَوَانِ : عَمراً (طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَابِ الْجَدِيدِ) .
- 2 أَنْسَى فِي الدِّيَوَانِ : وَإِنْ يَنْسَى (طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَابِ الْجَدِيدِ) .
- 3 دِيَوَانُ الْوَلِيدِ : ص 86 ، رَقْم 99 .
- 4 ل : كَنْزِز .
- 5 دِيَوَانُهُ : ص 77 ، رَقْم 86 عَنْ الْأَغَانِي .

صوت

بلغا عني سليمي وسلاها لي عَمّا
فعلت في شأن صبّ دَفِ أشعرَ همّا
ولقد قلت لسلمي إذ قتلُ البينَ علما
أنتَ همّي يا سليمي قد قضاه الربُّ حتما
نزلت في القلب قسراً منزلاً قد كان يُحمي

غناه حَكَمٌ خفيفٌ ثقيلٌ . ولعمرَ الوادي فيه خفيفُ رملٍ بالخنصر في مجرى الوسطى

عن إسحاق .

ومنها¹ :

[من مجزوء الرمل]

صوت

يا سُلَيْمِي يا سليمي كنت للقلب عذابا
يا سليمي ابنةَ عمّي بَرْد الليلُ وطابا
أَيُّما واشٍ وشى بي فاملئي فاهُ ترابا
ريقها في الصبح مسك باشر العذب الرُضابا

غناه عمر الوادي هَزْجاً بالبنصر عن الهشاميّ ، وذكر ابن المكيّ أنّه لمعان . وفي كتاب

إبراهيم أنّه لَعَطَرْد .

ومنها² :

[من الهزج]

صوت

أَسْلَمِي تلك حُيَّيتِ قَفِي نُخْبِرُكَ إن شِيتِ
وقيلي ساعةً نَشْكُ إليك الحبُّ أو بيتي
فما صهباء لم تُكْسَ قَدَى من خمر بيروتِ
ثَوَتْ في الدَّنْ أعواماً خَتِمْأً عند حانوتِ

غناه عمر الوادي ثانيَ ثَقِيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنها³ :

[من الكامل]

1 ديوان الوليد : ص 14-15 ، رقم 3 عن الأغاني .

2 ديوانه : ص 24-25 ، رقم 15 عن الأغاني .

3 ديوانه : ص 37 ، رقم 32 .

2 • كتاب الأغاني - ج 7

صوت

يا مَنْ لقلب في الهوى مُتَشَعِّبٍ بل مَنْ لقلب بالحبيب عميد
 سَلَمَى هواه ليس يعرف غيرها دون الطَّريف ودون كلِّ تليد
 إِنَّ القِرابَةَ والسَّعادة أَلْفَا بين الوليد وبين بنت سعيد¹
 يا قلب كم كَلِفَ الفؤادُ بغادةٍ مَمْكُورةٍ رَيا العظام خريد
 غنَّاه عمر الوادي رملاً بالبنصر عن عمرو .

ومنها² :

[من الرمل]

صوت

قد تمنى معشرٌ إذ أطربوا من عُقارٍ وسَوامٍ وذَهَبٍ
 ثم قالوا لي تَمَنَّ واستمع كيف ننحو في الأماني والطلب
 فتمنيتُ سليمى إنها بنت عمي من كهاميم العرب³
 فيه للهدلي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو . وذكر الهشامي أن هذا الخفيف الثقيل
 لخالد صامة . وذكر ابن المكي أن فيه لمالك ثاني ثقيل بالوسطى .

ومنها⁴ :

[من مجزوء الرمل]

صوت

هل إلى أم سعيد من رسول أو سبيل
 ناصح يُخبر أني حافظٌ ودُّ خليل
 يبذل الودَّ لغيري وأكافي بالجميل
 لست أرضى لخليلي من وصالي بالقليل

غنَّاه عمر الوادي هزجاً خفيفاً بالسَّبابة في مجرى الوسطى .

ومنها⁵ :

[من مجزوء الرمل]

1 السعادة في الديوان : والمودة (طبعة دار الكتاب الجديد) .

2 ديوان الوليد : ص 14 ، رقم 2 عن الأغاني .

3 اللهاميم : جمع لهموم وهو الجواد من الناس والخيـل .

4 ديوانه : ص 72 ، رقم 77 عن الأغاني .

5 ديوان الوليد : ص 26-27 ، رقم 18 عن الأغاني .

صوت

طاف من سلمى خيالاً بعد ما نمتُ فهاجا
قلت عُجْ نحوي أسأئِلْ لك عن الحبِّ فعاجا
يا خليلي يا نديمي قم فأنفُتْ لي سراجاً¹
بفلاةٍ ليس تُرعى أنبتتُ شيحاً وحاجاً²

غناه عمر الوادي ثانيَ ثَقِيلَ بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج فيه خفيفُ رمل بالوسطى
عن حبش . ولأبي سلمى المدني ثَقِيلُ أوَّلَ عن ابن خُرْداذبَه .
ومنها³ :

[من الرمل]

صوت

أُمَّ سَلَامٍ أَثِيبي عاشقاً يعلم الله يقيناً رُبّه
أنكم من عيشه في نفسه يا سليمى فاعلميه حَسْبُه
فارحميه إنه يَهْذِي بكم هائمٌ صبٌّ قد آوَدَى قلبه
أنتِ لو كنتِ له راحمةً لم يُكَدِّرْ يا سليمى شربُه

غناه حَكَمٌ رملًا بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أن فيه لابن
سريج رملًا بالوسطى .
ومنها⁴ :

[من الخفيف]

صوت

ربَّ بيتٍ كأنه متن سهم سوف تأتيه من قُرى بيروتِ
من بلادٍ ليست لنا ببلاد كلما جئت نحوها حُييتِ
أُمَّ سَلَامٍ لا بَرَحْتَ بخير ثم لا زلتِ جتتي ما حَييتِ
طرباً نحوكم وتوقاً وشوقاً لأدْكَارِكُم وطيبِ المييتِ
حيثما كنتِ من بلادٍ وسرتم فوقاك الإله ما قد خَشِيتِ

في البيت الأول والثاني لابن عائشة ثَقِيلُ أوَّلَ بالسبابة في مجرى البنصر عن الهشامي ،

1 أنفث : قطع همزة الوصل للضرورة .

2 الحاج : نبت من الحمض .

3 ديوانه : ص 18 ، رقم 6 عن الأغاني .

4 ديوانه : ص 25 ، رقم 16 عن الأغاني .

وذكر غيره أنه لإبراهيم . وفي الثالث وما بعده والثاني لابن عائشة أيضاً رمل بالوسطى ،
ولابن سريج خفيف رمل بالنصر . وقيل : إن الرمل لعمر الوادي ، وهو أن يكون له أشبه .
ومنها¹ :

صوت

طَرَقْتَنِي وَصِحَابِي هُجُوعٌ ظَبِيَّةٌ أَذْمَاءُ مِثْلُ الْهَلَالِ
مِثْلُ قَرْنِ الشَّمْسِ لَمَّا تَبَدَّتْ وَاسْتَقَلَّتْ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ
تَقْطَعُ الْأَهْوَالَ نَحْوِي وَكَانَتْ عِنْدَنَا سَلْمَى الْوَفِّ الْحِجَالِ
كَمْ أَجَازَتْ نَحْوَنَا مِنْ بِلَادٍ وَخَشِيَّةٌ قَتَالَةٍ لِلرِّجَالِ
لابن محرز فيه ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق في الثاني والثالث . ولابن
سريج في الأول وما بعده خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيه لحن لابن عائشة ذكر
الهشامي أنه رمل بالوسطى . وفيه خفيف رمل يُنسب إلى ابن سريج وعمر الوادي .
ومنها² :

صوت

أَنَا الْوَلِيدُ الْإِمَامُ مُفْتَخِرًا أَنْعِمَ بَالِي وَأَتْبَعَ الْغَزَلَ
أَهْوَى سُلَيْمَى وَهِيَ تَصْرِمُنِي وَلَيْسَ حَقًّا جَفَاءً مِنْ وَصَلَا
أَسْحَبَ بُرْدِي إِلَى مَنَازِلِهَا وَلَا أُبَالِي مَقَالَ مِنْ عَذْلَا³
غَنَى فِيهِ أَبُو كَامِلٍ رَمْلًا بِالْبَنْصَرِ . وَغَنَى عَمْرُ الْوَادِي فِيهِ خَفِيفَ رَمْلٍ بِالْوَسْطَى ، وَيَقَالُ
إِنَّ هَذَا اللَّحْنَ لِلْوَلِيدِ .
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : قال الوليد على لسان سلمى⁴ : [من الخفيف]

صوت

إِقْرَ مَنْنِي عَلَى الْوَلِيدِ السَّلَامَا عَدَدَ النِّجْمِ قَلَّ ذَا لِلْوَلِيدِ
حَسَدًا مَا حَسَدْتُ أُخْتِي عَلَيْهِ رَبُّنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَعِيدِ
غَنَاهُ الْهَذَلِيُّ خَفِيفَ ثَقِيلَ أَوَّلَ بِالْوَسْطَى عَنْ ابْنِ الْمَكِيِّ .

1 ديوان الوليد : ص 73 ، رقم 79 عن الأغاني .

2 ديوان الوليد : 68 ، رقم 72 .

3 أسحب بُردِي إلى منازلها في الديوان : أنقلُ رجلي إلى مجالسها (طبعة دار الكتاب الجديد) .

4 ديوانه : ص 37 ، رقم 33 .

[غضب على جاريته صدوف ثم صالحها]

حدثني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثنا خالد بن النَّضر القرشيَّ بالبصرة قال حدثنا أبو حاتم السَّجِسْتَانِي قال حدثنا العتيبي قال : كانت للوليد بن يزيد جارية يقال لها صدوف ؛ فغاضبها ، ثم لم يُطعمه قلبه فجعل يتسبب لصلحها ، فدخل عليه رجل قرشي من أهل المدينة فكلّمه في حاجة وقد عرف خبره ، فبرم به ؛ فأنشده :

[من الكامل]

أَعْتَبْتُ أَنْ عَتَبْتُ عَلَيْكَ صَدُوفُ وَعَتَابُ مِثْلِكَ مِثْلُهَا تَشْرِيفُ
لَا تَقْعُدَنَّ تَلُومَ نَفْسِكَ دَائِمًا فِيهَا وَأَنْتَ بِحَبِّهَا مَشْغُوفُ
إِنْ الْقَطِيعَةُ لَا يَقُومُ لِمِثْلِهَا إِلَّا الْقَوِيُّ ، وَمَنْ يَحِبُّ ضَعِيفُ
الْحَبُّ أَمْلَكُ بِالْفَتَى مِنْ نَفْسِهِ وَالذَّلُّ فِيهِ مَسْلُوكُ مَالُوفُ

قال : فضحك وجعل ذلك سبباً لصلحها ، وأمر بقضاء حوائج القرشي كلها .

[استقدم حمادا الراوية ليسأله عن شعر]

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال قال حماد الراوية : إستدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بالفين لنفقتي وألفين لعيالي ، فقدمت عليه ، فلما دخلت داره قال لي الخدم : أمير المؤمنين من خلف الستارة الحمراء ، فسلمت بالخلافة ؛ فقال لي : يا حماد ؛ قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ؛ قال : «ثم ثاروا» ؛ فلم أدر ما يعني فقال : ويحك يا حماد ! «ثم ثاروا» ؛ فقلت في نفسي : رواية أهل العراق لا يدري عما يسأل ! ثم انتهت فقلت : [من الخفيف]

ثَم ثَارُوا إِلَى الصُّبُوحِ فَقَامَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ
قَدَّمَتْهُ عَلَى عُقَارٍ كَعِينِ الْـ دَيْكَ صَفَى سُلَافَهَا الرَّأُوقُ
ثَم فُضَّ الْخِتَامُ عَنْ حَاجِبِ الدَّ نَّ وَقَامَتْ لَدَى الْيَهُودِيِّ سُوْقُ
فَسَابَهَا مِنْهُ أَشْمُ عَزِيزِ أَرْحِي غِذَاهُ عَيْشُ رَقِيقُ

الشعر لعدي بن زيد . والغناء لحنين خفيف ثقیل أول بالنصر . وفيه لملك خفيف رمل . ولعبد الله بن العباس الربيعي رمل ، كل ذلك عن الهشامي . قال : فإذا جارية قد أخرجت كفاً لطيفة من تحت الستر في يدها قدح ، والله ما أدري أيهما أحسن الكف أم القدح ؛ فقال : ردّيه فما أنصفناه ! تغدينا ولم نغده ! فأتيت بالغداء ، وحضر أبو كامل مولاه فغناه¹ :

[من مجزوء الرمل]

صوت

أَدِرِ الكَأْسَ يَمِينَا لَا تُدِرْهَا لَيْسَارِ
 إِسْقِ هَذَا ثُمَّ هَذَا صَاحِبَ الْعُودِ النَّضَارِ
 مَنْ كُمَيْتٌ عَتَّقُوهَا مِنْذُ دَهْرٍ فِي جِرَارِ
 خَتَمُوهَا بِالْأَفَاوِيهِ هُوَ وَكَافُورٍ وَقَارِ
 فَلَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنِّي غَيْرُ مَبْعُوثٍ لِنَارِ
 سَأَرَوْضُ النَّاسِ حَتَّى يَرْكَبُوا أُيْرَ الْحَمَارِ¹
 وَذَرُّوا مَنْ يَطْلُبُ الْجَدَّ سَنَةَ يَسْعَى لِتَبَارِ²

فيه هزجان بالوسطى والبصر لعمر الوادي وأبي كامل ، فطرب وبرز إلينا وعليه غلالة موردة ، وشرب حتى سكر . فأقمت عنده مدة ثم أذن بالانصراف ؛ وكتب لي إلى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم .

[حكايات تروى عن تهتكه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائنيّ قال : لما ولي الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب والصيد ، وحمل المغنين من المدينة وغيرها إليه وأرسل إلى أشعب فجاء به ، فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب ، وقال له : ارقصْ وغنني شعراً يُعجبني ؛ فإن فعلتْ فلك ألف درهم ؛ فغناه فأعجبه فأعطاه ألف درهم .
 ودخل إليه يوماً ، فلما رآه الوليد كشف عن أذنيه وهو مُنعط ، قال أشعب : فرأيتُه كأنه زممار ابنوس مدهون ، فقال لي : رأيتَ مثله قط ؟ قلت : لا يا سيدي ؛ قال : فاسجدْ له ، فسجدت ثلاثاً ؛ فقال : ما هذا ؟ قلت : واحدة لأترك وثنتين لخُصيتيك . قال : فضحك وأمر لي بجائزة .

قال : وتكلم بعض جلسائه والمغنية تغني ، فكره ذلك وأضجره ؛ فقال لبعض جلسائه : قُمْ فَنِكَهُ ، فقام فناكه والناس حضورٌ وهو يضحك .
 وذكرت جاريةً أنه واقعها يوماً وهو سكران ، فلما تنحى عنها آذنه المؤذن بالصلاة ، فحلف ألا يصلي بالناس غيرها ؛ فخرجت متلثمةً فصلت بالناس .

1 أير في ل والديوان : دين الحمار .

2 رواية الديوان : وارتكا من طلب الجد سنة يسعى في خسار

(طبعة دار الكتاب الجديد) .

قال : ونزل على غدِير ماء فاستحسنه . فلما سَكِرَ حلف ألا يبرحَ حتى يشربَ ذلك الغدير كله ونام ، فأمر العلاء بن البُندار بالقرْب والرَّوَايا فأحضرت ، فجعل ينزحه ويصبه على الأرض والكتِّب التي حولهم حتى لم يبق فيه شيء ؛ فلما أصبح الوليد رآه قد نشِفَ فطرب وقال : أنا أبو العباس ! ارتحلوا . فارتحل الناس .

نسختُ من كتاب الحسين بن فهم قال النضر بن حديد حدَّثني ابن أبي جَنَاح قال أخبرني عمر بن جبلة : أنَّ الوليد بن يزيد بات عند امرأة وعدته المبيت ؛ فقال حين انصرف¹ :

قامت إليّ بتقبيل تعانقني	رَبِّا العظام كأن المسك في فيها
أدخل فديتك لا يشعرُ بنا أحدٌ	نفسى لنفسك من داء تُفديها
بتنا كذلك لا نومٌ على سرُّر	من شدة الوجد تُدْثيني وأدنيها
حتى إذا ما بدا الخيطان قلت لها	حان الفراق فكاد الحزن يُشجِها
ثم انصرفت ولم يشعر بنا أحدٌ	والله عني بحسن الفعل يجزيها

[استسقى من بني كلب]

وحدَّثني النضر بن حديد قال حدَّثنا هشام بن الكلبي عن خالد بن سعيد قال : مرَّ الوليد بن يزيد وهو متصيّد بنسوة من بني كلب من بني المنجاب ، فوقف عليهن واستسقاھن وحدّثهن وأمر لهنّ بصلة ، ثم مضى وهو يقول² :

ولقد مررت بنسوة أعشيني	حور المدامع من بني المنجاب
فيهنّ خرعةٌ مليحٌ دلّها	غرثى الوشاح دقيقة الأنياب ³
زَيْنُ الحواضر ما ثَوَتْ في حَضْرها	وتزيّنُ باديها من الأعراب

[أطلق غزالاً صاده]

قال النضر وحدَّثني ابن الكلبي عن أبيه : أنَّ الوليد خرج يتصيّد ذات يوم ، فصادت كلابه غزالاً ، فأتي به فقال : خلّوه ، فما رأيت أشبه منه جيداً وعينين بسلمى . ثم أنشأ يقول⁴ :

1 ديوان الوليد : ص 92 ، رقم 108 عن الأغاني .

2 ديوان الوليد : ص 20 ، رقم 9 عن الأغاني .

3 الخرعة : اللينة الرخصة الحسنة الخلق . وعرثى الوشاح : دقيقة الخصر .

4 ديوانه : ص 29 ، رقم 20 .

[من الرمل]

ولقد صِدْنَا غَزَالاً سَانِحاً قد أردنا ذبحه لما سَنَحْ
 فإذا شِئْهُكَ ما نُنْكَرُهُ حين أَرْجَى طَرْفَهُ ثم لَمَحْ¹
 فتركناه ولولا حُبِّكُمْ فاعلمي ذاك لقد كان انذِبحْ
 أَنْتَ يَا ظَبِي طَلِيقٌ آمِنٌ فاغْدُ فِي الْغِزْلَانِ مَسْرُوراً وَرُحْ

[مماجنته شراعة بن الزندبوذ]

نسختُ من كتاب الحسين بن فهم قال أخبرني عمرو عن أبيه عن عمرو بن واقد
 الدمشقي قال : بعث الوليد بن يزيد إلى شراعة² بن الزندبوذ ؛ فلما قدم عليه قال : يا
 شراعة ، إني لم أستحضرَكَ لأسألك عن العلم ولا لأستفتيك في الفقه ولا لتحدثني ولا
 لتقرئني القرآن ؛ قال : لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حماراً . قال : فكيف علمك
 بالفتوة ؟ قال : ابنُ بَجْدَتِها ، وعلى الخبر بها سقطت ، فسَلْ عما شئت . قال : فكيف
 علمك بالأشربة ؟ قال : ليسألني أمير المؤمنين عما أحب . قال : ما قولك في الماء ؟ قال :
 هو الحياة ، ويشركني فيه الحمار . قال : فاللبن ؟ قال : ما رأيته قطّ إلا ذكرت أمي
 فاستحيْتُ . قال : فالخمر ؟ قال : تلك السارة البارة وشرابُ أهل الجنة . قال : لله
 درك ! فأَيُّ شيء أحسن ما يُشرب عليه ؟ قال : عجبتُ لمن قَدَّر أن يشرب على وجه
 السماء في كِنٍّ من الحرِّ والقرِّ كيف يختار عليها شيئاً !

[الوليد وحادثة المصحف]

قال وأخبرنا عمرو عن أبيه عن يحيى بن سليم قال : دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة
 بمصحف ؛ فلما فتحه وافق ورقة فيها : ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . مِنْ وَرَائِهِ
 جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ . فقال : أَسْجَعاً سَجْعاً ! علقوه ؛ ثم أخذ القوس والنبل فرماه
 حتى مزقه ؛ ثم قال³ :

أَتُوْعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فها أنا ذاك جبار عنيدُ
 إذا لاقيتَ ربَّكَ يومَ حَشِرٍ فقل لله مَزَقَنِي الوليدُ⁴
 قال : فما لبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى قتل .

1 أَرْجَى لعلها أرخى .

2 كان أحد المجان الندماء وسيكثر ذكره في الأغاني .

3 ديوان الوليد : ص 35 ، رقم 29 .

4 مزقني في ل والديوان : خرقني .

[غضب على جارية لم تغن كما أمرها]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني معاوية بن بكر عن يعقوب بن عياش المروزي (من أهل ذي المروة) أن أباه حمل عدة جوارٍ إلى الوليد بن يزيد ؛ فدخل إليه وعنده أخوه عبد الجبار وكان حسن الوجه والشعرة وفيها ؛ فأمر الوليد جاريةً منهم أن تغني¹ :

لو كنت من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أو أصحاب اللوا الصيّد
وأمرها أخوه أن تغني² :

أتعجب أن طربت لصوت حادٍ حداً بزلأً يسرن بيطن وادٍ
فغنت ما أمرها به الغمر³ ؛ فغضب الوليد واهمر وجهه ، وظن أنها فعلت ذلك ميلاً إلى أخيه ، وعرفت الشر في وجهه ، فاندفعت فغنت⁴ :

صوت

أيُّها العاتبُ الذي خاف هجري	وبعادي وما عمَدْتُ لذاكا
أُترى أنني بغيرك صبٌّ	جعل الله من تظنُّ فداكا
أنت كنتَ الملولَ في غير شيء	بئس ما قلت ليس ذاك كذاكا
ولَوْ أنَّ الذي عبتَ عليه	خيرَ الناسَ واحداً ما عداكا
فأرضَ عني جُعَلْتُ نعليك إنِّي	والعظيمَ الجليلَ أهوى رضاكا

الشعر لعمر . والغناء لمعبد من روايتي يونس وإسحاق ، ولحنه من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البصر . وذكر حماد في أخبار ابن عائشة أن له فيه لحناً . قال : فسُري عن الوليد وقال لها : ما منعك أن تغني ما دعوتك إليه ؟ قالت : لم أكن أحسنه ، وكنت أحسن الصوت الذي سألني ، أخذته من ابن عائشة ؛ فلما تبينت غضبك غنيتُ هذا الصوتَ وكنت أخذته من معبد . تعني الذي اعتذرت به إليه .

1 البيت لحسان بن ثابت في ديوانه : 349 .

2 البيت لجميل بن معمر . ديوانه : 49 .

3 ذكر أبو الفرج في الخبر أن أخاه الذي كان عنده هو عبد الجبار .

4 أبيات عمر في ديوانه : 288 مع اختلاف في اللفظ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء صوت

[من البسيط]

لو كنتَ من هاشمٍ أو من بني أسد أو عبد شمسٍ أو أصحاب اللّوا الصّيدِ
أو من بني نوفلٍ أو آل مُطَلِّبٍ أو من بني جُمَحَ الخُضَرِ الجَلَا عِيدِ
أو من بني زُهْرَةَ الأبطالِ قد عُرِفُوا لله دُرُكٌ لم تَهْمُهمُ بتهديدِ
الشعر لحسان بن ثابت ، يقوله لمُسايع بن عياض أحد بني تيم بن مرة ، وخبره يذكر بعد هذا . والغناء لابن سريج خفيف رمل بالخنصر ، وقيل : إنه لمالك .
ومنها :

[من البسيط]

صوت

أتعجّب أن طربتُ لصوت حادٍ حدا بُزلاً يَسِرْنَ بيطنٍ وإِ
فلا تعجّب فإن الحبّ أَمسى لبُشة في السّواد من الفؤادِ
الشعر لجميل . والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر .

[يشترى جارية غنته بشعر المخزومي]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شُبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال : عُرِضَتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ مغنّيةٌ ، فقال لها : غنّي ، فغنّت¹ : [من السريع]

صوت

لولا الذي حُمِلْتُ من حُبِّكم لكان من إظهاره مَخْرُجُ
أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ أَجَلٌ ومن حَجَّتْ له مَذْجُ
لكن سباني منهم شادنٌ مرَبِّ بينهم أَدْعُجُ
أغرُّ ممكورٌ هَضيْمُ الحَشَى قد ضاق عنه الحَجَلُ والدُّمْلُجُ

فقال لها الوليد : لمن هذا الشعر ؟ قالت : للوليد بن يزيد المخزومي . قال : فمِمَّنْ أخذت الغناء ؟ قالت : من حُنين . فقال : أعيديه ، فأعادته فأجادت ؛ فطرب الوليد ونعّر وقال : أحسنت وأبي وجمعت كل ما يُحتاج إليه في غنائك ، وأمر بابتاعها ، وحطّيت عنده .
غنّي في هذا الصوت ابن سريج ، ولحنه رمل بالبنصر . وغنّي فيه إسحاق فيما ذكر

1 تقدّم هذا الخبر في هذه الترجمة ، وهناك نسب الشعر إلى الحارث بن خالد المخزومي (صفحة 20) .

المشاميّ خفيفَ ثَقِيلٍ .

ومّا يَغْنَى به من هذه القصيدة :

[من السريع]

صوت

قد صرّح القوم وما لَجَلَجُوا لَجُوا علينا ليت لم يَلَجَجُوا
باتوا وفيهم كالمها طفلة قد زانها الخلخال والدُمْلُجُ

غناه صباح الخياط خفيفَ ثَقِيلٍ بالنصر . وغنّى فيه ابن أبي الكَنَات خفيفَ ثَقِيلٍ
بالوسطى .

[حسان بن ثابت وهجوه مسافع بن عياض]

فأما خبر الشعر الذي قاله حَسَّان بن ثابت لمُسَافِع بن عِيَاض أحد بني تَيْم بن مُرَّة ،
فأخبرني به الحَرَمِيُّ بن أَبِي العَلَاء قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حَدَّثَنَا عثمان بن عبد الرحمن :
أنَّ عُبَيْد الله بن مَعْمَر وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز اشتريا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه
رقيقاً ثَمَن سُبَي ، ففضل عليهما ثمانون ألف درهم ؛ فأمر بهما عمر أن يُلْزَمَا . فمرَّ بهما
طلحة بن عُبيد الله وهو يريدُ الصلاةَ في مسجد رسولِ الله ﷺ فقال : ما لابن مَعْمَرٍ يُلْزَم ؟
فأخبر خبره ؛ فأمر له بالأربعين ألفاً التي عليه تُقْضَى عنه . فقال ابن معمر لابن عامر : إنها إن
قُضِيَتْ عَنِّي بَقِيَتْ مُلَازِماً ، وإن قُضِيَتْ عَنكَ لم يتركني طلحة حتى يَقْضِيَ عَنِّي ؛ فدفع إليه
الأربعين ألفاً درهم ففرضاها ابن عامر عن نفسه وُخِّلَتْ سَبِيلُهُ . فمرَّ طلحة منصرفاً من الصلاة
فوجد ابنَ معمر يُلْزَم فقال : ما لابن معمر ؟ ألم أَمُرَّ بالقضاء عنه ! فأخبر بما صنع ؛ فقال :
أما ابن معمر فعلم أن له ابن عمّ لا يُسَلِّمُهُ ، إِحْمِلُوا عنه أربعين ألف درهم فاقضوها عنه ،
ففعَلُوا وُخِّلَ سَبِيلُهُ . فقال حَسَّان بن ثابت لمُسَافِع بن عِيَاض بن صخر بن عامر بن كعب بن
سعد بن تَيْم بن مُرَّة :

[من البسيط]

قَبْلَ القِذَافِ بَصُمٌ كالجلاميدِ
إن عاد ما اهتزَّ ماءً في ثَرَى عودِ
أو عبد شمس أو أصحاب اللّوا الصَّيْدِ
أو من بني جُمَحَ الخُضِرِ الجَلَاعِيدِ²

يا آلَ تَيْم أَلَا تَنْهَوْنَ جاهلكم
فَنَهْنُهُوه فَإِنِّي غَيْرُ تارِككم¹
لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد
أو من بني نوفل أو آل مُطَلِّبٍ

1 نههوه : ازجروه وكفوه .

2 الجلاعيد : الشداد الصلاب .

أَوْ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ الْأَبْطَالِ قَدْ عُرِفُوا اللَّهُ دَرُّكَ لَمْ تَهْمُمْ بِتَهْدِيدِ
أَوْ فِي الذُّوَابَةِ مِنْ تَيْمٍ إِذَا انْتَسَبُوا أَوْ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ الْبَيْضِ الْأَمَاجِيدِ
لَكِنْ سَأَصْرِفُهَا عَنْكُمْ وَأَعْدِلُهَا لَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ذِي الْجُودِ

رجع الخبر إلى سياقة أخبار الوليد

[الوليد وأبو الأقرع]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال قال الهيثم حدثني ابن عِيَّاش قال : دخل أبو الأقرع¹ على الوليد بن يزيد ؛ فقال له : أنشدني قولك في الخمر ؛ فأنشده قوله :

كُمَيْتٌ إِذَا شَجَّتْ فِي الْكَأْسِ وَرْدَةٌ لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبٌ
تُرِيكَ الْقَذَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ لَوْجُهُ أَخِيهَا فِي الْإِنَاءِ قُطُوبٌ

فقال الوليد : شربتها يا أبا الأقرع ورب الكعبة ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لكن كان نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك بها .

[إعجابه بأم حبيب]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مَهْرُويه قال حدثني عبد الله بن عمرو قال قال المدائني : نظر الوليد بن يزيد إلى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن بن عَوْفٍ وقد مرّوا بين يديها بالشمع ليلاً ، فلما رآها أعجبته وراعه جمالها وحسنها ؛ فسأل عنها فقيل له : إن لها زوجاً ؛ فأنشأ يقول² :

صوت

إِنَّمَا هَاجَ لِقَلْبِي شَجْوَهُ بَعْدَ الْمَشِيبِ
نَظْرَةٌ قَدْ وَقَرَتْ فِي الْـ قَلْبٍ مِنْ أَمِّ حَبِيبِ
فَإِذَا مَا ذَقْتُ فَاهَا ذَقْتُ عَذْباً ذَا غُرُوبٍ³
خَالِطَ الرَّاحِ بِمَسْكِ خَالِصٍ غَيْرِ مَشُوبِ

غناه ابن محرز خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي ؛ وذكر عمرو بن بانة أنه للأبجر ، وهو الصحيح .

1 سترجم له أبو الفرج فيما بعد .

2 ديوان الوليد : ص 19-20 ، رقم 8 عن الأغاني .

3 الغروب : جمع غرب وهو كثرة ريق الفم وبلله . وغروب الأسنان : مناع ريقها .

[الوليد بن يزيد في آخر دولته]

أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن النضر بن عمرو عن العنبي قال : لما ظهرت
المسودة¹ بخراسان كتب نصر بن سيار إلى الوليد² يستمده ، فتشأغل عنه ؛ فكتب إليه كتاباً
وكتب في أسفله يقول :

أرى خلل الرماد وميض جمرٍ وأحر بأن يكون له ضرامٌ
فإن النار بالعودين تذكي وإن الحرب مبدؤها الكلامُ
فقلت من التعجب ليت شعري أليقاًظ أمية أم نيامُ

فكتب إليه الوليد : قد أقطعتك خراسان ، فاعمل لنفسك أو دَع ، فإني مشغول عنك
بابن سريج ومعبد والغريض .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن ابن
الصباح عن ابن الكلبي عن حماد الراوية قال : دخلت يوماً على الوليد وكان آخر يوم لقيته فيه ،
فاستنشدني فأنشدته كل ضرب من شعر أهل الجاهلية والإسلام ؛ فما هَشَ لشيء منه حتى
أخذت في السُخف فأنشدته لعمار ذي كناز³ مجنباً⁴ :

أشتهي منك منك مند ك مكاناً مُجنباً
فأجاً فيه فيه فيه ه بأير كمثل ذا
ليت أيري وحرك يو ماً جميعاً تجانداً
فأخذ ذا بشعر ذا وأخذ ذا بقعر ذا

فضحك حتى استلقى وطرب ، ودعا بالشراب فشرب ؛ وجعل يستعيدني الأبيات
فأعيدها حتى سكر وأمر لي بجائزة ؛ فعلمت أن أمره قد أدير . ثم أدخلت على أبي مسلم
فاستنشدني فأنشدته ، قول الأفوه⁵ :

لنا معاشر لم يبنوا لقومهم

1 المسودة : دعا بني العباس .

2 في الطبري (أحداث سنة 129) وغيره من كتب التاريخ أنه بعث بهذه الأبيات إلى مروان بن محمد آخر خلفاء
بني أمية .

3 شاعر ماجن سترجم له أبو الفرج فيما بعد .

4 لعل المقصود الأبيات التي ترد هذه الكلمة في مطلعها والمجنبذ : المرتفع .

5 هو الأفوه الأودي صلاة بن عمرو وسيرجم له أبو الفرج فيما بعد .

فلَمَّا بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

[من البسيط]

تُهْدَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرُّشْدِ مَا صَلَحَتْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُ فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ
قَالَ : أَنَا ذَلِكَ الَّذِي تَنْقَادُ بِهِ النَّاسُ ؛ فَأَيَقَنْتُ حِينَئِذٍ أَنَّ أَمْرَهُ مُقْبِلٌ .

[خطب يوماً خطبة الجمعة بشعر]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : وجدتُ في كتاب عن عبيد الله بن سعيد الزُّهْرِيِّ عن
عمر عن أبيه قال : خرج الوليد بن يزيد وكان مع أصحابه على شراب ؛ فقبل له : إنَّ اليوم
الجمعة ؛ فقال : والله لأخطبَنَّهُم اليوم بشعر ؛ فصعد المنبر فخطب فقال¹ : [من الرجز]

الحمد لله وليَّ الحمدِ	أحمدهُ في يُسرنا والجَهْدِ
وهو الذي في الكرب أستعينُ	وهو الذي ليس له قرينُ
أشهد في الدنيا وما سواها	أن لا إله غيره إلها
ما إن له في خلقه شريكُ	قد خضعتُ لملكه الملوكُ
أشهد أن الدين دينُ أحمدِ	فليس من خالفه بمهتدي
وأنه رسولُ ربِّ العرشِ	القادرِ الفردِ الشديدِ البطشِ
أرسله في خلقه نذيراً	وبالكتاب واعظاً بشيراً
ليُظهرَ اللهَ بذاك الدِّينا	وقد جُعِلْنَا قَبْلُ مُشْرِكِينَا
من يُطِيعَ اللهَ فقد أصابا	أو يَعْصِهِ أو الرسولَ خابا
ثم القرآنُ والهدى السبيلُ	قد بقيا لما مضى الرسولُ
كانه لما بقي لديكم	حيُّ صحيحٌ لا يزال فيكم
إنكم من بعدُ إن تزَلُّوا	عن قصده أو نهجه تَضِلُّوا
لا تتركُنْ نصحي فَإِنِّي ناصحُ	إنَّ الطريقَ فاعلمنَّ واضحُ
من يَتَّقِ اللهَ يَجِدْ غِبَّ التَّقَى	يوم الحساب صائراً إلى الهدى
إن التَّقَى أفضلُ شيءٍ في العملِ	أرى جماعَ البرِّ فيه قد دخلُ
خافوا الجحيمَ إخوتي لعلكم	يومَ اللقاء تعرفوا ما سرَّكم
قد قيل في الأمثال لو علمتم	فانتفعوا بذاك إن عَقَلْتُمْ

ما يزرعُ الزارعُ يوماً يحصدُهُ وما يقدّم من صلاح يحمدُهُ
فاستغفروا ربّكم وتوبوا فالموتُ منكم فاعلموا قريبُ

ثم نزل .

[الوليد بن يزيد والوليد البندار]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه عن الوليد البندار¹ قال : حَجَجْتُ مع الوليد بن يزيد ؛ فقلتُ له لما أراد أن يخطبَ الناسَ : أيها الأمير ؛ إِنَّ الْيَوْمَ يَوْمٌ يَشْهَدُهُ النَّاسُ مِنْ جَمِيعِ الْأَفَاقِ ، وأريد أن تشرفني بشيء .

قال : وما هو ؟ قلتُ : إذا علوت المنبر دعوتَ بي فيتحدّث الناس بذلك وبأنك أُسرّرتَ إليّ شيئاً ؛ فقال : أفعلُ . فلما جلس على المنبر قال : الوليد البندار ؛ فقمْتُ إليه ، فقال : ادنُ مِنِّي فدنوتُ ؛ فأخذ بأذني ثم قال : البندار ولدُ زنا ، والوليدُ ولدُ زنا ، وكلُّ من ترى حولنا ولدُ زنا ، أفهمت ؟ قلتُ : نعم ؛ قال : انزل الآن ، فنزلتُ .

[نادرة مع أشعب]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ عن أشعب قال : دخلتُ على الوليد بن يزيد الخاسر وقد تناول نبیذاً ، فقال لي : تَمَنّ ؛ فقلت : يتمنّى أمير المؤمنين ثم أتمنّى ؛ قال : فإنما أردت أن تعلّيني ، فإنّي لأتمنّى ضعفَ ما تتمنّى به كائناً ما كان ؛ قلت : فإنّي أتمنّى كِفْلَيْنِ² من العذاب ؛ فضحك ثم قال : إذا نوفرهما عليك . ثم قال لي : ما أشياء تبُلّغني عنك ؟ قلتُ : يكذبون عليّ . قال : متى عهدك بالأصم ؟ قلتُ : لا عهد لي به . فأخرج أيره كأنه نايّ مدهون ، فسجدتُ له ثلاثَ سجّدات ؛ فقال : وَبِئْسَ الْإِنَّمَا يَسْجُدُ النَّاسُ سَجْدَةً وَاحِدَةً ؛ فقلت : واحدةً للأصمِّ واثنتين لخصيتيك .

[يغالي بالجوهر]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا محمد بن عليّ بن حمزة قال حدّثني عبد الصمد بن موسى الهاشميّ قال : إِنَّمَا أَغْلَى الْجَوْهَرَ بَنُو أُمَيَّةَ ؛ ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ويغيّرها في اليوم مراراً كما تُغيّر الثياب شغفاً ؛ فكان يجمعه من كلِّ وجه ويُغالي به .

[برز للناس راكباً فرساً]

قال : وكان يوماً في داره على فرس له وجاريةٌ تضربُ بطليل قدامه ؛ فأخذه منها ووضعهُ على رقبته ، وقهرَ الفرسُ من صوت الطبل فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة ، وكان خليعاً .

1 البندار : الخازن .

2 الكفل : الصيب .

[قدم المدينة وبعث لابن يسار بخمر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا الخزاز عن المدائنيّ عن جويرية بن أسماء قال : قدم الوليد بن يزيد المدينة ؛ فقلت لإسماعيل بن يسار : أخذنا¹ مما أعطاك الله ؛ فقال : هلمّ أقاسمك إن قبلت ، بعث إليّ براوية² من خمر .

[أمر بإسكار حاجبه وكان لا يشرب]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمّي مصعب قال حدثني رجل قال : كان الوليد بن يزيد إذا أصبح يوم الاثنين تغدّى وشرب رطلين ثم جلس للناس . قال : فحدثني عمر الوادي قال : دخلت عليه وعنده أصحابه وقد تغدّى وهو يشرب ؛ فقال لي : اشرب فشربت ، وطرب ، وغنى صوتاً واحداً وأخذ دقافة فدفف بها ، فأخذ كل واحد منا دقافة فدفف بها ، وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجب ؛ فلما رأنا الحاجب صاح بالناس : الحرّم الحرّم ؛ اخرجوا . ودخل الحاجب فقال : جعلني الله فداءك ، اليوم يحضر فيه الناس ؛ فقال له : اجلس واشرب ؛ فقال : إنّما أنا حاجب فلا تحملني على الشراب فما شربته قط ؛ قال : اجلس فاشرب ، فامتنع ؛ فما فارقناه حتى صببنا في حلقه بالقمع وقام وهو سكران .

[افترى عليه افتراءه ابنته]

أخبرني أحمد بن عبيد بن عمّار قال حدثني يعقوب بن شريك قال حدثني عمّي علي بن عمرو قرقارة قال حدثني أنيف بن هشام بن الكلبيّ ومات قبل أبيه قال حدثني أبي قال : خرج الوليد بن يزيد من مقصورة له إلى مقصورة ؛ فإذا هو بينت له معها حاضيتها ، فوثب عليها فافترعها ؛ فقالت له الحاضنة ؛ إنها المجوسية ؛ قال : اسكتي ! ثم قال : [من مخلع البسيط]

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَارَ بِاللَّذَةِ الْجَسُورُ

وأحسب أنا أنّ هذا الخبر باطل ؛ لأنّ هذا الشعر لسلم الخاسر ، ولم يدرك زمن الوليد .

[تمنى غلاء الخمر وعزة النساء]

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصليّ قال أخبرني مسلمة بن سلّم الكاتب قال : قال الوليد بن يزيد : وددت أن كل كأس تُشرب من خمر بدينار ، وأن كل جرّ في جبهة أسد ، فلا يشرب إلّا سخي ، ولا ينكح إلّا شجاع .

[شرب شرب الفرس]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمّي مصعب قال :

1 أخذنا : أعطنا .

2 الراوية : القرية .

سمعتُ رجلاً يحدث أبي بالكوفة قال : أرسلت إلى الوليد جَفَنَةً مملوءةً قواريرَ فرعونيةً لم يُرْ مثلُها قطّ . فلما أُمسينا صَبَبْنَا فيها الشراب في ليلة أربع عشرة ، حتى إذا استوى القمر على رؤوسنا وصار في الجفنة قال الوليد : في أيّ منزلةِ القمرِ الليلة ؟ فقال بعضهم : في الحَمَل ، وقال بعضهم : في منزلة كذا وكذا من منازل القمر ؛ فقال بعض جلسائه : القمرُ في الجفنة ؛ قال : قَاتَلَكُ اللهُ ! أَصَبْتَ ما في نفسي ! لَتَشْرِبَنَّ الهفتجَنَةَ¹ . فقال مصعب : فسأل أبي عن الهفتجَنَةِ فقال : شَرِبَ كانت الفرسُ تشربه سبعةً أسابيع . فشرب تسعةً وأربعين يوماً .

[رثاء ابن أذينة لأخيه]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريّ عن عبد الله بن عِمْران بن أبي فَرَوَةَ قال أخبرني خالد صامة المغنّي وكان من أحسن الناس غناءً على عودٍ قال : بعث إليّ الوليد بن يزيد ، فقدمتُ عليه ، فوجدتُ عنده معبداً ومالكاً والهذليّ وعمر الوادي وأبا كامل ؛ فغنّى القوم ونحن في مجلس يا له من مجلس ! وغلامٌ للوليد يقال له سَبْرَةٌ يسقي القومَ الطَّلَاءَ ، إذ جاءت نوبةُ الغناء إليّ ، فأخذتُ عودي فغنّيت بأبيات قالها عُرْوَةُ بن أذينة يرثي أخاه بكراً :

صوت

سَرَى هَمِّيْ وهُمُّ المرء يَسْرِي	وغار النجمُ إلّا قِيدَ فِتْرِ
أَرَأَيْتَ فِي المَجْرَةِ كُلِّ نَجْمٍ	تَعْرِضُ فِي المَجْرَةِ كَيْفَ يَجْرِي
بُحْزَنٌ مَا أَزَالَ لَهُ مُدِيماً	كَأَنَّ القَلْبَ أُسْعِرَ حَرّاً جَمِراً
عَلَى بَكَرٍ أَخِي وَلَّى حَميداً	وَأَيُّ العَيْشِ يَحْسُنُ بَعْدَ بَكَرٍ

غناه ابن سريج ثانيّ ثقيل بالوسطى . وغنّى فيه ابن عبّاد الكاتب ولحنه رمل بالوسطى عن الهشاميّ ، قال خالد : فقال لي الوليد : أَعِدْ يا صامُ فَأَعِدْتُ ؛ فقال : من يقوله ويحك ؟ قلتُ : ابن أذينة ؛ قال : هذا والله العيشُ الذي نحن فيه على رغم أنفه ، لقد تحجّر² واسعاً . قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عبد الله بن أبي فَرَوَةَ : وأنشدها ابنُ أذينة ابنُ أبي عتيق ؛ فضحك ابن أبي عتيق وقال : كلّ العيش يحسُن حتى الخبز والزيت ؛ فحلف ابنُ أذينة لا يكلمه أبداً ؛ فمات ابن أبي عتيق وابنُ أذينة مهاجرٍ له .

1 الهفتجنة : كلمة فارسية مركبة من «هفت» : سبعة و«جنة» : مرح .

2 تحجر واسعاً : ضيقه .

[أنشدت سكينه بنت الحسين شعر ابن أذينة فاعترضت عليه]

أخبرني علي بن سليمان الأنخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال : بلغني أن سكينه بنت الحسين رضي الله عنها أنشدت ، وأخبرني الحرزمي قال حدثنا الزبير عن مصعب قال : أنشدت سكينه ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن عباد عن أبيه عن أبي يحيى العبادي : أن سكينه أنشدت أبيات عروة بن أذينة في أخيه بكر ؛ فلما انتهت إلى قوله :

على بكر أخى ولّى حميداً وأيّ العيش يحسن بعد بكر

قالت سكينه : ومن أخوة بكر ! أليس الدحداح الأسيد القصير الذي كان يمر بنا صباحاً ومساءً ؟ قالوا : نعم ؛ قالت : كلّ العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت . أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي عن إسحاق قال : قدم سليمان بن عبد الملك المدينة ، فجمع المغنين وسبق بينهم بئذرة ، وقال : أيكم كان أحسن غناءً فهي له ؛ فاجتمعوا . فبلغ الخبر ابن سريج ، فجاء وقد أغلق الباب ؛ فقال للحاجب : استأذن لي ؛ قال : لا يمكن وقد أغلق الباب ، ولو كنت جئت قبل أن يغلق الباب لاستأذنت لك . قال : فدعني أغن من شق الباب ؛ قال نعم . فسكت حتى فرغ جميع المغنين من غنائهم ثم اندفع فغنى :

سرى همي وهم المرء يسري

فنظر المغنون بعضهم إلى بعض وعرفوه ؛ فلما فرغ قال سليمان : أحسن والله ! هذا والله أحسن منكم غناءً ، أخرج يا غلام إليه بالبئذرة ، فأخرجها إليه .

[الوليد بن يزيد وفرسه السندي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جعوبة : أن رجلاً أهدى إلى هشام بن عبد الملك خيلاً ، فكان فيها فرس مربوع قريب الركاب ؛ فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام ، فنهز الرجل وشمه وقال : أتجني بمثل هذا إلى أمير المؤمنين ! ردّوه عليه ، فردّوه . فلما خرج وجه إليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه ؛ فهو فرسه الذي يسميه السندي . فأخبرني بعض أصحابي أن الوليد خرج يوماً يتصيد وحده ؛ فانتدب إليه مولى لهشام يريد الفتك به . فلما بصّر به الوليد حاوله فقهره بفرسه الذي كان تحته فقتله . وقال في ذلك :

ألم تر أنّي بين ما أنا آمِنٌ يخبّ بي السندي قفراً قيافياً

تطلعت من غور فأبصرت فارساً فأوجست منه خيفة أن يرانيا

ولما بدا لي أنما هو فارسٌ وقتتُ له حتى أتى فرمانيا
 رماني ثلاثاً ثم إنني طعنته فرويتُ منه صعدتي وسنانيا
 غناه أبو كامل لحناً من الماخوري بالنصر . ولأبراهيم فيه ثقل أول ، وقيل : إن له فيه
 ماخورياً آخر . وفيه لعمر الوادي ثاني ثقل . ولما لك رملٌ من رواية الهشامي .

قال : وقال الوليد أيضاً في فرسه السندي¹ :

قد أغندي بذي سيب هيكَل مُشربٌ مثل الغرابِ أرجل²
 أعدته لخلباتِ الأحوال وكلُّ نَقَعٍ ثائرٍ لجَحْفَلِ
 وكلُّ خَطْبٍ ذي شؤونٍ مُعْضِلِ

فقال هشام : لكننا أعددنا له ما يسوءه ، نخلعه ونقصيه ، فيكون مهاناً مدحوراً مطرحاً .

[رثاؤه سلمى]

نسختُ من كتاب أحمد بن أبي طاهر حدثني أبو الحسن العقيلي : أن الوليد لما ولي
 الخلافة خطب سلمى التي كان ينسبُ بها ، فزوجهما لما مضى صدرٌ من خلافته ؛ فقامت
 عنده سبعة أيام فماتت ؛ فقال يرثيها³ :

يا سلم كنتِ كجَنَّةٍ قد أطمعتُ أفانها دانٍ جناها موضعُ
 أربابها شفقاً عليها نومهم تحليل موضعها ولما يهجعوا
 حتى إذا فسح الربيعُ ظنونهم نثر الخريفُ ثمارها فقصدهوا

[أمر يقتل نديمه القاسم ثم ندم ورثاه]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي العالية ،
 وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن عمه : أن الوليد بن يزيد
 لما انهمك على شربه ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره وأقبل على القصف والعسف⁴ مع
 المغنين مثل مالك ومعبد وابن عائشة وذويهم ، كان نديمه القاسم بن الطويل العبادي ،
 وكان أديباً ظريفاً شاعراً ، فكان لا يصبر عنه ؛ فغناه معبد ذات يوم شعر عدي بن زيد
 العبادي :

[من الخفيف]

1 ديوان الوليد : ص 73-74 ، رقم 80 .

2 السبيب من الفرس : شعر الذنب والعُرف والناصية . الهيكَل من الخيل : الكنيف العبل اللين . مشرب : امتزج
 لونه بحمرة . الأرجل : الذي في إحدى رجليه بياض .

3 ديوان الوليد : ص 56 ، رقم 58 عن الأغاني .

4 ل : والعصف .

صوت

بَكَرَ العاذِلونَ في وَضَحِ الصبِّ حَ يَقولونَ لي ألا تَسْتَفِيقُ
لَسْتُ أَذْري وقد جَفاني خَليلي أَعْدُوْ يُلومني أم صديقُ
ثم قالوا ألا أَصْبَحونا فقامت قينَةُ في يَمينها إِبْريقُ
قَدَمته على عُقار كعين الـ مَدِيكِ صَفَى سُلَافها الرّاووقُ

فيه لمبعد ثقیل أول ويقال إنه لحنين . وفيه لمالك خفيف رمل . وفيه لعبد الله بن العباس رمل كل ذلك عن الهشامي قال : فاستحسنه الوليد وأعجب به وطرب عليه وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر فنام في موضعه ، فانصرف ابن الطويل . فلما أفاق الوليد سأل عنه ، فعرف حين انصرافه ؛ فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه يقال له سبرة : اثنتي برأسه ، فمضى الغلام حتى ضرب عنقه وأتاه برأسه فجعله في طست بين يديه ؛ فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعرفه فاسترجع وندم على ما فرط منه ، وجعل يقلب الرأس بيده . ثم قال يرثيه¹ :

صوت

عَيْنِي لِلْحَدَثِ الجليل جُوداً بأربعة هُمُولِ
جوداً بدمع إنه يشفي الفؤاد من الغليلِ
لله قبرٌ ضُمَّنت فيه عظامُ ابن الطويلِ
ماذا تَضْمَنُ إذ تَوَى فيه من اللَّبِّ الأصيلِ
قد كنتُ أوي من هوا لك إلى ذرى كهفٍ ظليل²
أصبحتُ بعدك واحداً فرداً بمدرجة السيولِ

غناه الغريز ثاني ثقیل بالوسطى عن عمرو . وغنى فيه سليم لحناً من الثقیل الأول بالبنصر عن الهشامي ، وذكر غيره أن لحن الغريز لدحمان ، وذكر حبش أنه لأبي كامل ، وذكر غيره أن لحن الغريز لدحمان . قال : ثم دخل إلى جواريه فقال : والله ما أبالي متى جاءني الموت بعد الخليل ابن الطويل . فيقال : إنه لم يعيش بعده إلا مُدِيْدَةً حتى قُتل . والله أعلم . [أجاز حماداً الراوية على إنشاده]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال روى الهيثم بن عدي عن ابن عيَّاش عن

1 ديوان الوليد : ص 70-71 ، رقم 75 عن الأغاني .

2 الذرى : كل ما استتر به . يقال أنا في ظل فلان وذراه ، أي في كنفه وستره .

حمّاد الراوية قال : دعاني الوليد يوماً من الأيام في السَّحَر والقمر طالعٌ وعنده جماعةٌ من ندمائه وقد اصطبح ؛ فقال : أنشدني في النَّسِيب ؛ فأنشدته أشعاراً كثيرة ، فلم يَهْشْ لشيء منها ، حتى أنشدته قولَ عَمَّارٍ ذي كَنَاز :
[من مجزوء الخفيف]

إِصْبَحَ الْقَوْمَ قَهْوَةً فِي الْأَبَارِقِ تُحْتَذَى
مَنْ كُمَيْتٌ مُدَامَةً حَبَّذاً تِلْكَ حَبَّذاً

فطرب . ثم رفع رأسه إلى خادم وكان قائماً كأنه الشمس ، فأومأ إليه فكشف سِتراً خلف ظهره ، فطلع منه أربعون وصيفاً ووصيفةً كأنهم اللؤلؤ المنثور في أيديهم الأباريقُ والمناديل ؛ فقال : اسقوهم ، فما بقي أحدٌ إلَّا اسقى ، وأنا في خلال ذلك أنشده الشعر ؛ فما زال يشرب ويسقي إلى طلوع الفجر . ثم لم نخرج عن حضرته حتى حملنا الفراشون في البُسُط فألَقُونَا في دار الضيافة ، فما أَفَقْنَا حتى طلعت الشمس . قال حمّاد : ثم أحضرني فخلع عليّ خلعاً من فاخر ثيابه وأمر لي بعشرة آلاف درهم وحملني على فرس .
[خاصم وكيه في أرض لدى هشام فلم ينصفه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : كان بين الحكم بن الزبير أخي أبي بكر بن كلاب وبين بكر بن نوفل أحد بني جعفر بن كلاب شيءٌ في وكالة للوليد بن يزيد يخاصم الجعفريّ في الرّحبة¹ من أرض دمشق ، وكان الجعفريّ قد استولى عليها فقطع شَفَرَه الأعلى ، فاستعدى عليه هشاماً فلم يُعْده ؛ فقال الوليد في ذلك² :

صوت

أَيَا حَكَمُ الْمَتْبُولُ لَوْ كُنْتَ تَعْتَزِي إِلَى أُسْرَةٍ لَيْسُوا بِسُودِ زَعَانِفٍ³
لَأَيَقَنْتَ قَدْ أَدْرَكَتْ وَتَرَكْتَ عَنُوءَ بِلَا حُكْمٍ قَاضٍ بِلَ بَضْرِبِ السَّوَالِفِ

غناه الهذليّ ثقيلاً أوّل عن الهشاميّ ويونس . قال : فلما استخلف الوليد بعث إلى بكر بن نوفل الجعفريّ فقال : ألا تعطي حَكَمَ بن الزبير حقّه ! قال : لا ؛ فأمر به فشُتِرَ⁴ عينه . ثم قال⁵ :

[من الرجز]

1 الرحبة : قرية قرب دمشق .

2 ديوان الوليد : ص 59 ، رقم 62 عن الأغاني .

3 المتبول : الذي به تيل ، وهو الذحل والعداوة . تعتزي : تنتسب .

4 شتر عينه : شقها وقلب جفنها .

5 ديوانه : ص 73 ، رقم 80 .

يا ربَّ أمرٍ ذي شؤونٍ جَحْفَلُ قاسيتُ فيه جَلَبَاتِ الأَحْوَلِ¹

[مات ابنه مؤمن ونعاه إليه سنان الكاتب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : خرج الوليد إلى متصيّد له فأقام به ، ومات له ابنٌ يقال له مؤمن بن الوليد ، فلم يقدر أحدٌ أن ينعاه إليه ، حتى ثَمِلَ فنعاه إليه سنانُ الكاتب وكان مغنياً ؛ فقال الوليد وفي هذا الشعر غناء من الأصوات التي اختيرت للوائق والرشيّد قبله² : [من الطويل]

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

أتاني سِنَانٌ بِالْوَدَاعِ لِمُؤْمِنٍ فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ
أَلَا أَيُّهَا الْحَائِيّ عَلَيْهِ تَرَابُهُ هُبْلَتْ وَشَلَّتْ مِنْ يَدَيْكَ الْأَصَابِعُ
يَقُولُونَ لَا تَجَزَعْ وَأَظْهَرُ جَلَادَةً فَكَيْفَ بِمَا تُحْنِي عَلَيْهِ الْأَضَالِعُ

عروضه من الطويل . غناه سنان الكاتب ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لأبي كامل خفيفٌ ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو . وقيل : إنّ فيه لحناً لعبد الله بن يونس صاحب أيلة . [كَب له مؤدبه شعراً ينصحه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شُبّة قال حدّثني عَقِيل بن عمرو قال : قال يزيد بن أبي مُسَاحِق السُّلَميّ مؤدّب الوليد شعراً وبعث به إلى النّوّار جارية الوليد ، فغنّته به ، وهو : [من الوافر]

مَضَى الخلفاءُ بِالْأَمْرِ الحَمِيدِ وَأَصْبَحَتِ المَذَمَّةُ لِلوَلِيدِ
تَشَاغَلَ عَنْ رَعِيَّتِهِ بِلَهُوٍ وَخَالَفَ فَعَلَ ذِي الرّأْيِ الرّشِيدِ

فكتب إليه الوليد³ : [من مجزوء الرمل]

لَيْتَ حَظِّي اليَوْمَ مِنْ كَلِّ مَعَاشٍ لِي وَزَادِ
قَهْوَةٌ أَبْذُلُ فِيهَا طَارِفِي ثُمَّ تِلَادِي

1 الجلبات : جمع جلبة ، وهي الشدة والجهد . والأحول : هو هشام بن عبد الملك .

2 ديوان الوليد : ص 54 ، رقم 55 .

3 ديوان الوليد : ص 38 ، رقم 34 .

فَيُظَلِّ الْقَلْبَ مِنْهَا هَائِماً فِي كُلِّ وَادٍ
إِنْ فِي ذَاكَ صَلَاحِي وفلاحِي ورشادي

[نهى بني أمية عن الغناء]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إبراهيم بن الوليد الحمصي قال حدثنا هارون بن الحسن العنبري قال : قال الوليد بن يزيد : يا بني أمية ، إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة ويثور على الخمر ويفعل ما يفعل السكر ، فإن كنتم لا بد فاعلين ، فجنبوه النساء فإن الغناء رقية الزنا . وإني لأقول ذلك فيه على أنه أحب إلي من كل لذة وأشهى إلي من الماء البارد إلى ذي الغلة ، ولكن الحق أحق أن يقال .
[أنكر الناس عليه البيعة لابنيه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال حدثني بعض موالي الوليد قال : دخلت إليه وقد عقد لأبنيه بعده وقدم عثمان ؛ فقلت له : يا أمير المؤمنين ، أقول قول الموثوق بنصيحته أو يسعني السكوت ؟ قال : بل قل قول الموثوق به ؛ فقلت : إن الناس قد أنكروا ما فعلت وقالوا : يُبايع لمن لم يحتلِم ؛ وقد سمعت ما أكره فيك ؛ فقال : عَضُوا بيطور أمهاتكم ، أفادخل بيني وبين ابني غيري ؛ فيلقى منه كما لقيت من الأحوال بعد أبي ! ثم أنشأ يقول¹ :

صوت

سَرَى طَيْفُ ذَا الظُّبْيِ بِالْعَاقِدَا	ن لَيْلاً فَهَيَّجَ قَلْباً عَمِيدَا
وَأَرْقَ عَيْنِي عَلَى غِرَّة	فَبَاتَ بِحَزَنِ تَقَاسِي السُّهُودَا
نُؤْمِلُ عُثْمَانَ بَعْدَ الْوَلِيدِ	بَدَ لِلْعَهْدِ فِينَا وَنَرْجُو سَعِيدَا ²
كَمَا كَانَ إِذْ كَانَ فِي دَهْرِهِ	يَزِيدُ يَرْجِي لَتِلْكَ الْوَلِيدَا
عَلَى أَنَّهَا شَسَعَتْ شَسَعَةً	فَنَحْنُ نَرْجِي لَهَا أَنْ تَعُودَا ³
فَإِنْ هِيَ عَادَتْ فَعَاصٍ الْقَرِيبِ	بَبَ مِنْهَا لَتُؤَيِّسَ مِنْهَا الْبَعِيدَا ⁴

1 ديوانه : ص 104 ، رقم 3 . وقد ذكر المحقق أن الأبيات منسوبة في الطبري لشاعر مجهول وفي تهذيب ابن عساكر 6 : 177 لشاعر اسمه أبو معدان .

2 رواية هذا البيت في الطبري : نبايع عثمان بعد الوليد أو حكماً ونرجو يزيدا

3 شسعت : بعدت .

4 عاص القريب : أي جافه ولا توص بولاية العهد له . وفي الديوان : فأوص القريب .

غناه أبو كامل ثانيَ ثَقِيلَ بالبصرة من أصوات قليلة الأَشباه . وذكر عمرو بن بانة أنَّ فيه لعمر الوادي لحناً من الماخوريِّ بالوسطى . وذكر الهشاميُّ أنَّ فيه خفيفَ رملٍ لحكم ، وذكرت دنائيرُ عن حكم أنَّه لعمر الوادي ، وذكر حبش أنَّ الثَّقِيلَ الثانيَ للمالك وأنَّ فيه لَفَضْلَ النَجَّارِ رَمَلاً بالبصرة ، أخبرني الحسن بن عليَّ قال حَدَّثَنَا أحمد بن سعيد عن الزُّبَيْرِ بن بَكَّار قال : هو

سرى طيفُ ظبيِّ بأعلى الغُورِ

ولكن هذا تصحيف سليمان السَّوَّادي أو قال : خُلَيْد .

[حبس يزيد الناقص ولدي الوليد وقتلها]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال حَدَّثَنِي إِسْحاق قال : كان الوليد قد بايع لأبنيه الحكم وعثمان ، وهو أوَّل من بايع لابن سُرَيَّة أمة ، ولم يكونوا يفعلون ذلك ، وأخذهما يزيد بن الوليد الناقص ، فحبسهما ثم قتلها ؛ وفيهما يقول ابنُ أبي عَقِب :
[من الطويل]

إذا قُتِلَ الخَلْفُ المَدِيمُ لسُكره بَقَرُ من البَخْرَاءِ أُسِّسَ في الرَّمْلِ¹
وسيق بلا جُرمٍ إلى الحَتَفِ والرَّدَى بُنيَّاهُ حتى يُذْبِحَ مَذْبَحَ السَّخْلِ
فويلُ بني مروان ماذا أصابهم بأيدي بني العباس بالأسر والقتل

[تابع الكلبي الرنديق في القول بالثنوية]

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنِي علي بن محمد النَّوْفَلِيُّ قال حَدَّثَنِي أبي عن العلاء البندار قال : كان الوليد زنديقاً ، وكان رجلٌ من كَلْبٍ يقول بمقالته مقالةُ الثَّنَوِيَّةِ ؛ فدخلتُ على الوليد يوماً وذلك الكلبيُّ عنده ، وإذا بينهما سَفَطٌ قد رُفِعَ رأسه عنه فإذا ما يبدو لي منه حُريرٌ أخضرٌ ؛ فقال : اذُنْ يا عَلاءُ فدنوتُ ، فرفع الحريرةَ فإذا في السَّفَطِ صورةُ إنسانٍ وإذا الزُّبَيْقُ والنُوشادرُ قد جُعِلا في جفنه فجفنه يَطْرِفُ كأنَّه يتحرَّكُ ؛ فقال : يا عَلاءُ ، هذا ما نِيَّ² ، لم يَتَّبِعْ الله نبيّاً قبله ولا يَتَّبِعْ نبيّاً بعده . فقلت : يا أمير المؤمنين ، اتَّقِ الله ولا يَغُرَّنْكَ هذا الذي ترى عن دينك . فقال له الكلبيُّ : يا أمير المؤمنين ، ألم أَقُلْ لك : إن العلاء لا يَحْتَمِلُ هذا الحديث . قال العلاء : ومكثتُ أياماً ، ثم جلستُ مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يُشرف به والكلبيُّ عنده ، إذ نزل من عنده وقد كان الوليدُ حمَلة على بِرْدُونٍ هِمْلَاجٍ³

1 البخراء : أرض بالشام شديدة التَّن والعمقنة .

2 هو ماني بن فاتك الحكيم اتَّخذ ديناً بين المجوسية والنصرانية .

3 الهملاج : الحسن السير في سرعة وبختره .

أشقر من أفره ما سُخِّر ، فخرج على برذونه ذلك فمضى به في الصحراء حتى غاب عن العسكر ؛ فما شعر إلا وأعرابٌ قد جاؤوا به يحملونه منفسخة عنقه ميتاً وبرذونه يُقاد حتى أسلموه . فبلغني ذلك ، فخرجت متعمداً حتى أتيت أولئك الأعراب ، وقد كانت لهم آياتٌ بالقرب منه في أرض البُخراء لا حجرَ فيها ولا مدرَ فقلت لهم : كيف كانت قصة هذا الرجل ؟ قالوا : أقبل علينا على برذون فوالله لكأنه دهنٌ يسيل على صفاة من فراسته ، فعجبنا لذلك ؛ إذ انقضَّ رجلٌ من السماء عليه ثيابٌ بيض فأخذ بضبعيه فأحتمله ثم نكسه وضرب برأسه الأرضَ فدقَّ عنقه ثم غاب عن عيوننا ؛ فاحتملناه فجبنا به .

[قصة الخارجين عليه ومقتله]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا الحرّاز عن المدائنيّ قال : لما أكثر الوليد بن يزيد التهلكَ وأنهمك في اللذات وشرب الخمر وبسط المكره على ولد هشام والوليد وأفرط في أمره وغيه ، ملّ الناسُ أيامه وكرهوه . وكان قد عقد لأبنيه بعده ولم يكونا بلغا ؛ فمشى الناسُ بعضهم إلى بعض في خلعه ، وكان أقواهم في ذلك يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فمشى إلى أخيه العباس ، وكان امرأً صدقٍ ولم يكن في بني أمية مثله ، كان يتشبه بعمر بن عبد العزيز ، فشكا إليه ما يجري على الناس من الوليد ؛ فقال له : يا أخي ، إن الناس قد ملّوا بني مروان ، وإن مشى بعضُكم في أمر بعض أُكلتم ، والله أجلُّ لا بد أن يبلغه فانتظره . فخرج من عنده ومشى إلى غيره ، فبايعه جماعة من اليمانية الوجوه ؛ فعاد إلى أخيه ومعه مولى له وأعاد عليه القول وعرض له بأنّه قد دُعِيَ إلى الخلافة فقال له : والله لولا أني لا آمنه عليك من تحامله لوجّهت بك إليه مشدوداً ؛ فنشدتُك الله ألاّ تسعى في شيء من هذا . فانصرف من عنده وجعل يدعو الناس إلى نفسه . وبلغ الوليد ذلك فقال يذكر قومه ومشى بعضهم إلى بعض في خلعه¹ :

صوت

سَلَّ هَمَّ النفس عنها	بَعَلْنَدَاةٍ عِلَاةٍ ²
تَتَّقِي الأرضَ وَتَهْوِي	بِخَفَافٍ مُدْمَجَاتٍ
ذَاكَ أُمٌّ مَا بِال قَوْمِي	كَسَرُوا سِنَّ قَنَاتِي
وَاسْتَخَفُوا بِي وَصَارُوا	كَفَرُودٍ خَاسِئَاتٍ

الشعر للوليد بن يزيد بن عبد الملك . والغناء لأبي كامل غزِيل الدَّمَشَقِيّ مَاحُورِيّ

1 ديوان الوليد : ص 23 ، رقم 13 .

2 العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة ، ومثلها العلاة .

بالبنصر . وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد :

[من مجزوء الرمل]

أصبح اليوم وليدٌ هائماً بالفتيات
عنده راح وإبريد - حق وكأس بالقلابة
ابعثوا خيلاً لخيّل ورُماة لرُماة

وأخبرني بالسبب في مقتله الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث قال حدثني المدائني عن جويرية بن أسماء ، وأخبرني به ابن أبي الأزرع عن حمّاد عن أبيه عن المدائني عن جويرية بن أسماء قال : قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك : لما أظهر الوليد بن يزيد أمره وأدمن على اللهو والصيد واحتجب عن الناس ووالى بين الشرب وانهمك في اللذات ، سئمه الناس ووعظه من أشفق عليه من أهله ؛ فلما لم يُقلع دَبُّوا في خلعه . فدخل أبي بشر بن الوليد على عمّي العباس بن الوليد وأنا معه ، فجعل يكلم عمّي في أن يخلع الوليد بن يزيد ومعه عمي يزيد بن الوليد ، فكان العباسُ ينهأه وأبي يردّ عليه ؛ فكنت أفرح وأقول في نفسي : أرى أبي يجترى أن يكلم عمّي ويردّ عليه ؛ فقال العباس : يا بني مروان ، أظنّ أن الله قد أذن في هلاككم . ثم قال العباس :

[من البسيط]

إني أعيدكم بالله من فتنٍ مثل الجبال تسامى ثم تندفعُ
إن البرية قد ملّت سياستكم فاستمسيكوا بعمود الدين وارتدّعوا
لا تلجمن ذئاب الناس أنفسكم إن الذئاب إذا ما ألجمت رنّعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم فتمّ لا فدية تغني ولا جزعُ

قال المدائني عن رجاله : فلما استجمع ليزيد أمره وهو مُتبدّد أقبل إلى دمشق ، وبين مكانه الذي كان مُتبدّدًا فيه وبين دمشق أربع ليالٍ ، فأقبل إلى دمشق متنكراً في سبعة أنفس على حُمُر وقد بايع له أكثر أهل دمشق وبايع له أكثر أهل المزة . فقال مولى لعباد بن زياد : إني لبعجروء ، وبين جروء ودمشق مرحلة ، إذ طلع علينا سبعة مُعتمّون على حُمُر فزلوا ، وفيهم رجل طويل جسيم ، فرمى بنفسه فنام والقوا عليه ثوباً ، وقالوا لي : هل عندك شيء نشتريه من طعام ؟ فقلت : أمّا بيع فلا ، وعندي من قرأكم ما يُشبعكم ؛ فقالوا : فعجله ؛ فذبحت لهم دجاجاً وفراخاً وأتيتهم بما حضر من غسل وسمن وشوانيز¹ ، وقلت : أيقظوا صاحبكم للغداء ؛ فقالوا : هو محموم لا يأكل ؛ فسفرّوا للغداء فعرّفت بعضهم ، وسفرّ النائم فإذا هو يزيد بن الوليد ، فعرفته فلم يكلمني . ومضوا ليدخلوا دمشق ليلاً في نفر من أصحابه مُشاة إلى

معاوية بن مَصَاد وهو بالْمِزَّة ، وبينها وبين دمشق ميل ، فأصابهم مطر شديد ، فأتوا منزلَ معاوية فضربوا بابَه وقالوا : يزيد بن الوليد ؛ فقال له معاوية : الفِرَاشَ ، ادخل أصلحك الله ؛ قال : في رجلي طين وأكره أن أفسدَ عليك بساطك ؛ فقال : ما تُريدني عليه أفسدُ . فمشى على البساط وجلس على الفراش ، ثم كلَّم معاوية فباعه . وخرج إلى دمشق فنزل دارَ ثابت بن سليمان الحَسَنِيّ مستخفياً ، وعلى دمشق عبدُ الملك بن محمد بن الحَجَّاج بن يوسف ، فخاف عبدُ الملك الوَبَاءَ فخرج فنزل قَطْنَا ، واستخلف ابنَه على دمشق وعلى شُرطته أبو العاج كثيرُ بن عبد الله السُّلَمِيّ . وتمَّ ليزيد أمرُه فأجمع على الظهور . وقيل لعامل دمشق : إنَّ يزيد خارجٌ فلم يصدِّق . وأرسل يزيدُ إلى أصحابه بين المغرب والعِشاء في ليلة الجمعة من جُمادى الآخرة سنة سبع¹ وعشرين ومائة ، فكمنوا في مِيضَاءٍ عند باب الفراديس² ؛ حتى إذا أذنوا العَتَمَةُ دخلوا المسجد مع الناس فصلُّوا . وللمسجد حَرَسٌ قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل ؛ فإذا خرج الناسُ خرج الحرسُ وأغلق صاحبُ المسجد الأبوابَ ، ودخل الدارَ من باب المقصورة فيدفعُ المفاتيحَ إلى من يحفظها ويخرجُ . فلما صلَّى الناسُ العَتَمَةَ صاح الحرسُ بالناس فخرجوا ، وتباطأ أصحاب يزيد الناقص ، فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون من باب ، حتى لم يبق في المسجد إلَّا الحرسُ وأصحابُ يزيد ، فأخذوا الحرسَ . ومضى يزيد بن عَبَّسَةَ السُّكْسُكِيّ إلى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال : قُمْ يا أمير المؤمنين وأبشِرْ بعون الله ونصره ؛ فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً . فلما كنَّا عند سوق القمح لقيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم ، فمضوا حتى دخلوا المسجد وأتوا بابَ المقصورة ، وقالوا : نحن رسل الوليد ، ففتح لهم خادِمُ البابَ ، ودخلوا فأخذوا الخادمَ ، وإذا أبو العاج سكران فأخذوه وأخذوا خَزَانَ البيت³ وصاحبَ البريد ؛ وأرسل إلى كلِّ من كان يحذره فأخذه . وأرسل من ليلته إلى محمد بن عُبَيْدة مولى سعيد بن العاص وهو على بَعْلَبَك ، وإلى عبد الملك بن محمد بن الحَجَّاج فأخذهما . وبعث أصحابَه إلى الخَشِيبَةِ⁴ فأتوه ؛ وقال للبوَّائين : لا تفتحوا الأبوابَ غُدُوَّةً إلَّا لمن أخبركم بشِعار كذا وكذا . قال : فتركوا الأبوابَ في السلاسل . وكان في المسجد سلاح كثير قديم به سليمان بن هشام من الجزيرة ، فلم يكن الخَزَانُ قبضوه ، فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذوه وأصبحوا ، وجاء أهلُ المِزَّة مع حُرَيْث بن أبي

1 في كتب التاريخ سنة وعشرين ومائة .

2 باب الفراديس : أحد أبواب دمشق .

3 أي بيت المال .

4 الخشبية : أصحاب المختار بن أبي عبيد كما سيأتي .

الْجَهْمُ . فما انتصف النهار حتى بايع الناسُ يزيدَ وهو يتمثل قولَ النابغة : [من الطويل]

إذا استنزّلوا عنهنّ للطعن أَرْقَلُوا إلى الموتِ إِرْقَالَ الجمالِ المصاعِبِ

فجعل أصحابه يتعجبون ويقولون : انظروا إلى هذا ! كان قُبَيْلَ الصبح يسبح وهو الآن يُنشِد الشعر . قال : وأمر يزيدُ عبدَ العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان فوقف بباب الجابية فنَادَى : من كان له عطاءٌ فليأتِ إلى عطائه ، ومن لم يكن له عطاءٌ فله ألف درهم مَعُونَةٌ ؛ فبايع له الناسُ وأمر بالعطاء . قال : وندب يزيدُ بن الوليد الناسَ إلى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز ، وقال : من انتدب معه فله ألفان ، فانتدب ألفاً رجلاً ؛ فأعطاهم وقال : موعدكم ذَنبَةٌ¹ ؛ فوافى ذَنبَةَ ألف ومائتا رجل ؛ فقال : ميعادكم مَصْنَعَةٌ بِالْبَرِيَّةِ وهي لبني عبد العزيز بن الوليد ؛ فوافاه ثَمَانُمائة رجل ، فسار فوافاهم² ثَقُلُ³ الوليد فأخذه ومع عبد العزيز فُرْسَانٌ منهم منصور بن جُمهور ويعقوب بن عبد الرحمن السُّلَمِيُّ والأَصْبَغُ بن ذُوَالَّةَ وشَيْبُ بن أَبِي مالك الغَسَّانِي وَحُمَيْدُ بن نصر اللَّخْمِيّ ، فأقبلوا فنزلوا قريباً من الوليد . فقال الوليد : أخرجوا لي سريراً فأخرجوه فصعد عليه . وأتاه خبرُ العباس بن الوليد : إِنِّي أَجِيئُكَ . وأتى الوليدُ بفرسين الذائد والسُّنْدِيّ ؛ وقال : أَعْلَى يَتَوَاتَبُ الرِّجَالُ وَأَنَا أَتَبُ عَلَى الْأَسَدِ وَأَتَخَصَّرُ⁴ الْأَفَاعِي ! . وهم ينتظرون العباس أن يأتيهم ولم يكن بينهم كبيرُ قتالٍ ، فقتل عثمان الخَشْبِيُّ ، وكان من أولاد الخَشْبِيَّةِ الذين كانوا مع المختار . وبلغ عبد العزيز بن الحجاج أن العباس بن الوليد يأتي الوليد ؛ فأرسل منصور بن جُمهور في جريدة خيل وقال : إِنَّكُمْ تَلْقَوْنَ الْعَبَّاسَ بْنَ الْوَلِيدِ وَمَعَهُ بَنُوهُ فِي الشَّعْبِ فَخُذُوهُ . وخرج منصور في تلك الخيل وتقدّموا إلى الشَّعْبِ ، وإذا العباسُ ومعه ثلاثون قد تقدّموا أصحابه ؛ فقال له : اعدِلْ إلى عبد العزيز ، فشتّمهم ؛ فقال له منصور : والله لئن تقدّمتَ لَأَنْفُذَنَّ حِصْنِيكَ بِالرَّحْمِ ؛ فقال : إنا لله ! فأقبلوا به يسوقونه إلى عبد العزيز . فقال له عبد العزيز : بايعَ ليزيد ؛ فبايعَ ووقف ؛ ونصبوا رايةً وقالوا : هذا العباس قد بايعَ . ونادى منادي عبد العزيز ؛ من لحق بالعباس بن الوليد فهو آمِنٌ ؛ فقال العباس : إنا لله ! خُدْعَةٌ مِنْ خُدْعِ الشَّيْطَانِ ! هلك والله بنو مروان ! . ففترّق الناسُ عن الوليد وأتوا العباسَ . وظاهر الوليدُ في درعين وقاتلهم . وقال الوليد : من جاء برأس فله خمسمائة درهم ، فجاء جماعةٌ بعدّة رؤوس ، فقال : اكتبوا أسماءهم ؛ فقال له رجل من مواليه : ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يعامل فيه بالنسيئة .

1 ذنبه : موضع من أعمال دمشق .

2 ل : فتلقاهم .

3 الثقل : المتاع .

4 ل : وأعض .

وناداهم رجالٌ : اقتلوا اللّوطيّ قتلة قوم لوط ، فرمّوه بالحجارة فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال¹ :

صوت

دَعُوا لي سُلَيْمَى والطلّاءَ وقَيْنَةَ وكأُساً أَلَا حَسْبِي بذلك مالا
إذا ما صفا عيش برملةٍ عالِجٍ وعانقتُ سلمى لا أريد بدالا
خذوا مُلْكَكُمْ لا ثَبَتَ الله ملككم ثباتاً يساوي ما حَيَّيتُ عقالا
وخلّوا عِنائي قبل غيرٍ وما جَرَى ولا تَحْسُدُوني أنْ أَموتَ هُزالاً²

غناه عمرُ الوادي رملاً بالوسطى عن حَبَس ، ثم قال لعمر الوادي : يا جامع لذتي ، غنني بهذا الشعر . وقد أحاط الجندُ بالقصر ؛ فقال لهم الوليد من وراء الباب : أما فيكم رجل شريف له حسب وحياءٌ أكلمه ؟ فقال له يزيد بن عَنبَسَةَ السَّكْسَكِيّ : كلّمني ؛ فقال له الوليد : يا أخا السَّكْسَاكِ ، ما تنقِمُون مِنِّي ؟! أَلَمْ أُرِدْ في أعْطِيَاتِكُمْ وأعْطِيَةِ فقرائكم وأُخْدِمْتُ زَمَنًاكم ودَفَعْتُ عنكم المَوْنَ ؟ فقال : ما نَنقِمُ عليك في أنفُسنا شيئاً ، ولكن نَنقِمُ عليك انتهاكَ ما حَرَّمَ الله وشُرْبَ الخمر ونِكَاحَ أمّهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله . قال : حَسْبُكَ يا أخا السَّكْسَاكِ ! فلعمري لقد أغرقتُ³ فأكثرْت ، وإنّ فيما أحلَّ الله لِسَعَةٍ عمّا ذكرت . ورجع إلى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال : يومٌ كيوم عثمان ، ونشر المصحف يقرأ ؛ فَعَلُوا الحائطَ ؛ فكان أوّلُ من علا الحائطَ يزيدُ بن عنبسة ، فنزل وسيفُ الوليد إلى جنبه ؛ فقال له يزيد : نَحْ سيفك ، فقال الوليد : لو أردتُ السيفَ لكانت لي ولك حالةٌ غيرُ هذه . فأخذ بيده وهو يريد أن يُدْخِلَه بيتاً ويؤامِرُ فيه ، فنزل من الحائط عشرة فيهم منصورُ بن جُمهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسَّرِيّ بن زياد بن أبي كَبْشَةَ ، فضربه عبد الرحمن السُّلَميّ على رأسه ضربةً وضربه السَّرِيّ بن زياد على وجهه ، وجَرَّوه بين خمسة ليُخرِجوه ؛ فصاحت امرأةٌ كانت معه في الدار فكفّوا عنه فلم يُخرجوه ، واحتزَّ رأسه أبو عِلَاقَةَ القُضَاعِيّ وخاط الضربة التي في وجهه بالعقب⁴ ، وقُدِمَ بالرأس على يزيد ، قَدِمَ به

1 ديوان الوليد : ص 64-65 ، رقم 69 .

2 المثل : جاء فلان قبل غير وما جرى . قالوا : خصّ العير لأنّه أحذر ما يقنص وأسرع جرياً ، فضرب به المثل في السرعة . وقيل العير : إنسان العين . فيكون معناه قبل لحظة عين . فصل المقال : 300 . ومجمع الميداني 1 :

350 و 2 : 96 ومستقصى الزمخشري 2 : 187 .

3 أغرقت : تجاوزت الحدّ في القول .

4 العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

رُوح بن مُقْبِل ، وقال : أبشِر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق ، فاستمَّ الأمرُ له وأحسن صِلَتَه .
ثم كان من خلَع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضع ذكره .

قال : ولما قُتل الوليد بن يزيد جعل أبو مِخْجَن مولى خالد القَسْرِيّ يُدخل سيفه في آست الوليد وهو مقتول . فقال الأَصْبَغ بن ذُوَالَّة الكلبيّ في قتل الوليد وأخذهم آبنيه : [من الطويل]

من مُبْلِغٍ قيساً وخِنْدِفَ كُلِّها وساداتهم من عبد شمس وهاشم

قتلنا أمير المؤمنين بخالد¹ وبِعِنا وليّ عهده بالدراهم

وقال أبو مِخْجَن مولى خالد : [من البسيط]

لو شاهدوا حدّ سيفي حين أدخله في آستِ الوليد لما توا عنده كَمدا

[كان عمر الوادي يَنْبَه حين قتل]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَاد عن أبيه عن هشام بن الكلبيّ عن جرير قال : قال لي عمر الوادي : كنت أغنيّ الوليد أقول : [من الكامل]

صوت

كَذَبْتُكَ نَفْسُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلامُ مِنَ الرِّبَابِ خَيْالاً

قال : فما أتممتُ الصوتَ حتّى رَأَيْتُ رَأْسَهُ قد فارق بدنه ورَأَيْتُهُ يتشحّط في دمه .
يقال : إنّ اللحن في هذا الشعر لعمر الوادي ، ويقال : لابن جامع .

[حبس يزيد الحكم وعثمان ولي عهد الوليد]

قالوا : وكان عثمان والحكم ابنا الوليد قد بايَعهما بالعهد بعده ، فتغيّبا فأخذهما يزيد بعد ذلك فحبسهما في الخُضْرَاء² ودخل عليهما يزيدُ الأَقَمُّ بن هشام فجعل يشتمُّ أباهما الوليد وكان قد ضربَه وحلقه ، فبكى الحكم ، فقال عثمان أخوه : اسكت يا أخي ؛ وأقبل على يزيد فقال : أتشتُم أبي ! قال : نعم ؛ قال : لكني لا أشتم عمّي هشاماً ، ووالله لو كنت من بني مروان ما شتمت أحداً منهم ، فانظر إلى وجهك فإن كنت رأيت حَكَمِيّاً³ يُشبهك أو له مثلُ وجهك فأنت منهم ، لا والله ما في الأرض حَكَمِيٌّ يشبهك .

[ندم أيوب السخيتاني لمقتله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن مَسْلَمَةَ بن مُحَارِب

1 المقصود خالد بن عبد الله القسري كان الوليد قد سلّمه إلى يوسف بن عمر فبسط عليه العذاب حتى قتله .

2 الخضراء : يطلق على أكثر من موضع .

3 حكمي : نسبة إلى الحكم بن أبي العاص والد مروان .

قال : لما قُتل الوليدُ قال أيوب السَّخْتِيَانِيّ : ليت القوم تركوا لنا خليفتنا لم يقتلوه . قال : وإنما قال ذلك تخوفاً من الفتنة .

[لن الرشيد قاتليه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ : أن ابناً للغمر بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرشيد ، فقال : ممّن أنت ؟ قال : من قريش ، قال : من أيّها ؟ فأمسك قال : قلّ وأنت آمن ، ولو أنك مرواني ، قال : أنا ابن الغمر بن يزيد . قال : رحم الله عمك ولعن يزيد الناقص وقتل عمك جميعاً ، فإنهم قتلوا خليفةً مُجمِعاً عليه ، إرفع إليّ حوائجك ، فقضاها .

[رمي عند المهدي بالزندقة فدافع عنه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا الغلابيّ قال حدّثنا العلاء بن سُويد المقرّي قال : ذكر ليلة المهديّ أمير المؤمنين الوليد بن يزيد فقال : كان ظريفاً أديباً . فقال له شبيب بن شيبّة : يا أمير المؤمنين إن رأيت ألاّ تُجريّ ذكره على سمعك ولسانك فافعل فإنّه كان زنديقاً ؛ فقال : اسكت ، فما كان الله ليضع خلافته عند من يكفر به . هكذا رواه الصُّوليّ .

[دافع عنه ابن علاثة الفقيه لدى المهدي]

وقد أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز إجازةً قال حدّثنا عمر بن شبة قال أخبرنا عقيل بن عمرو قال أخبرني شبيب بن شيبّة عن أبيه قال : كنّا جلوساً عند المهديّ فذكروا الوليد بن يزيد ، فقال المهديّ : أحسبه كان زنديقاً ، فقام ابن علاثة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين ، الله عزّ وجلّ أعظم من أن يولّي خلافة النبوة وأمر الأمّة من لا يؤمن بالله ، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصلاته ، وحدّثني أنّه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مُطَيّية ومصبغة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتي بثياب بيض نظافٍ من ثياب الخلافة فيصلّي فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع وسجود ، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التي كانت عليه قبل ذلك ، ثم يعود إلى شربه ولهوه ؛ أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ؟ فقال له المهديّ : صدقت بارك الله عليك يا ابن علاثة .

وفي جملة المائة الصوت المختارة عدّة أصواتٍ من شعر الوليد نذكرها هاهنا مع أخباره ، والله أعلم .

صوت¹ من المائة المختارة

[من الخفيف]

أَمْ سَلَامَ مَا ذَكَرْتُكَ إِلَّا شَرَقْتُ بِالدموعِ مِنْي المَاقِي
أَمْ سَلَامَ ذِكْرُكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ أَنْتِ دَائِي وَفِي لِسَانِكَ رَاقِي
مَا لِقَلْبِي يَجُولُ بَيْنَ التَّرَاقِي مُسْتَخْفّاً يُتَوَقَّ كُلُّ مَتَاقٍ²
حَذَرًا أَنْ تَبِينَ دَارُ سُلَيْمَى أَوْ يَصِيحَ الدَّاعِي لَهَا بِفِرَاقٍ³

غَنَاهُ عَمْرُ الوَادِي ، وَلَحْنُهُ المَخْتَارُ خَفِيفٌ رَمَلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى البَنْصَرِ . وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَازِلٍ أَنَّ لِسَلَامَةَ القَسِّ فِيهِ خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى ، وَلَعَلَّهُ بِمَعْنَى هَذَا . وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَرَوِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمَّارِ الجُشَمِيِّ فِي سَلَامَةِ القَسِّ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لَهُ ، هُوَ لِلوَلِيدِ صَحِيحٌ ، وَهُوَ كَثِيرٌ مَا يَذْكُرُ سَلَمَى هَذِهِ فِي شِعْرِهِ بِأَمِّ سَلَامَ وَيُسَلِّمِي ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَصَنَّعُ فِي شِعْرِهِ وَلَا يُبَالِي بِمَا يَقُولُهُ مِنْهُ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِيهَا⁴ :

صوت

أَمْ سَلَامَ لَوْ لَقِيتُ مِنَ الْوَجْدِ حِدَ عَشِيرَةِ الَّذِي لَقِيتُ كِفَاكَ
فَأُثْبِتِي بِالْوَصْلِ صَبًّا عَمِيداً وَشَفِيقاً شَجَاهَ مَا قَدْ شَجَاكَ
غَنَاهُ مَالِكٌ خَفِيفَ رَمَلٍ بِالبَنْصَرِ عَنِ المِشَامِيِّ .

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 60 ، رقم 63 .

2 رواية هذا البيت في مجموع شعره (طبعة دار الكتاب الجديد) :

من لقلب أمسى كيباً حزيناً مستهماً بين الله والترافي

3 في مجموع شعره (طبعة دار الكتاب الجديد) :

وتجيء الدنيا لها بفراق

4 ديوان الوليد : ص 63 ، رقم 67 .

[100] - ذكر أخبار عمر الوادي ونسبه

[نسبه وإعجاب الوليد به]

هو عمر بن داود بن زاذان . وجده زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان . وكان عمر مهندساً . وأخذ الغناء عنه حَكَمٌ وذووه من أهل وادي القرى . وكان قديم إلى الحرم فأخذ من غناء أهله فحذق وصنع فأجاد وأتقن . وكان طيب الصوت شجيّه مطرباً . وكان أول من غنى من أهل وادي القرى ؛ واتصل بالوليد بن يزيد في أيام إمارته فتقدم عنده جدّاً ، وكان يسميه جامع لذاتي ومُحِبِّي طربي ، وقتل الوليد وهو يغنيه ، وكان آخر عهده به من الناس . وفي عمر يقول الوليد بن يزيد وفيه غناء¹ :

صوت

إِنِّي فَكَّرْتُ فِي عَمْرِ	حِينَ قَالَ الْقَوْلَ فَاخْتَلَجَا
إِنَّهُ لِلْمُسْتَنِيرِ بِهِ	قَمَرٌ قَدْ طَمَسَ السُّرُجَا
وَيَغْنِي الشَّعْرَ يَنْظُمُهُ	سَيِّدُ الْقَوْمِ الَّذِي فَلَجَا
أَكْمَلَ الْوَادِيَّ صُنْعَتَهُ	فِي لُبَابِ الشَّعْرِ فاندَمَجَا

الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لعمر الوادي هَزَجٌ خفيفٌ بالنصر في مجراها .

[الوليد يقدّمه على المغنين]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان عمر الوادي يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنين عند الوليد بن يزيد ، فلا يمنعه حضورهم من تقديمه والإصغاء إليه والاختصاص له . وبلغني أنه كان لا يضرب وإنما كان مرتجلاً ، وكان الوليد يسميه جامعاً لذاتي . قال : وبلغني أن حكماً الوادي وغيره من مغنّي وادي القرى أخذوا عنه الغناء واتحلوا أكثر أغانيه .

[استرضى الوليد على أبي رقية]

قال إسحاق وحدثني عبد السلام بن الربيع : أن الوليد بن يزيد كان يوماً جالساً وعنده عمر الوادي وأبو رقية ، وكان ضعيف العقل وكان يمسك المصحف على أم الوليد ؛ فقال الوليد لعمر الوادي وقد غناه صوتاً : أحسنت والله ، أنت جامع لذاتي ، وأبو رقية مضطجع

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 26 ، رقم 17 عن الأغاني .

وهم يحسبونه نائماً ، فرفع رأسه إلى الوليد فقال له : وأنا جامع لذات أمك ، فغضب الوليد وهم به ؛ فقال له عمر الوادي : جعلني الله فداك ؛ ما يعقل أبو رقية وهو صاح ، فكيف يعقل وهو سكران ؟ فأمسك عنه .

[يأخذ غناء من راع]

قال إسحاق : وحُدِّثُ عن عمر الوادي قال : بينا أنا أسير ليلة بين العرج¹ والسُّقيا سمعت إنساناً يغني غناء لم أسمع قط أحسن منه وهو² :

صوت

وكنْتُ إذا ما جئتُ سُعدى بأرضها أرى الأرضَ تطوى لي ويدنو بعيدُها
من الخفِراتِ البيضِ ودَّ جليسُها إذا ما انقضتْ أخذوثُ لو تُعيدُها
فكِدْتُ أسقط عن راحتي طرباً ؛ فقلت : والله لألتمسنَّ الوصولَ إلى هذا الصوت ولو
بذهاب عضوٍ من أعضائي حتى هبَّطُ من الشَّرَفِ³ ، فإذا أنا برجل يرعى غنماً وإذا هو
صاحب الصوت ، فأعلمته الذي أقصدني إليه وسألته إعادته علي ؛ فقال : والله لو كان عندي
قِرَى ما فعلتُ ، ولكنِّي أجعله قِراك ، فربَّما ترنَّمتُ به وأنا جائعٌ فأشبع ، وكسلانٌ فأنشط
ومستوحشٌ فأنس ؛ فأعاده علي مراراً حتى أخذته ، فوالله ما كان لي كلام غيره حتى دخلتُ
المدينة ، ولقد وجدته كما قال . حدَّثني بهذا الخبر الحرَميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثني الزبير بن
بَكَّار قال حدَّثني المؤمِّل بن طالوت الوادي قال حدَّثني مكي بن العُدري قال : سمعت عمر
الوادي يقول : بينا أنا أسير بين الرُّوحاء والعرج ، ثم ذكر مثله ، وقال فيه : فربَّما ترنَّمتُ به
وأنا غرَّانٌ فيشيعني ، ومستوحشٌ فيؤنسني ، وكسلانٌ فينشطني . قال : فما كان زادي حتى
ولجَّتُ المدينة غيره ، وجربتُ ما وصفه الراعي فيه فوجدته كما قال .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

لقد هَجَرْتُ سُعدى وطال صدودُها وعَاوَدَ عَنِّي دُعُها وسهَوُها
وكنْتُ إذا ما زرتُ سُعدى بأرضها أرى الأرضَ تطوى لي ويدنو بعيدُها
منعَمةٌ لم تَلقَ بؤسَ مَعيشةٍ هي الخلدُ في الدنيا لمن يَستفيدُها

1 العرج : عقبة بين مكة والمدينة .

2 ديوان كثير (تحقيق إحسان عباس) 200-202 .

3 الشرف : المكان العالي .

هي الخلد ما دامت لأهلك جارةً وهل دام في الدنيا لنفس خلودها
الشعر لكثير . والعناء لابن مُحْرَز ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَطْلَقٍ بالبصر عن يحيى المكي . وذكر الهشامي
أن فيه ليزيد حوراء ثاني ثَقِيل . وفيه خفيف رَمَلٌ يُنسَب إلى عمر الوادي ، وهو بعض هذا اللحن
الذي حكاه عن الراعي ولا أعلم لمن هو . وهذه الأبيات من قصيدة لكثير سائرُها في الغزل وهي
من جيد غزله ومختاره . وتَمَامُ الأبيات بعد ما مضى منها :

فَتلكَ التي أَصْفيتها بمودتي	وليداً ولما يَسْتَبِين لي نهودها
وقد قتلْتُ نفساً بغير جَريرة	وليس لها عَقْل ولا من يُقيدُها
فكيف يَودُّ القلبُ من لا يودّه	بلى قد تُريدُ النفسُ من لا يُريدها
ألا ليت شِعري بعدنا هل تَغَيَّرَتْ	عن العهد أم أُمست كعهدي عهدُها
إذا ذكرتها النفسُ جُنْتُ بذكرها	وربعتُ وحنْتُ واستخِفَّ جليدها
فلو كان ما بي بالجمال لهدّها	وإن كان في الدنيا شديداً هُدودُها
ولستُ وإن أُوعِدْتُ فيها بمُنْتَه	وإن أُوقِدَتْ نارٌ فشبَّ وقودُها
أبيتُ نجياً للهموم مُسَهَّداً	إذا أُوقِدَتْ نحوي بليل وقودُها
فأصبحتُ ذا نفسين نفسٌ مريضةٌ	من اليأس ما ينفكُ همٌّ يعودُها
ونفسٌ إذا ما كنتُ وحدي تقطعتُ	كما انسلَّ من ذات النّظام فريدُها
فلم تُبد لي يأساً ففي اليأس راحة	ولم تُبد لي جوداً فينفعَ جودُها

[طلب منه الوليد أن يصنع لحناً في شعر له]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال حَدَّثنا حَمَّاد بن إِسحاق عن أبيه عن أَيُّوب بن عَبَّابة قال : قال
عمر الوادي : خرج إليّ الوليد بن يزيد يوماً وفي يده خاتم ياقوتٍ أحمر قد كاد البيت يلتصق من
شُعاعه ؛ فقال لي : يا جامع لذتي ، أَتَحِبُّ أن أُهَبَ لك ؟ قلت : نعم والله يا مولاي ؛ فقال : غنّ في
هذه الأبيات التي أنشيدك فيها واجهَد نفسك ، فإن أصبت إرادتي وهبته لك ؛ فقلت : أجتهد
وأرجو التوفيق .

صوت¹

ألا يُسَلِّيكَ عن سَلَمي قَتِيرُ الشَّيبِ والحِلْمُ²

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 80 ، رقم 90 .

2 قَتِيرُ الشَّيب : أوّل ما يظهر منه .

وَأَنَّ الشَّكَّ مَلْتَبِسٌ فَلَا وَصْلٌ وَلَا صُرْمٌ
فَلَا وَاللَّهِ رَبِّ النَّاسِ سِوَاكَ لَكَ عِنْدَنَا ظُلْمٌ
وَكَيْفَ بَظْلَمَ جَارِيَةً وَمِنْهَا اللَّيْنُ وَالرُّحْمُ

فخلوتُ في بعض المجالس ، فما زلتُ أُديره حتى استقام ، ثم خرجتُ إليه وعلى رأسه وصيفةٌ ، بيدها كأسٌ وهو يروم أن يشربها فلا يقدر خُمَاراً ؛ فقال : ما صنعتَ ؟ فقلتُ : فرغتُ ممَّا أمرتني به ؛ وغَيَّيْتُهُ ، فصاح : أحسنتَ والله ؛ ووَثِبَ قائماً على رجليه وأخذ الكأس واستدانني فوضع يده اليسرى على مَتَكُنَا والكأسُ في يده اليمنى ؛ ثم قال لي : أَعِذْ بَأبي أَنْتِ وَأُمِّي ! فَأَعَدْتُهُ عليه فشرب ودعا بثنائية وثالثة ورابعة وهو على حاله يشرب قائماً حتى كاد أن يسقط تعباً ؛ ثم جلس ونزع الخاتم والحلَّة التي كانت عليه ، فقال : والله العظيم لا تبرح هكذا حتى أُسكر ؛ فما زلتُ أُعيدُه عليه ويشرب حتى مال على جنبه سكرًا فنام .

[عبد المطلب بن عبد الله يسبق بين المغنين]

أخبرني محمد بن مَرِيد قال حَدَّثَنَا حماد عن أبيه عن غُرَيْر بن طَلْحَةَ الأَرَقَمِي عن أبي الحَكَم عبد المطلب بن عبد الله بن يزيد بن عبد الملك قال : والله إِنِّي لِبالعَقيق في قصر القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وعندي أَشْعَبُ وعمر الوادي وأبو رقية ، إذ دعوتُ بدينار فوضعتُه بين يَدَيَّ وَسَبَقْتُهُمْوهُ في رَجَزٍ فكان أولَ مَنْ خَسَقَ¹ عمرُ الوادي فقال :

أَنَا ابن داود أنا ابن زَادَانَ أَنَا ابن مولى عمرو بن عثمان²

ثم خَسَقَ أَبُو رقية فقال :

أَنَا ابن عامر القاري أَنَا ابن أول أعجمي
تقدَّم في مسجد رسول الله ﷺ . ثم خَسَقَ أَشْعَبُ فقال :

أَنَا ابن أمِّ الخَلْسَدِاج أَنَا ابن المحرَّشة بين أزواج
النبي ﷺ . قال أَبُو الحَكَم . فقلت له : أَي أَخْرَاكَ الله ، هل سمعتَ أَحَدًا قَطُّ فخر بهذا ؟ فقال : وهل فخر أَحَدٌ بمثل فخري ! لولا أَن أُمِّي كانت عندهنَّ ثَقَّةٌ مَا قِيلَنَ منها حتى يغضب بعضهنَّ على بعض .

1 الخسق : الرمي بالسهم .

2 الأرجاز الثلاثة غير مَتَرَنَة عروضيًا ، وليس بين الثلاثة من كان شاعرًا .

[101] - أخبار أبي كامل

[مغنى محسن ومضحك]

اسمُه الغُزِيل ، وهو مولى الوليد بن يزيد ، وقيل : بل كان مولى أبيه ، وقيل : بل كان أبوه مولى عبد الملك . وكان مغنياً محسناً وطيباً مضحكاً . ولم أسمع له بخبر بعد أيام بني أمية ؛ ولعله مات في أيامهم أو قُتل معهم .

[غنى الوليد فاطربه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني : أن أبا كامل غنى الوليد بن يزيد ذات يوم فقال¹ :

صوت

نام من كان خلياً من ألم وبدائي بت ليلى لم أنم
أرقب الصبح كأنني مُسندٌ في أكف القوم تغشاني الظلم
إن سلمى ولنا من حبها ديدن في القلب ما اخضر السلم
قد سبنتي بشيتي نبتة وثنايا لم يعهن قضم²

قال فطرب الوليد وخلع عليه حتى قلنسية وشي مذهبة كانت على رأسه . فكان أبو كامل يصونها ولا يلبسها إلا من عيد إلى عيد ويمسحها بكمه ويرفعها ويكي ويقول : إنما أرفعها لأنني أجِدُ منها ريح سيدي (يعني الوليد) .

الغناء في هذا الصوت هزج بالوسطى ، نسبه عمرو بن بانه إلى عمر الوادي ، ونسبه غيره إلى أبي كامل ، وزعم آخرون أنه لحكم ، هكذا نسبه ابن المكي إلى حكم وزعم أنه بالنصر .
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الأصمعي عن صفوان ابن الوليد المعطي قال : غنى أبو كامل ذات يوم الوليد بن يزيد في الحن لابن عائشة ، وهو :

جنباني أذاة كل لئيم إنه ما علمت شر نديم³

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 76 ، رقم 84 .

2 القضم : انصداع في السن أو تكسر وتثلم في أطراف الأسنان .

3 ديوان الوليد : ص 83 ، رقم 95 . جنباني في الديوان : جنبوني .

[للوليد فيه أشعار كثيرة]

فخلع عليه ثيابه كلها حتى قلنسبته . ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدمه ؛ وزاد فيه أنه أوصى
أن تجعل في أكفانه . وللوليد في أبي كامل أشعار كثيرة . فمنها مما يغنى به : [من مجزوء المتقارب]

صوت

سَقَيْتُ أَبَا كَامِلٍ مِنْ الْأَصْفَرِ الْبَابِلِي
وَسَقَيْتُهَا مَعْبِداً وَكُلَّ فَتًى فَاضِلٍ

وقال أيضاً فيه ¹ :

وَزِقْ وَافِرَ الْجَنِيِّ مِنْ مِثْلِ الْجَمَلِ الْبَازِلِ
بِهِ رُحْتُ إِلَى صَحْبِي وَنَدِمَانِي أَبِي كَامِلِ
شَرِبْنَاهُ وَقَدْ بَتْنَا بِأَعْلَى الدَّيْرِ بِالسَّاحِلِ
وَلَمْ نَقْبَلْ مِنَ الْوَاشِي قَبُولَ الْجَاهِلِ الْخَاطِلِ ²

الغناء لأبي كامل خفيف رمل بالوسطى . وذكر المشامي أنه ليحيى المكي وأنه نجله أبو
كامل . وذكر أن لعمر الوادي أو لحكم فيه رمل بالوسطى وهو القائم .
وأخبرني أبو الحسن محمد بن إبراهيم قریش ، رحمه الله ، أن لينشو فيه خفيف رمل .
ومنها في قول الوليد :

صوت

سَقَيْتُ أَبَا كَامِلٍ مِنْ الْأَصْفَرِ الْبَابِلِي
وَسَقَيْتُهَا مَعْبِداً وَكُلَّ فَتًى فَاضِلٍ
لِي الْحَضُّ مِنْ وَدَّهِمْ وَيَعْمُرُهُمْ نَائِلِي
وَمَا لَأَمْنِي فِيهِمْ سِوَى حَاسِدٍ جَاهِلٍ

فيه هزج ينسب إلى أبي كامل وإلى حكم . وفيه لينشو ثقيل أول . أخبرني بذلك قریش
ووجه الرزة جميعاً .

[كان المعتضد يمدح شعر الوليد]

وأخبرني قریش عن أحمد بن أبي العلاء قال : كان للمعتضد عليّ صوتان من شعر الوليد ،

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 64 ، رقم 68 من الأغاني .

2 الجاهل في ل : العاجل .

أحدهما :

[من مجزوء المتقارب]

سَقَيْتُ أَبَا كَامِلٍ مِنْ الْأَصْفَرِ الْبَابِلِي

والآخر¹ :

[من مجزوء الرمل]

إِنْ فِي الْكَأْسِ لِمَسْكَاً أَوْ بِكَفِّيْ مَنْ سَقَانِي

وكان يُعْجَبُ بهما ويقول لجلسائه : أما تَرَوْنَ شمائلَ الملوك في شعره ، ما

أَبَيْنَهَا :

[من مجزوء المتقارب]

لِي الْمَحْضُ مِنْ وَدَّهِمْ وَيَغْمُرُهُمْ نَائِلِي

وحين يقول :

[من مجزوء الرمل]

كَلَّلَانِي تَوَجَّانِي وَبِشْعَرِي غَنِّيَانِي

وقد نُسِبَ إلى الوليد بن يزيد في هذه المائة الصوت المختارة شعرُ صوتين ؛ لأن ذكر سُليْمَى

في أحدهما ، ولأن الصنعة في الآخر لأبي كامل ؛ فذكرتُ من ذلك هاهنا صوتين ، أحدهما :

صوت

من المائة المختارة

[من الهزج]

سُليْمَى تَلِكْ فِي الْعِيرِ قَفِي نُخْبِرُكَ أَوْ سِيرِي

إِذَا مَا أَنْتِ لَمْ تَرْتِي لَصَبَّ الْقَلْبِ مَغْمُورِ

فَلَمَّا أَنْ دَنَا الصَّبْحُ بِأَصْوَاتِ الْعَصَافِيرِ

خَرَجْنَا نَتَّبِعَ الشَّمْسَ عَيُوناً كَالْقَوَارِيرِ

وَفِينَا شَادَنُ أَخُو رُ مِنْ حُورِ الْبِعَافِيرِ

الشعر ليزيد بن ضَبَّة . والغناء في اللحن المختار لإسماعيل بن الهرَبْد ، ولحنه رَمَلٌ مطلق في

مجرى الوسطى . هكذا ذكر إسحاق في كتاب شجا لابن الهرَبْد ؛ وذكر في موضع آخر أن

فيه لحناً لابن زُرْزُور الطائفي رملاً آخر بالسبابة في مجرى البنصر . وذكر إبراهيم أن فيه لحناً

لأبي كامل ولم يَجْنِسْهُ . وذكر حبش أن فيه لعَطَرْدَ هَزَجاً بالوسطى .

[102] - أخبار يزيد بن ضبة ونسبه

[نسيه وولاه]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أحمد بن الهيثم عن الحسن بن إبراهيم بن سعدان عن عبد العظيم بن عبد الله بن يزيد بن ضبة الثقفي قال : كان جدِّي يزيد بن ضبة مولىً لثقيف . واسم أبيه مقسم ؛ وضبة أمه غلبت على نسبه ؛ لأنَّ أباه مات وخلفه صغيراً ، فكانت أمه تحضن أولاد المغيرة بن شعبة ثم أولاد ابنه عروة بن المغيرة ، فكان جدِّي يُنسب إليها لشهرتها . قال : وولاه لبني مالك بن حطيظ ثم لبني عامر بن يسار . قال عبد العظيم : وكان جدِّي يزيد بن ضبة منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه متصلاً به لا يفارقه .

[لم يقل هشام تهنته بالخلافة]

فلما أفضت الخلافة إلى هشام أتاه جدِّي مهتئاً بالخلافة . فلما استقرَّ به المجلس ووصلت إليه الوفود وقامت الخطباء تُثني عليه والشعراء تمدحه ، مثل جدِّي بين السَّماطين فاستاذنه في الإنشاد ، فلم يأذن له ، وقال : عليك بالوليد فامدحه وأنشده ، وأمر بإخراجه . وبلغ الوليد خبره ، فبعث إليه بخمسائة دينار ، وقال له : لو أمنتُ عليك هشاماً لما فارقتنِي ، ولكن اخرج إلى الطائف ، وعليك بمالي هناك ؛ فقد سوَّغتُك جميعَ غلته ، ومهما احتجتُ إليه من شيء بعد ذلك فالتمسهُ مني . فخرج إلى الطائف ، وقال يذكر ما فعله هشام به :

أرى سلمى تصدَّ وما صدَّدنا	وغيرَ صدودِها كُنا أرَدنا
لقد بخلتُ بنائلها علينا	ولو جادت بنائلها حمِدنا
وقد ضنَّتُ بما وعدتُ وأمستُ	تغيَّرَ عهدُها عمَّا عهدنا
ولو علمتُ بما لاقيتُ سلمى	فتخبرني وتعلم ما وجدنا
تُلمِّ على تنائي الدَّار منَّا	فيسهرنا الخيالُ إذا رَقَدنا
ألم ترَ أنَّا لما ولينا	أُموراً خرَّقت فوهتُ سدَدنا
رأينا الفُتقَ حين وهى عليهم	وكم من مثله صدَّع رَفأنا

إذا هاب الكريهة من يَلِيها وأعظمها الهَيُوبُ لها عمَدنا
 وجبَّارٍ تركناه كَلِيلًا وقائدٍ فتنةٍ طاغٍ أزلنا
 فلا تنسوا مواطننا فإننا إذا ما عاد أهل الجُرم عُدنا
 وما هيضت مكاسيرُ من جبرنا ولا جبرت مصيبةٌ من هدُننا
 ألا من مُبلغٍ عني هشاماً فما منا البلاء ولا بُعْدنا
 وما كنّا إلى الخلفاء نُفضي ولا كنّا نؤخّر إن شهِدنا
 ألم يكُ بالبلاء لنا جزاءُ فنُجزى بالمحسن أم حُسدنا
 وقد كان الملوك يرون حقاً لوأفدنا فنُكرّم إن وفَدنا
 ولينا الناسَ أزماناً طويلاً وسُسنّاهم ودُسنّاهم وقُدنا
 ألم ترَ من ولَدنا كيف أُشِي وأشيينا وما بهم قَعَدنا¹
 نكون لمن ولدناه سماء إذا شيمت مَخائِلنا رَعَدنا
 وكان أبوك قد أسدى إلينا جسيمةً أمره وبه سَعَدنا
 كذلك أوّل الخلفاء كانوا بنا جدّوا كما بهم جدّنا
 هم آبائنا وهم بنونا لنا جيلوا كما لهم جيلنا
 ونكوي بالعداوة من بَغانا ونُسعد بالموّدة من ودّنا
 نرى حقاً لسائلنا علينا فنحبوه ونُجزل إن وعدنا
 ونضمن جازنا ونراه منّا فنرفده فنُجزل إن رَفَدنا
 وما نعتدّ دون المجد مالاً إذا يُغلى بمكرُمة أفَدنا
 وأتلدُ مجدنا أنّا كِرامٌ بحدّ المُشرِقة عنه ذُدنا

[هنا الوليد بالخلافة فأعطاه لكل بيت ألف درهم]

قال : فلم يزل مقيماً بالطائف إلى أن ولي الوليد بن يزيد الخلافة ، فوفد إليه . فلما دخل عليه والناس بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنا بالخلافة ؛ فأدناه الوليد وضمه إليه ، وقبل يزيد بن ضبة رجله والأرض بين يديه ؛ فقال الوليد لأصحابه : هذا طريد الأحول لصحبته إيتاي وانقطاعه إلي . فاستاذنه يزيد في الإنشاد وقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا اليوم الذي نهاني عمك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغته بعد يأس ، والحمد لله على ذلك . فأذن له ،

1 أشي الرجل : إذا ولد له ولد ذكي .

فأنشده :

[من الهزج]

سُلِّمَى تَلَك فِي الْعِيرِ قَفِي أَسْأَلُكَ أَوْ سِيرِي
إِذَا مَا بَنَتْ لَمْ تَأْوِي لَصَبَ الْقَلْبِ مَغْمُورِ
وَقَدْ بَانَتْ وَلَمْ تَعْهَدْ مَهَاةً فِي مَهَا حُورِ
وَفِي الْآلِ حُمُولُ الْحَدِّ سِي تَزْهَى كَالْقَرَاقِيرِ¹
يُورِيهَا وَتَبْدُو مِنْ هِ آَلٍ كَالسَّمَادِيرِ²
وَتَطْفُو حِينَ تَطْفُو فِيهِ هِ كَالنَّخْلِ الْمَوَاقِيرِ³
لَقَدْ لَاقَيْتُ مِنْ سَلْمَى تَبَارِيحَ التَّنَاكِيرِ⁴
دَعَتْ عَيْنِي لَهَا قَلْبِي وَأَسْبَابُ الْمَقَادِيرِ
وَمَا إِنْ مَنْ بِهِ شَيْبٌ إِذَا يَصْبُو بِمَعْذُورِ
لَسَلْمَى رَسْمٌ أَطْلَالُ عَقَتْهَا الرِّيحُ بِالْمُورِ⁵
خَرِيقٌ تَنْخُلُ التُّرْبَ بِأَذْيَالِ الْأَعَاصِيرِ⁶
فَأَوْحِشُ إِذْ نَأَتْ سَلْمَى بَتَلَكَ الدُّورِ مِنْ دُورِ
سَأْرَمِي قَانَصَاتِ الْبَيْدِ لَدِ إِنْ عِشْتُ بَعْسُورِ⁷
مِنْ الْعَيْسِ شَجَوَجَاةٍ طَوَاهَا النَّسْعُ بِالْكُورِ⁸
إِذَا مَا حَقَبْتُ مِنْهَا قَرَنْتَاهُ بَتَصْدِيرِ⁹

- 1 الآل : السراب ، وقيل إنه من الضحى إلى زوال الشمس والسراب من الزوال إلى العصر . القراقير : جمع قرقور ، وهي السفينة الطويلة .
- 2 الآل هنا : الشخصوس التي تظهر في الآل . السمادير : الأشياء التي تراءى للإنسان في ضعف بصره من السكر أو النعاس أو الدور .
- 3 المواقير : جمع ميقار ، والنخلة الميقار : التي عليها حمل ثقيل .
- 4 التباريح : الشدائد . التناكير : الأمور المنكرة .
- 5 المور : الغبار تثيره الريح .
- 6 الخريق : الريح الشديدة الهبوب .
- 7 العسبور : الناقة الشديدة .
- 8 الشجوجاة : الطويلة جداً أو طويلة الرجلين أو طويلة الظهر .
- 9 الحقب : جبل يشد به الرحل . والتصدير : الحزام .

زجرنا العيسَ فارقدت¹ بإعصافٍ وتشمير¹
 تقاسيها على أين² بإدلاجٍ وتهجير²
 إذا ما اعصوصب الآل³ ومال الظلُّ بالقور³
 وراحت تتقي الشمسَ مطايا القوم كالغور⁴
 إلى أن يفضح الصبحُ بأصوات العصافير⁵
 لتعتام الوليدَ القر⁶ م أهل الجود والخير⁶
 كريم يهبُّ البزل⁷ مع الخور الجراجير⁷
 تراعي حين تزجيها هويًّا كالزامير⁸
 كما جاوبت النيبُ رباع الخُلج الخور⁹
 ويعطي الذهبَ الأحمر¹⁰ ر وزناً بالقناطير¹⁰
 بلوناه فأحمدنا ه في عُسْر وميسور¹¹
 كريم العود والغنص¹² ر عَمْرٌ غير منزور¹²
 له السبق إلى الغايا ت في ضمِّ المضامير¹³
 إمام يوضح الحقَّ له نور على نور¹⁴
 مقال من أخي ودَّ بحفظ الصدق مأثور¹⁵
 بإحكام وإخلاص وتفهم وتخبير¹⁶

قال : فأمر الوليدُ بأن تُعدَّ أبيات القصيدة ويُعطى لكل بيت ألف درهم ؛ فعُدَّتْ فكانت خمسين بيتاً فأعطى خمسين ألفاً . فكان أول خليفة عدَّ أبيات الشعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم ؛ ثم لم يفعل ذلك إلا هارون الرشيد ، فإنه بلغه خبر جدِّي مع الوليد فأعطى مروان بن أبي حفصة ومنصوراً التَّمَرِيَّ لما مدحاه وهجوا آل أبي طالب

1 أرقدت : أسرعت . الإعصاف : السرعة في السير . التشمير : الجد في الأمر .

2 اعصوصب : اشتدَّ . القور : جمع قارة ، وهي الجبل الصغير المنقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة .

3 أفضح الصبح : بدا .

4 اعتام : اختار واصطفى ، أي تقصده مختارة له .

5 الخور : النوق الغزيرة اللبن . الجراجير : الكرام من الإبل .

6 الهوي : الدوي في الأذن .

7 رباع : ما ولد من الإبل في أول التاج . الخلج : جمع خلوج وهي الناقة الكثيرة اللبن .

لكل بيت ألف درهم .

[أمره الوليد بمدح فرسه السندي وكان قد خرجا إلى الصيد]

قال عبد العظيم وحدّثني أبي وجماعة من أصحاب الوليد : أنّ الوليد خرج إلى الصيد ومعه جدّي يزيد بن ضبة ، فاصطاد على فرسه السنديّ صيداً حسناً ، ولحق عليه حمراً فصصرعه ؛ فقال لجدّي : صيف فرسي هذا وصيدنا اليوم ؛ فقال في ذلك : [من الهزج]

وأخوى سلسُ المرسِ	من مثلُ الصّدعِ الشّعْبِ ¹
سما فوق مُنِيفاتٍ	طوال كالقنا سُلْبِ ²
طويلُ الساقِ عُنْجُوجٌ	أشَقُّ أَصْمَعُ الكَعْبِ ³
على لَأْمٍ أَصَمُّ مُضَمٌّ	رِ الأشعر كالقَعْبِ ⁴
تَرى بين حَواميه	نُسُوراً كَنَوَى القَسْبِ ⁵
مُعَالَى شَنِجُ الأنسا	ء سامٍ جُرْشُعُ الجَنْبِ ⁶
طَوَى بين الشَّرَاسِيفِ	إلى المَنْقَبِ فالقَنْبِ ⁷
يغوص الملحمُ القائِـ	مَ ذو حَدٍّ وذو شَعْبِ
عَتِيدُ الشَّدِّ والتَّقْرِـ	ب والإحْضار والعَقْبِ ⁸
صَلِيبُ الأُذُنِ والكاهـ	ل والمَوْقِفِ والعَجْبِ ⁹
عَرِضُ الخَدِّ والجَبْهـ	ة والبرْكَةِ والهُلْبِ ¹⁰

1 الصدع : الفتى القوي من الأوعال . والشعب : تباعد ما بين القرنين . وسكن العين للضرورة .

2 القنا السلب : الرماح الطويلة ومفرده «سَلْب» .

3 العنْجُوج : الرائع من الخيل . الأشق : الطويل . الكعب الأصمع : اللطيف المستوي .

4 اللأْم : الشديد من كل شيء . الأشعر : ما استدار بالحافر من الشعر . القعب : القدح الصغير .

5 الحوامي : ميامن الفرس ومياسره . لحمه النسر : لحمه صلبة في باطن الحافر . القسب : تمر يابس صلب النواة .

6 الأنساء : جمع نسا وهو عرق يخرج من الورك حتى يبلغ الحافر . وفرس شنج النسا : متقبضه . جرشع الجنب : متفتحه .

7 الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن . المنقب : الموضع الذي ينقبه البيطار من بطن الدابة . القنب : جراب قضيب الدابة .

8 عتيد الشدّ : شديد الخلق مُعدّ للجري . التقريب والاحضار والعقب : أنواع من العدو .

9 الموقف : نقرة الخاصرة . العجب : أصل الذنب .

10 البركة : الصدر . الهلب : شعر الذنب .

إذا ما حثَّه حاثٌ يُباري الرِّيحَ في غَرَبٍ¹
 وإنَّ وجَّهَهُ أسْرَ ع كالخُذْرُوفِ في الثَّقَبِ²
 وقَفَّاهُنَّ كالأَجْدَ ل لما انضَمَّ للضَّرْبِ
 ووالى الطعنَ يَخْتار جواشِنَ بُدْنِ قُبِ³
 تَرى كُلَّ مُدِلٍّ قَا ثَمَّا يَلْهَثُ كالكلبِ⁴
 كأنَّ الماءَ في الأعْطَا ف منه قَطَعُ العُطْبِ⁵
 كأنَّ الدَّمَّ في النَّحْرِ قَذالَ عُلِّ بالخَضْبِ
 يَزِينُ الدَّارَ مَوْقُوفاً وَيَشْفِي قَرَمَ الرُّكْبِ

قال : فقال له الوليد : أحسنت يا يزيد الوصف وأجدته ، فاجعل لقصيدتك تشبيهاً وأعطه

الغزِيلَ وعمر الوادي حتى يَغْنِيَا فيه ؛ فقال :

[من الهزج]

صوت

إلى هَندٍ صبا قلبي وهندٌ مثلها يُصْنِي
 وهندٌ غادةٌ غَيِّدا ءُ من جُرْثُومَةٍ غُلْبِ
 وما إنَّ وَجَدَ الناسُ من الأدواءِ كالحبِّ
 لقد لَجَّ بها الإعرأ ضُ والمهجَرُ بلا ذنبِ
 ولَمَّا أَقْضَرَ من هَندٍ ومن جاراتها نَحْبِي⁶
 أرى وَجْدِي بهندٍ دا ثَمَّا يَزْدادُ عن غِبِّ
 وقد أَطَوَّلْتُ إِعْراضاً وما بَغْضُهُمْ طَبِّي⁷
 ولكن رِقْبَةً الأعْـ يُنْ قد تَحْجُزُ ذا اللُّبِّ

1 غرب الفرس : حدته ونشاطه .

2 الخذروف : شيء يدوره الصبي فيسمع له دوي .

3 الجوشن : الصدر .

4 المدل : الجريء .

5 العُطْب : القطن .

6 النحب : الحاجة .

7 الطب هنا : العادة .

وَرَغْمُ الكَاشِحِ الرَّاغِ مَ فِيهَا أُيَسِّرُ الخَطْبِ

قال : ودفع هذه الأبيات إلى المغنين فغنّوه فيها .

[فصبح يطلب الحوشي من الشعر]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي ، وحدثني به محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال : كان يزيد بن ضبة مولى ثقيف ، ولكنه كان فصيحاً ، وقد أدركته بالطائف ، وقد كان يطلب القوافي المعتاصة والحوشي من الشعر .

[قبل له ألف قصيدة انتحلها الشعراء]

قال أبو حاتم في خبره خاصة وحدثني غسان بن عبد الله بن عبد الوهاب الثقفي ، عن جماعة من مشايخ الطائيين وعلمائهم قالوا : قال يزيد بن ضبة ألف قصيدة ، فاقسمتها شعراء العرب وانتحلتها ، فدخلت في أشعارها .

[103] - أخبار إسماعيل بن الهريذ

[ولاه]

إسماعيل بن الهريذ مكّي مولى لآل الزبير بن العوّام ، وقيل : بل هو مولى بني كِنانة . أدرك آخر أيام بني أميّة وغنّى للوليد بن يزيد ، وعُمّر إلى آخر أيام الرشيد .
[يطرب الرشيد دون كبار المغنّين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ عن أبيه : أنَّ إسماعيل بن الهريذ قدِم على الرشيد من مكّة ، فدخل إليه وعنده ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفُلَيْح وغيرهم والرشيد يومئذٍ خائرٌ به خُمار شديد ؛ فغنّى ابن جامع ثم فُلَيْح ثم إبراهيم ثم إسحاق ، فما حرّكه أحد منهم ولا أطره ؛ فاندفع ابن الهريذ يغني ، فعجّبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد ، فغنّى : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا راكبَ العيس التي	وفدّت من البلد الحرام ¹
قل للإمام ابن الإمام	م أخي الإمام أبي الإمام
زين البريّة إذ بدا	فيهم كمصباح الظلام
جعل الإله الهريذيّ	فذاك من بين الأنام

الغناء لابن الهريذ رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . قال : فكاد الرشيد يرقص ، واستخفه الطرب حتى ضرب يديه ورجليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم . فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنَّ لهذا الصوت حديثاً ، فإن أذن مولاي حدّثه به ؛ فقال : حدّث . قال : كنت مملوكاً لرجل من ولد الزبير ، فدفع إليّ درهمين أبتاع له بهما لحماً ، فرُحْتُ فلقيتُ جاريةً على رأسها جرةٌ مملوءةٌ من ماء العقيق وهي تغني هذا اللحن في شعر غير هذا الشعر على وزنه ورويه ؛ فسألته أن تُعلِّمَنِيه ؛ فقالت : لا وحقّ القبر² إلّا بدرهمين ؛ فدفعْتُ إليها الدرهمين وعَلِّمَتَنِيه ؛ فرجعتُ إلى مولاي بغير لحم فضربني ضرباً مبرحاً شَغِلْتُ معه بنفسِي فأنسيْتُ الصوت . ثم دفع إليّ درهمين آخرين بعد أيام أبتاع له بهما لحماً ؛ فلقيتُني الجارية فسألته أن تُعيد الصوت عليّ ؛

1 وفدّت في ل : وحدث .

2 تقصد قبر النبي .

فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ إِلَّا بِدَرَهْمَيْنِ ؛ فَدَفَعْتُهُمَا إِلَيْهَا وَأَعَادَتْهُ عَلَيَّ مَرَارًا حَتَّى أَخَذْتُهُ . فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى مَوْلَايَ أَيْضًا وَلَا لَحْمَ مَعِيَ قَالَ : مَا الْقِصَّةُ فِي هَذَيْنِ الدَّرَهْمَيْنِ ؟ فَصَدَّقْتُهُ الْقِصَّةَ وَأَعَدْتُ عَلَيْهِ الصَّوْت ، فَقَبِلَ بَيْنَ عَيْنَيَّ وَأَعْتَقَنِي . فَرَحَلْتُ إِلَيْكَ بِهَذَا الصَّوْت ، وَقَدْ جَعَلْتُ ذَلِكَ اللَّحْنَ فِي هَذَا الشَّعْرِ ؛ فَقَالَ : دَعِ الْأَوَّلَ وَتَنَاسَهُ ، وَأَقِمِّي عَلَى الْغَنَاءِ بِهَذَا اللَّحْنَ فِي هَذَا الشَّعْرِ ؛ فَأَمَّا مَوْلَاكَ فَسَادِّفْ إِلَيْهِ بَدَلَ كُلِّ دَرَهْمٍ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِذَلِكَ فَحُمِلَ إِلَيْهِ .

[شعر نسب الوليد وليس له]

وَمَا نُسِبَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ مِنَ الشَّعْرِ وَلَيْسَ لَهُ ¹ :

[من الرمل]

صوت

من المائة المختارة

امدَحِ الْكَأْسَ وَمَنْ أَعْمَلَهَا وَاهْجُ قَوْمًا قَتَلُونَا بِالْعَطَشِ
إِنَّمَا الْكَأْسُ رِبْعٌ بَاكِرٌ فَإِذَا مَا غَابَ عَنَّا لَمْ نَعِشْ

الشعر لنابغة بني شيبان . والغناء لأبي كامل ، ولحنه المختار من خفيف الثقل الثاني بالوسطى ، وهو الذي تسميه الناس اليوم الماخوري . وفيه لأبي كامل أيضاً خفيف رمل بالبنصر عن عمرو . وذكر الهشامي أن فيه لمالك لحناً من الثقل الأول بالوسطى ، ولعمرو الوادي ثاني ثقل بالبنصر .

[104] - نسب نابغة بني شيبان

[نسبه]

النابغة اسمه عبد الله بن المخارق بن سليم بن حصرة¹ بن قيس بن سنان بن حماد بن حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . شاعرٌ بدويٌّ من شعراء الدولة الأموية . وكان يفد إلى الشام إلى خلفاء بني أمية فيمدحهم ويُجزلون عطاءه . وكان فيما أرى² نصرانياً لأنني وجدته في شعره يحلف بالإنجيل والرهبان وبالأيمان التي يحلف بها النصارى . ومدح عبد الملك بن مروان ومن بعده من ولده ؛ وله في الوليد مدائح كثيرة .

[مدح عبد الملك لما هم بخلع أخيه]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكُراني قال حدثني العُمري عن العُتبي قال : لما هم عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه وتولية الوليد ابنه العهد ، كان نابغة بني شيبان منقطعاً إلى عبد الملك مداحاً له ؛ فدخل إليه في يوم حفل والناس حواله وولده قد أمه ، فمَثَل بين يديه وأنشده قوله³ :

أَشْتَقَتْ وَانْهَلْ دَمْعُ عَيْنِكَ أَنْ أَضْحَى قِفَاراً مِنْ أَهْلِهِ طَلَحُ⁴
حتى انتهى إلى قوله :

أَزَحَّتْ عَنَّا آلَ الزُّبَيْرِ وَلَوْ كَانُوا هُمُ الْمَالِكِينَ مَا صَلَّحُوا⁵

1 ل : حضيرة وفي الديوان : خصيرة .

2 لقول أبي الفرج هذا ما يبرره في شعر النابغة ، كقوله مثلاً :

يَظَلُّ الْيَتْلُو الْإِنْجِيلَ يَدْرُسُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ قَلْبُهُ طَفَحُ
غير أن في شعره نفساً إسلامياً لا يخطئه القارىء ، بل إنه يصرح بإسلامه كقوله :
وتعجبني اللذات ثم يعوجني ويسترتني عنها من الله سائرُ
ويزجرني الإسلام والشيب والتقى وفي الشيب والإسلام للمرء زاجرُ
فهل كان النابغة نصرانياً في مبدئه ثم أسلم ؟ .

3 ديوان نابغة بني شيبان (دار الكتب) : 101-108 .

4 طلح : اسم موضع مختلف على تعيينه .

5 الشطر الثاني في رواية الديوان : كان إمام سواك ما صلحوا .

إِنْ تَلَقَّ بَلَوِي فَأَنْتَ مُصْطَبِرٌ وَإِنْ تُلَاقِ النُّعْمَى فَلَا فَرْحُ
 تَرْمِي بَعِينِي أَقْنَى عَلَى شَرْفٍ لَمْ يَوْذِهِ عَائِرٌ وَلَا لَحَحٌ¹
 أَلْ أَبِي الْعَاصِ آلُ مَأْثُورَةٍ غُرٌّ عَتَاقٌ بِالْخَيْرِ قَدْ نَفَحُوا
 خَيْرُ قَرِيشٍ وَهُمْ أَفْضَلُهَا فِي الْجِدِّ جِدٌّ وَإِنْ هُمْ مَزَحُوا
 أَرْحَبُهَا أَذْرَعَاً وَأَصْبَرُهَا أَنْتُمْ إِذَا الْقَوْمُ فِي الْوَعَى كَلَحُوا²
 أَمَّا قَرِيشٌ فَأَنْتَ وَارِثُهَا تَكُفُّ مِنْ صَعِبِهِمْ إِذَا طَمَحُوا
 حَفِظْتَ مَا ضَيَّعُوا وَزَنَدَهُمْ أَوْرَيْتَ إِذْ أَصْلَدُوا وَقَدْ قَدَحُوا
 آلِيَتْ جَهْدًا ، وَصَادَقُ قَسَمِي ، بَرَبٌ عَبْدٌ تَجُنُّهُ الْكُرْحُ³
 يَظَلُّ يَتَلَوُ الْإِنْجِيلَ يَدْرُسُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ قَلْبُهُ طَفَحُ⁴
 لِأَبْنِكَ أَوْلَى بِمُلْكٍ وَالِدِهِ وَنَجْمٌ مِنْ قَدْ عَصَاكَ مُطْرَحُ
 دَاوُدَ عَدْلٌ فَاحْكَمْ بِسِيرَتِهِ ثُمَّ ابْنُ حَرْبٍ فَإِنَّهُمْ نَصَحُوا⁵
 وَهُمْ خِيَارٌ فَاعْمَلْ بِسِتِّهِمْ وَاحْيَ بِخَيْرٍ وَاكْذَحْ كَمَا كَذَحُوا

قال : فتبسّم عبد الملك ولم يتكلّم في ذلك بإنذار⁶ ولا دفع ؛ فعلم الناس أنّ رأيه خلعُ عبد العزيز . وبلغ ذلك من قول النابغة عبد العزيز ، فقال : لقد أَدْخَلَ ابْنُ النَّصْرَانِيَةِ نَفْسَهُ مُدْخَلًا ضَيْقًا فَأَوْرَدَهَا مُورَدًا خَطَرًا ؛ وبالله عليّ لئن ظفّرتُ به لأُخْضِصَنَّ قَدَمَهُ بِدَمِهِ .

[هنا يزيد بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب]

وقال أبو عمرو الشَّيبَانِي : لما قُتِلَ يزيد بن المهلب دخل النابغة الشَّيبَانِيّ على يزيد بن عبد الملك بن مروان ، فأنشده قوله في تهنئته بالفتح⁷ :

أَلَا طَالَ التَّنْظُّرُ وَالْثَوَاءُ وَجَاءَ الصَّيْفُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
 وَلَيْسَ يُقِيمُ ذُو شَجَنِ مُقِيمٍ وَلَا يَمْضِي إِذَا ابْتَغَى الْمَضَاءُ

- 1 والأقنى : الصقر . والعائر : الرمد . واللحج : لصوق الأجنان بوسخ أبيض جامد . ولا لحح في ل : ولا لحوا .
- 2 كلحوا : تغيّرت وجوههم .
- 3 تجنّه الكرح في ل : لله يتنصح . والكرح والأكيراح : بيوت صغار بأرض الكوفة كان يسكنها الرهبان .
- 4 الديوان : قفح : أي وجع .
- 5 نصحو في ل : نُصَحَ .
- 6 في ل : بإقرار .
- 7 ديوان النابغة : 40-51 .

طَوَالَ الدَّهْرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ وَمَقْدَارٍ يُؤَافِقُهُ الْقَضَاءُ
فَمَا يُعْطَى الْحَرِيسُ غَنًى لِحَرْصٍ وَقَدْ يُنْمَى لَذِي الْجُودِ الثَّرَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ سَيَتْبُعُهَا إِذَا انْتَهَتْ الرَّخَاءُ

[من الوافر]

يقول فيها :

أَوْمٌ فَتَى مِنَ الْأَعْيَاصِ مُلْكًا أَغْرَّ كَانَ غُرَّتَهُ ضِيَاءُ
لَأُسْمِعَهُ غَرِيبَ الشَّعْرِ مَدْحًا وَاثْنِي حَيْثُ يَتَّصِلُ الثَّنَاءُ
يَزِيدُ الْخَيْرِ فَهُوَ يَزِيدُ خَيْرًا وَيَنْمِي كُلَّمَا ابْتَغَى النَّمَاءُ
فَضَضْتَ كِتَابَ «الْأَزْدِيِّ» فَضًّا بَكْبَشَكَ حِينَ لَفَّهَمَا اللَّقَاءُ
سَمَكْتَ الْمُلْكَ مَقْتَبَلًا جَدِيدًا كَمَا سُمِكَتَ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ¹
نَرْجِي أَنْ تَدُومَ لَنَا إِمَامًا وَفِي مُلْكِ الْوَلِيدِ لَنَا رَجَاءُ
«هَشَامٌ» وَ«الْوَلِيدُ» وَكُلُّ نَفْسٍ تُرِيدُ لَكَ الْفَنَاءَ لَكَ الْفِدَاءُ

وهي قصيدة طويلة . فأمر له بمائة ناقة من نَعَمِ كَلْبٍ وَأَنْ تُوقَرَّ لَهُ بُرًّا وَزَيْبًا ، وكساه وأجزل صلته .

[وفد على هشام مادحاً فطرده]

قال : ووفد إلى هشام لما ولي الخلافة ؛ فلما رآه قال له : يا ماصٍّ ما أَبْقَتِ الْمَوَاسِي من بَطَرٍ أُمِّه ! أَلَسْتَ الْقَائِلَ :

هَشَامٌ وَالْوَلِيدُ وَكُلُّ نَفْسٍ تُرِيدُ لَكَ الْفَنَاءَ لَكَ الْفِدَاءُ
أَخْرِجُوهُ عَنِّي ! وَاللَّهِ لَا يَزْرُونِي شَيْئًا أَبَدًا وَحَرَمَهُ . ولم يزل طولَ أَيَّامِهِ طَرِيدًا ؛ حتى ولي الوليدُ بن يزيد ؛ فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة ، فأجزل صلته .

[الخمير ومدحها]

حدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكُوفِيُّ عَنِ الْعُمَرِيِّ الْخَصَّافِ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ عَنِ حَمَّادِ الرَّائِدِيِّ أَنَّهُ أَنْشَدَهُ لِنَابِغَةِ بَنِي شِيَانَ :

[من الرمل]

أَيُّهَا السَّاقِي سَقَتَكَ مُزْنَةً مِنْ رَبِيعٍ ذِي أَهَاضِيبٍ وَطَشٍ²

1 رواية الديوان : سمكت لهم بإذن الله ملكاً . وسمكت الشيء : رفعه .

2 الطش : المطر الضعيف . والأهاضيب : المطر المتوالي .

امدح الكأس ومن أعملها واهجُ قوماً قتلونا بالعطش^١
 إنما الكأسُ ربيعٌ باكرٌ فإذا ما غاب عنا لم نعيش^٢
 وكان الشرب قوم موتوا من يقم منهم لأمر يرتعش^٣
 خرس الألسن مما نالهم بين مصروع وصاح منتعش^٤
 من حميا قرقف حصية قهوة حويلة لم تمتحش^٥
 ينفع الزكوم منها ريحها ثم تنفي داءه إن لم تنش^٦
 كل من يشربها يالفها يُنفق الأموال فيها كل هش^٧

[أنشد الوليد شعراً في الفخر]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الجُمحي ،
 قال ابن أبي الأزهر : وهو محمد بن سلام : غنى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوماً بحضرة
 الوليد بن يزيد :

امدح الكأس ومن أعملها واهجُ قوماً قتلونا بالعطش^١
 فسأل عن قائل هذا الشعر ف قيل : نابغة بني شيان ؛ فأمر بإحضاره فأحضر ؛ فاستنشد
 القصيدة فأنشده إياها ؛ وظن أن فيها مدحاً له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم ؛ فقال له الوليد :
 لو سعد جدك لكنت مدحياً فينا لا في بني شيان ، ولسنا نخليك على ذلك من حظ ؛ ووصله
 وانصرف . أول هذه القصيدة قوله^٣ :

خلّ قلبي من سليمي نيلها إذ رمتني بسهام لم تطش^٤
 طفلة الأعطاف رودة دمية وشواها بخيري لم يحش^٥
 وكان الدرّ في أخراصها بيض كحلاء أقرته بعش^٦
 ولها عينا مهابة في مها ترتعي نبت خزامي وتنش^٧
 حرة الوجه رخيّم صوتها رطب تجنيه كف المتتش^٨

- 1 الحميا : سورة الخمر وشدتها . والقرقف : الخمر ، سميت كذلك لأنها تصيب شاربها بالردة .
- 2 لم تنش : النشوة أي لم تسكر .
- 3 ديوان بني شيان 83-89 .
- 4 خل : نفذ وثقب .
- 5 الأخراص : جمع خرص وهو القرط . والكحلاء : طائر .
- 6 التنش : أول ما يظهر من النبات .
- 7 المتتش : المتخير .

وهي في الليل إذا ما عُونَقَتْ مُنِيَةُ البعل وهمُ الْمُفْتَرِشُ
وفيهما يقول مفتخراً :

[من الرمل]

وبنو شَيْبَانَ حَوْلِي عُصَبٌ مِنْهُمْ غُلْبٌ وَلَيْسَتْ بِالْقَمِشِ¹
وَرَدُوا الْمَجْدَ وَكَانُوا أَهْلَهُ فَرَوْوَا وَالْجُودَ عَافٍ لَمْ يَنْشِ²
وَتَرَى الْجُرْدَ لَدَى أَيْبَاتِهِمْ أَرِنَاتٍ بَيْنَ صَلْصَالٍ وَجُشٍ³
لَيْسَ فِي الْأَلْوَانِ مِنْهَا هُجْنَةٌ وَضَحُ الْبُلْقِ وَلَا عَيْبُ الْبَرَشِ⁴
فَبِهَا يَخُونُونَ أَمْوَالَ الْعِدَا وَيَصِيدُونَ عَلَيْهَا كُلَّ وَحْشٍ
دَمِيتُ أَكْفَالُهَا مِنْ طَعْنِهِمْ بِالرُّدَيْنِيَّاتِ وَالْخَيْلِ النَّجْشِ⁵
نَنْهَلُ الْخَطِيئَ مِنْ أَعْدَائِنَا ثُمَّ نَفْرِي الْهَامَ إِنْ لَمْ نَفْتَرِشِ⁶
فَإِذَا الْعَيْسُ مِنَ الْمَحْلِ عَدَتْ وَهِيَ فِي أَعْيُنِهَا مِثْلُ الْعَمَشِ
حُسْرَ الْأَوْبَارِ مِمَّا لَقِيتُ مِنْ سَحَابٍ حَادٍ عَنْهَا لَمْ يُرَشِ⁷
خُسْفَ الْأَعْيُنِ تَرَعَى جُوفَةً هَمَدَتْ أَوْبَارُهَا لَمْ تَنْتَفِشِ⁸
نَنْعَشُ الْعَافِي وَمَنْ لَازَ بَنَا بِسَجَالِ الْخَيْرِ مِنْ أَيْدٍ نُعَشِ⁹
ذَاكَ قَوْلِي وَثَنَائِي وَهُمْ أَهْلُ وَدِّي خَالِصًا فِي غَيْرِ غِشٍ
فَسَلُّوا شَيْبَانَ إِنْ فَارَقْتُهُمْ يَوْمَ يَمْشُونَ إِلَى قَبْرِ بَنِعْشِ
هَلْ غَشَيْنَا مَحْرَمًا فِي قَوْمِنَا أَوْ جَزَيْنَا جَازِيًا فُحْشًا بِفُحْشِ

[بعض شعره الذي غني به]

[من مجزوء الرمل]

ومما يُغْنَى فِيهِ مِنْ شَعْرِ نَابِغَةِ بَنِي شَيْبَانَ :

1 القمش : زعانف الناس وأرذالهم .

2 العافي : الوافي .

3 أرنات : نشيطات . الصلصال : الحمار المصوت . جش : جمع أجش وهو الغليظ الصوت .

4 الهجنة : العيب . البرش : البرص .

5 النجش : المستثارة المسرعة .

6 نفترش : نصرع .

7 لم يرش : لم ينزل ما به من مطر .

8 خسف الأعين : غائرتها . الجوفة : الثبته الفارغة الجوف .

9 العافي في ل : العافي . نعش : تنتعش للكرم وفعل الخير .

صوت

ذَرَفْتُ عَيْنِي دَمَوْعاً مِنْ رَسُومٍ بِخَفِيرٍ
مُوحِشَاتٍ طَامَسَاتٍ مِثْلَ آيَاتِ الزُّبُورِ
وَزِقَاقٍ مُتَرَعَاتٍ مِنْ سُلَافَاتِ الْعَصِيرِ¹
مُجْلَخِدَاتٍ مِلَاءٍ بَطْنُوهُنَّ بِقِيرٍ²
فَإِذَا صَارَتْ إِلَيْهِمْ صُيِّرَتْ خَيْرَ مَصِيرٍ³
مِنْ شِبَابٍ وَكُهُولٍ حَكَمُوا كَأْسَ الْمُدِيرِ
كَمْ تَرَى فِيهِمْ نَدِيمًا مِنْ رُئِيسٍ وَأَمِيرٍ

ذكر يونس أنَّ فيه للملك لحنًا ولابن عائشة آخر ، ولم يذكر طريقتهما ؛ وفيه خفيف رملٍ معروف لا أدري لحن أيُّهما هو .

صوت

من المائة المختارة⁴

[من الكامل]

يَا عَمْرُ حُمِّ فِرَاقِكُمْ عَمْرًا وَعَزَمْتُ مَنَا النَّأْيَ وَالْهَجْرَا
إِحْدَى بَنِي أَوْدٍ كَلَفْتُ بِهَا حَمَلْتُ بِلَا تِرَةٍ لَنَا وَتَرَا
وَتَرَى لَهَا دَلَالًا إِذَا نَطَقْتُ تَرَكْتُ بَنَاتِ فَوَادِهِ صُغْرًا⁵
كَسَاقِطِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ مِنَ الْأَفْنَا نَ لَا بَنُورًا وَلَا نَشْرًا⁶
الشَّعْرَ لِأَبِي ذَهَبِلِ الْجُمُحِيِّ . وَالْغَنَاءَ لِفَزَارِ الْمَكِّيِّ ، وَلَحْنَهُ الْمَخْتَارَ ثَقِيلًا أَوَّلُ مُطْلَقٍ فِي
مَجْرَى الْوَسْطَى عَنِ الْمَشَامِيِّ .

1 رواية هذا البيت في الديوان :

في زقاق كلِّ حجليه من أضراً بيعير

والحجل : هو السقاء العظيم .

2 مجلخدات : مستلقيات . بطنوهن في ل : طينوهن .

3 رواية هذا البيت والذي بعده في الديوان :

فَإِذَا صَرْتُ إِلَيْهِمْ صَرْتُ فِي خَيْرِ مَصِيرٍ
عِنْدَ شِبَانٍ وَشَيْبٍ أَعْمَلُوا كَأْسَ الْمُدِيرِ

4 ديوان أبي ذهبل : 109-110 .

5 صعر : مائلة .

6 رواية الديوان : كَسَاقِطِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ مِنَ الْإِقْنَاءِ لَا نَشْرًا وَلَا نَزْرًا
الْإِقْنَاءُ : جَمْعُ قَنَوٍ وَهُوَ الْعَذَقُ بِمَا فِيهِ مِنْ رُطْبٍ . وَالْبَثْرُ : الْكَثِيرُ وَكَذَلِكَ النَّشْرُ .

[105] - أخبار أبي دهل ونسبه¹

[نسبه]

نسبه - فيما ذكر الزبير بن بكار وغيره ، وهب بن زمة² بن أسيد بن أحiche بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤي بن غالب . ولخلف بن وهب يقول عبد الله بن الزبير أو غيره :

خلف بن وهب كل آخر ليلة أبداً يكثر أهله بعال
سقياً لوهب كهله وليلها ما دام في أبياتها الذيال
نعم الشباب شبابهم وكهولهم صيابة ليسوا من الجهال³
وأم أبي دهل امرأة من هذيل . وإياها يعني بقوله :

أنا ابن الفروع الكرام التي هذيل لأياتها سائلة
هم ولدوني وأشبهتهم كما تشبه الليلة القابلة
واسمها ، فيما ذكر ابن الأعرابي ، هذيلة بنت سلمة .

[كان شاعراً جميلاً عفيفاً]

قال المدائني : كان أبو دهل رجلاً جميلاً شاعراً ، وكانت له جمة يُرسلها فتضرب منكبيه ، وكان عفيفاً ، وقال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومدح معاوية ، وعبد الله بن الزبير ، وقد كان ابن الزبير ولآه بعض أعمال اليمن .
[عده راهب أشعر الناس]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العُمري عن الكلبي عن أبي مسكين ، وأخبرني به محمد بن خلف بن المُرزيان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدثني العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين : أن قوماً مروا براهب ، فقالوا له : يا راهب ، من أشعر الناس ؟ قال : مكانكم حتى أنظر في كتاب

1 لأبي دهل الجمحي ترجمة في الشعر والشعراء : 512-514 والمؤتلف : 168 وانظر بروكلمان 1 : 198 .
وقد جمع كرنكو شعره سنة 1910 ثم عثر الأستاذ عبد العظيم عبد الحسن على مخطوطة له في النجف فنشرها عام 1972 ، وإليه نشير .

2 ل : ربيعة وهو تحريف .

3 الصيابة : الخيار من كل شيء .

عندي ، فنظر في رَقّ له عتيق ثم قال : وَهَبْ من وَهين ، من جُمَحْ أو جُمَحِين .
أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّارٍ قال حَدَّثَنَا عَلِيّ بن صالح عن
عبد الله بن عُرْوَةَ قال : قال أَبُو دَهْبِلٍ يَفْخَرُ بقومه¹ :

قومي بنو جُمَحٍ قوم إذا انحدرتْ شهباءٌ تبصر في حافاتِها الرِّغْفَا²
أهلُ الخلافةِ والمُوفُونَ إن وعدوا والشاهدو الروع لا عُرْلاً ولا كُشْفَا³
قال الزُّبَيْرُ وأنشدني عمِّي قال أنشدني مصعبُ لأبي دَهْبِلٍ يَفْخَرُ بقومه بقوله⁴ : [من الرجز]
أنا أبو دَهْبِلَ وَهَبٌ لَوْهَبٌ من جُمَحٍ في العزِّ منها والحَسَبُ
والأسرةِ الخضراءِ والعِصِ الأَشَبُ ومن هُذَيْلٍ والدي عالي النَّسَبُ⁵
أورثني المجدَ أبٌ من بعد أبٍ رمحي رُدَيْنِي وسيفي المستلبُ
ويُبْضَتِي قَوْنُسُها من الذهبِ دِرْعِي دِلاصٌ سَرْدُها سرْدٌ عَجَبُ⁶
والقوسُ فَجَاءَ لها نَبْلٌ ذَرِبُ محشورةٌ أَحْكَمُ منهن القطبُ⁷
ليوم هَيْجَاءٍ أُعِدَّتْ للرَّهْبِ

[كادوا له عند من كان يهواها]

أخبرني مُحَمَّد بن خَلَفٍ قال حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن زُهَيْرٍ قال حَدَّثَنَا المدائنيّ : أنَّ أبا دَهْبِلٍ كان
يهوى امرأةً من قومه يقال لها عَمْرَة ، وكانت امرأةً جَزَلَةً⁸ يجتمع إليها الرجال للمحادثة
وإنشاد الشعر والأخبار ، وكان أبو دَهْبِلٍ لا يُفَارِقُ مجلسَهَا مع كلِّ من يجتمع إليها ، وكانت
هي أيضاً مُحَبَّةً له . وكان أبو دَهْبِلٍ رجلاً سيِّداً من أشراف بني جَمَحٍ ، وكان يحمل الحِمالات
ويُعطي الفقراء ويقري الضيف . وزعمتُ بنو جَمَحٍ أنَّه تزوّج عَمْرَةَ هذه بعد ذلك ، وزعم
غيرهم أنَّه لم يصل إليها . وكانت عَمْرَةُ تُوصيه بحفظ ما بينهما وكمانه ، فضمنَ لها ذلك
واتّصل ما بينهما . فوفقت عليه زوجته فُدِسَتْ إلى عَمْرَةَ امرأةً داهيةً من عجائز أهلها ؛

1 ديوان أبي دَهْبِلٍ : 64-65 .

2 الشهباء : الكتيفة العظيمة الكثيرة السلاح . والزغف : الدروع .

3 كشف : جمع أكشف ، وهو من لا ترس له في الحرب . وقيل من يهزم في الحرب .

4 ديوانه : 47-48 .

5 العيص : الأصل . والأشب : الملتف .

6 قونسها : أعلاها . والدرع الدلاص : اللينة الملساء . وسردها سرد في الديوان : شكّها شك .

7 القوس الفجاء : ارتفعت سبتها فبان وترها عن مقبضها . والقطب : النصال .

8 الجزلة : الأصيلة الرأي .

فجاءتها فحادثتها طويلاً ثم قالت لها في عرض حديثها : إني لأعجبُ لك كيف لا تتزوجين أباً دهبل مع ما بينكما ! قالت : وأيُّ شيء يكون بيني وبين أبي دهبل ؟ قال : فتضاحكت وقالت : أتسترين عني شيئاً قد تحدثت به أشرافُ قريش في مجالسها وسوقه أهل الحجاز في أسواقها والسقاة في مواردها ! فما يتدافع اثنان أنه يهواك وتهوينه ؛ فوثبت عن مجلسها فاحتجبت ومنعت كل من كان يجالسها من المصير إليها . وجاء أبو دهبل على عادته فحجبت وأرسلت إليه بما كره . ففي ذلك يقول¹ :

صوت

تطاولَ هذا الليل ما يتلجُ وأعيَتْ غواشيَ عَبرتي ما تفرجُ
وبتُ كئيباً ما أنام كأنما خلالَ ضلوعي جمرةً تنوهجُ
فطوراً أُمّني النفسَ من عمرةِ المنى وطوراً إذا ما لجَّ بي الحزنُ أنشيحُ
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يُوصلَ الحبُّ أحوجُ

الغناء في البيت الأول وبعده بيت في آخر القصيدة :

أخططُ في ظهر الحَصيرِ كائنِي أسيرُ يخافُ القتلَ ولهان مُلفجُ
لمبعد ثَقيلٌ أولٌ بالوسطى . وذكر حمّاد عن أبيه في أخبار مالك أنه لحائد بن جرّهد وأن مالكا أخذه عنه فنسبه الناسُ إليه ، فكان إذا غناه وسئل عنه يقول : هذا والله لحائد بن جرّهد لا لي . وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثَقيل بالوسطى عن حبش . وفي «لقد قطع الواشون» وقبله «فطوراً أُمّني النفس» للملك ثَقيلٌ أولٌ بالسبابة . في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لمبعد خفيفٌ ثَقيل بالوسطى عن حبش :

رأوا غيرةً فاستقبلوها بالبهيم فراحوا على ما لا نُحِبُّ وأذلجوا²
وكانوا أناساً كنتُ آمَنُ غيبيهم فلم يَنههم حلمي ولم يتحرّجوا
فليت كوايناً من أهلي وأهلها بأجمعهم في قعر دجلة لَججوا³
همُ منعونا ما نحبُّ وأوقدوا علينا وشبوا نار صُرم تَأججُ

1 ديوان أبي دهبل : 52-57 .

2 ألهم : جمعهم .

3 الكواين : الثقلاء أو الذين يتقصّون الأخبار لنقلها . ولججوا : وقعوا في اللجة . وفي الديوان :

بأجمعهم في لجة البحر لججوا

ولو تركونا لا هدى الله سعيهم
لأوشك صرف الدهر يفرق بيننا
عسى كربة أمست فيها مقيمة
فكبت أعداء ويجذل ألف
وقلت لعباد وجاء كتابها
وإني لحزون عشية زرتها
أخطط في ظهر الحصر كأنني
أسير يخاف القتل ولهان ملفج

الملفج : الفقير المحتاج .

وأشفق قلبي من فراق خلية
وكف كهذاب الدمقس لطيفة
يجول وشاحاها ويغتص حجلها
فلما التقينا لجلجت في حديثها

[شعره في عمرة]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أنشدني عمي ومحمد بن الضحاک عن أبيه محمد بن خشرم ومن شئت من قريش لأبي دهيل في عمرة : [من الكامل]

يا عمر حُم فراقكم عمرا
يا عمر شيخك وهو ذو كرم
إن كان هذا السحر منك فلا
إحدى بنى أود كلفت بها
وترى لها دلاً إذا نطقت
وتركت بنات فواده صغرا

1 لا يستقيم في الديوان : ولا يستتم . . .

2 الديوان : له كبد من لوعة الحزن تنضج .

3 الدوس : التزوين . مضرج : مصبوغ .

4 يغتص : يمتلىء . الوقف : سوار من عاج .

5 لا ترعي علي : لا تبقي علي .

6 تقدم هذا البيت (صفحة 86) برواية «بلا ترة» وهي رواية الديوان .

كساقطِ الرُّطْبِ الجَنِيِّ من الأَفْ نَان لا بَنَرا ولا نَزْرا
أَقْسَمْتُ ما أُحِبُّتُ حَبَّكُمْ لا ثَبَّاباً خُلِقْتُ ولا بَكْرا
ومقالةً فيكم عَرَكْتُ بها جَنِّي أُرِيدُ بها لك العذرا¹
ومُرِيدُ سَرَّكُمْ عَذَلْتُ به فيما يَحاولُ مَعْدِلاً وَعَرا
قالت يُقِيمُ بنا لَنَجْزِيَه يوماً فَخَيَّمْ عَندَها شَهرَا
ما إن أُقِيمَ لِحَاجَةِ عَرَضَتْ إلَّا لأُبْلِي فيكمُ العذرا
قالوا : وفيها يقول² :

[من الطويل]

صوت

يلومونني في غير ذنب جَنِيته وغيري في الذنب الذي كان الوُمُ
أَمِنَّا أَناساً كُنْتَ تَأْتُمِنُهُمْ فزادوا عَلَيْنَا في الحديث وأَوَهُوا³
وقالوا لنا ما لم يُقَلْ ثم كَثُرُوا عَلَيْنَا وباحوا بالذي كُنْتَ أَكْثَمُ
غَنَى في هذه الأَبْيَات أبو كامل مولى الوليد رملاً بالبصرة .

[من الطويل]

وقد مُنِحَتْ عيني القَدَى لفراقهم وعاد لها تَهْتَانُها فهي تَسْجُمُ
وصافيتُ نِسْواناً فلم أَرُ فيهمُ هَوَايَ ولا الوُدَّ الذي كُنْتُ أَعْلَمُ
أليس عَظِيماً أنْ نَكُونُ بِلَدَةٍ كلانا بها ثَاوٍ ولا نَتَكَلَّمُ

[أبو السائب المخزومي يطرب لشعره]

أخبرني حبيب بن نصر قال حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال حَدَّثَنِي أبو غَسَّان قال : سمع أبو السائب المخزومي رجلاً يَنشد قول أبي دهل :

[من الطويل]

أليس عَجِيماً أنْ نَكُونُ بِلَدَةٍ كلانا بها ثَاوٍ ولا نَتَكَلَّمُ

فقال له أبو السائب : قف يا حبيبي فوقف ؛ فصاح بجارية : يا سلامة اخرجي فخرجت ؛ فقال له : أَعِدْ بَأبي أَنْتَ البيت فَأَعاده ؛ فقال : بلى والله إنه لعجيبٌ عَظِيمٌ وإلَّا فسلامة حرّة لوجه الله ؛ اذهبْ فذَيْتُكَ مُصاحَباً . ثم دخل ودخلت الجارية تقول له : ما لَقِيتُ منك ! لا تزال تقطعني عن شغلي فيما لا ينفعلك ولا ينفعني ! .

1 عركت بها جنبي : احتملتها . والمثل : عركت ذلك بجنبي في مجمع الميداني 2 : 8 ومستقصى الزمخشري

2 : 160 .

2 ديوان أبي دهل : 112-114 .

3 أوهموا : نقصوا .

[تمثل متحايين بشعره]

وحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : كنّا نختلف إلى أبي العباس المبرّد ونحن أحدثُ نكتب عن الرواة ما يروونه من الآداب والأخبار ، وكان يصحبنا فتى من أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثوباً وأجملهم زياً ولا نعرف باطن أمره ؛ فانصرفنا يوماً من مجلس أبي العباس المبرّد وجلسنا في مجلس تتقابل بما كتبناه ونصحّح المجلس الذي شهدناه ؛ فإذا بجارية قد اطلّعت فطرحت في حَجَرِ الفتى رقعةً ما رأيت أحسن من شكلها مختومةً بعنبر ؛ فقرأها منفرداً بها ثم أجاب عنها ورمى بها إلى الجارية . فلم نلبث أن خرج خادمٌ من الدار في يده كَرَش ، فدخل إلينا فصفع الفتى به حتى رحمناه وخلّصناه من يده وقمنا أسوأ الناس حالاً . فلمّا تباعدنا سأله عن الرقعة ، فإذا فيها مكتوب :

كفى حَزناً أنا جميعاً ببلدةٍ كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّم
فقلنا له : هذا ابتداءٌ ظريف ، فبأي شيء أجبت أنت ؟ قال : هذا صوت سمعته يُغنى فيه ،
فلمّا قرأته في الرقعة أجبتُ عنه بصوت مثله . فسألناه ما هو ؟ فقال : كتبتُ في الجواب :

أراعك بالخُبور نُوقٌ وأجمال

فقلنا له : ما وُفَاك القومُ حقّك قطّ ، وقد كان ينبغي أن يُدخلونا معك في القصّة لدخولك في جُمْلتنا ، ولكنّا نحن نُؤفّيك حقّك ؛ ثم تناولناه فصفعناه حتى لم يَدِرْ أيّ طريق يأخذ ؛ وكان آخر عهده بالاجتماع معنا .

رجع الخبر إلى سياقة أخبار أبي دَهبل

[أبو دهل وعاتكة بنت معاوية]

أخبرني عمّي قال حدثني الكُرانيّ قال حدثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال حدثنا صالح بن حَسّان قال ، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خَلَف بن المَرْزبان قال حدثني محمد بن عمر قال حدثني محمد بن السريّ قال حدثنا هشام بن الكلبيّ عن أبيه ، يزيد أحدهما على الآخر في خبره ، واللفظُ لصالح بن حَسّان وخبره أتمّ ، قال : حجّت عاتكة بنت معاوية على أبي سفيان ، فنزلت من مكة بذي طوى . فبينما هي ذات يوم جالسة وقد اشتدّ الحرّ وانقطع الطريق ، وذلك في وقت الهاجرة ، إذ أمرت جواريتها فرفعن السّترَ وهي جالسة في مجلسها عليها شُفوفٌ لها تنظر إلى الطريق ، إذ مرّ بها أبو دهل الجمحيّ ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرًا ؛ فوقف طويلاً ينظر إليها وإلى جمالها وهي غافلة عنه ؛ فلمّا فطنت له سترت وجهها وأمرت بطرح السّتر وشتّمته . فقال أبو دهل¹ :

[من السريع]

إني دعاني الحين فافتادني حتى رأيتُ الطبيَّ بالبابِ
يا حسنه إذ سبني مُدبراً مستيراً عني بجلبابِ
سبحان من وقفها حسرةً صبت على القلب بأوصابِ
يزود عنها إن تطلبتُها أب لها ليس بوهابِ
أحلها قصرأ منيع الذرى يُخمي بأبواب وحُجابِ

قال : وأنشد أبو دهل هذه الأبيات بعض إخوانه ، فشاعت بمكة وشهرت وغنى فيها المغنون ، حتى سمعتها عاتكة إنشاداً وغناء ؛ فضحكت وأعجبتها وبعثت إليه بكسوة ، وجرت الرسل بينهما . فلما صدرت عن مكة خرج معها إلى الشام ونزل قريباً منها ، فكانت تعاهده بالبر واللطف حتى وردت دمشق وورد معها ، فانقطعت عن لقائه وبعد من أن يراها ، ومرض بدمشق مرضاً طويلاً . فقال في ذلك ¹ :

طال ليلى وبست كالمخزون ومليتُ الثواء في جيرون²
وأطلت المقام بالشام حتى ظن أهلي مرجمات الظنون³
فبكت خشية التفرق جملٌ كبكاء القرين إثر القرين⁴
وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا صر ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبته لم تجدها في سناء من المكارم دون
ثم خاصرتها إلى القبة الخضد راء تمشي في مرمر مسنون⁵
قبة من مراحل ضربوها عند برد الشتاء في قيطون⁶
عن يساري إذا دخلت من البا ب وإن كنت خارجاً عن يميني
ولقد قلت إذ تطاول سقمي وتقلبت ليلتي في فنون

1 ديوان أبي دهل : 68-72 مع اختلاف في الترتيب واللفظ . وسيرد هذا الشعر منسوباً إلى عبد الرحمن بن حسان (في خبر الأخطل وعبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم) . وقد ورد في الكامل للمبرد (الدالي) 1 : 387 منسوباً إلى أبي دهل ثم أضاف : «والذي كأنه إجماع أنه لعبد الرحمن بن حسان في بنت معاوية» .

2 جيرون في الديوان : بالمطرون .

3 الديوان : فلتلك اغتربت في الشام حتى ...

4 ورواية الديوان :

فبكت خشية التفرق للين بكاء الحزين نحو الحزين

5 مسنون : مصبوب على استواء .

6 المراحل : ضرب من برود اليمن . القيطون : المخدع .

ليت شعري أَمِنْ هوى طار نومي أم براني البارقي قصير الجفون¹

قال : وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية فأمسك عنه ؛ حتى إذا كان في يوم الجمعة دخل عليه الناس وفيهم أبو دهل ؛ فقال معاوية لحاجبه : إذا أراد أبو دهل الخروج فامنعه وارده إلي ؛ وجعل الناس يسلمون وينصرفون ، فقام أبو دهل لينصرف ؛ فناداه معاوية : يا أبا دهل إلي ؛ فلما دنا إليه أجلسه حتى خلا به ، ثم قال له : ما كنت ظننت أن في قرش أشعر منك حيث تقول .

ولقد قلت إذ تطاول سقمي وتقلب ليلى في فنون
ليت شعري أَمِنْ هوى طار نومي أم براني البارقي قصير الجفون

غير أنك قلت :

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا صيرت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبته لم تجدها في سناء من المكارم دون
ووالله إن فتاة أبوها معاوية وجدتها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت ؛ وأي شيء زدت في قدرها ! ولقد أسأت في قولك :

ثم خاصرتها إلى القبة الخضراء تمشي في ممر مسنون

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما قلت هذا ، وإنما قيل على لساني . فقال له : أما من جهتي فلا خوف عليك ، لأنني أعلم صيانة ابنتي نفسها ، وأعرف أن فتیان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب في كل من جاز أن يقولوه فيه وكل من لم يجز ، وإنما أكره لك جوار يزيد ، وأخاف عليك وثباته ، فإن له سورة الشباب وأنفة الملوك . وإنما أراد معاوية أن يهرب أبو دهل فتتقضي المقالة عن ابنته ؛ فحذر أبو دهل فخرج إلى مكة هاربا على وجهه ، فكان يكتب عاتكة . فبينما معاوية ذات يوم في مجلسه إذ جاءه خصي له فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد سقط إلى عاتكة اليوم كتاب ، فلما قرأته بكّت ثم أخذته فوضعت تحت مصلّاها ، وما زالت خائرة النفس منذ اليوم . فقال له : اذهب فالطف لهذا الكتاب حتى تأتيني به . فانطلق الخصي ، فلم يزل يلفظ حتى أصاب منها غيرة فأخذ الكتاب وأقبل به إلى معاوية ، فإذا فيه :

أعاتك هلا إذ بخلت فلا تري لذي صبرة زلفى لديك ولا حقا

رَدَدَتْ فَوَادًا قَدْ تَوَلَّى بِهِ الْهَوَى
ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى
أَتَسْنِنُ أَيَّامِي بِرَبْعِكَ مُدْنَفًا
ليس صديقٌ يُرْتَضَى لوصية
وأكبرُ هَمِّي أَن أَرَى لَكَ مُرْسَلًا
فواكِدي إذ ليس لي منك مجلسٌ
رَأَيْتُكَ تَزْدَادِينَ لِلصَّبِّ غِلْظَةً
وَسَكَنْتِ عَيْنًا لَا تَمَلَّ وَلَا تَرْقَا¹
ولم أَرْ يوماً منك جُودًا ولا صدقا
صريعاً بأرض الشام ذا سَقَمٍ مُلْقَى
وأدعو لدائي بالشراب فما أَسْقَى
فطولَ نهاري جالسٌ أَرْقُبُ الطُّرُقَا
فأشكو الذي بي من هواك وما أَلْقَى
ويزداد قلبي كلَّ يومٍ لكم عشقا

قال : فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث إلى يزيد بن معاوية ، فاتاه فدخل عليه فوجد معاوية مطرقاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما هذا الأمر الذي شجأك ؟ قال : أمر أمرضني وأقلقني منذ اليوم ، وما أدري ما أعمل في شأنه . قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الفاسق أبو دَهْل كذب بهذه الآيات إلى أختك عاتكة ، فلم تزل باكية منذ اليوم ، وقد أفسدها ، فما ترى فيه ؟ فقال : والله إن الرأي لِهَيْنٌ² . قال : وما هو ؟ قال : عبدٌ من عبيدك يكمن له في أَرْقَة مَكَّة فيُرخنا منه . قال معاوية : أف لك ! والله إن امرأةً يُريد بك ما يُريد ويسمو بك إلى ما يسمو لغير ذي رأي ، وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة وقصر فيها باعك حتى أردت أن تقتل رجلاً من قريش ؟ أو ما تعلم أنك إذا فعلت ذلك صدقت قوله وجعلتنا أحدىةً أبداً ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنه قال قصيدة أخرى تناسدها أهلُ مَكَّة وسارت حتى بلغتني وأوجعتني وحملتني على ما أشرتُ به فيه . قال : وما هي ؟ قال قال³ :

أَلَا لَا تَقُلْ مَهْلًا فَقَدْ ذَهَبَ الْمَهْلُ
لقد كان في حولين حالا ولم أزرُ
حمى الملكُ الجبار عني لقاءها
فلا خيرَ في حبٍّ يُخاف وباله
فواكِدي إنِّي شُهِرتُ بحبِّها
ويا عجباً إنِّي أكاثم حبِّها
وما كلٌّ من يلحى محباً له عقلُ
هواي وإن خُوفتُ عن حبِّها شغلُ
فمن دونها تُخشى المتالفُ والقتلُ
ولا في حبيبٍ لا يكون له وصلُ
ولم يك فيما بيننا ساعةً بذلُ
وقد شاع حتى قُطعت دونها السُّبُلُ

1 ترقى : تجف .

2 ل : لبين .

3 ديوان أبي دهل : 99-100 .

قال : فقال معاوية : قد والله رَفَهْتَ عَنِّي ، فما كنتُ آمَنُ أنه قد وصل إليها ؛ فأما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بذلٌ فالخطبُ فيه يسير ، قُمْ عَنِّي ؛ فقام يزيد فانصرف . وحجَّ معاويةُ في تلك السنة ؛ فلما انقضت أيام الحج كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم أبي دهل ، ثم دعا بهم ففرَّق في جميعهم صِلَاتٍ سنِيَّةً وأجازهم جوائز كثيرة . فلما قبض أبو دهل جائزته وقام لينصرف دعا به معاوية فرجع إليه ؛ فقال له : يا أبا دهل ، مالي رأيتُ أبا خالد يزيد ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قوارص تأتيه عنك وشعر لا تزال قد نطقت به وأنفذته إلى خصمائنا وموالينا ، لا تعرِّض لأبي خالد . فجعل يعتذر إليه ويحلف له أنه مكذوبٌ عليه . فقال له معاوية : لا بأس عليك ، وما يضرُّك ذلك عندنا ؛ هل تأهلت ؟ قال : لا . قال : فأبي بنات عمك أحبُّ إليك ؟ قال : فلانة ؛ قال : قد زوجتكها وأصدقته ألفي دينار وأمرتُ لك بألف دينار . فلما قبضها قال : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو لي عما مضى ؛ فإن نطقتُ ببيت في معنى ما سبق مني فقد أبحتُ به دمي وفلانة التي زوجتنيها طالقُ البتَّة . فسُرَّ بذلك معاوية وضمن له رضا يزيد عنه ووعدته بإذرار ما وصله به في كل سنة ؛ وانصرف إلى دمشق . ولم يحجَّ معاوية في تلك السنة إلا من أجل أبي دهل .

[قصته مع شامية تزوجها وشعره فيها]

أخبرني الحرَّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال حدثني إبراهيم بن عبد الله قال : خرج أبو دهل يريد الغزو ، وكان رجلاً صالحاً وكان جميلاً . فلما كان بجيرون جاءته امرأة فأعطته كتاباً فقالت : اقرأ لي هذا الكتاب فقرأه لها ، ثم ذهبتُ فدخلت قصرأ ثم خرجتُ إليه فقالت : لو بلغت القصر فقرأت الكتاب على امرأة كان لك فيه أجرٌ إن شاء الله ، فإنه من غائب لها يعينها أمره ؛ فبلغ معها القصر ؛ فلما دخلا إذا فيه جوارٍ كثيرة ، فأغلقت القصرَ عليه ، وإذا فيه امرأة وضيفة ، فدعته إلى نفسها فأبى ، فأمرت به فحبس في بيت في القصر وأطعم وسقي قليلاً حتى ضَعُف وكاد يموت ، ثم دَعَتْهُ إلى نفسها فقال : لا يكون ذلك أبداً ، ولكني أتزوجك ؛ قالت : نعم ، فتزوجها ؛ فأمرت به فأحسن إليه حتى رجعتُ إليه نفسه ، فأقام معها زماناً طويلاً لا تدعُه يخرج ، حتى يئس منه أهله وولده ، وتزوج بنوه وبناته واقتسموا ماله ، وأقامت زوجته تبكي عليه حتى عَمِشت ولم تقاسمهم ماله . ثم إنه قال لامرأته : إنك قد أئمتِ في وفي ولدي وأهلي ؛ فأذني لي أطلعهم وأعود إليك ؛ فأخذت عليه أيماناً ألا يقيم إلا سنةً حتى يعودَ إليها . فخرج من عندها يجرّ الدنيا حتى قَدِمَ على أهله ،

فَرَأَى حَالَ زَوْجَتِهِ وَمَا صَارَ إِلَيْهِ وَلَدُهُ . وَجَاءَ إِلَيْهِ وَلَدُهُ ؛ فَقَالَ لَهُمْ : لَا وَاللَّهِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ عَمَلٌ ،
أَنْتُمْ قَدْ وَرِثْتُمُونِي وَأَنَا حَيٌّ فَهُوَ حَظُّكُمْ ؛ وَاللَّهِ لَا يَشْرِكُ زَوْجَتِي فِيمَا قَدِمْتُ بِهِ أَحَدٌ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهَا :
شَأْنُكَ بِهِ فَهُوَ لَكَ كُلَّهُ . وَقَالَ فِي الشَّامِيَّةِ :

صَاحَ حَيًّا إِلَالَهُ حَيًّا وَدُورًا	عِنْدَ أَصْلِ الْقَنَاةِ مِنْ جَبْرُونَ
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا	بَ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِي
فَبِذَاكَ اغْتَرَبْتُ فِي الشَّامِ حَتَّى	ظَنَّ أَهْلِي مُرْجَمَاتِ الظُّنُونِ
وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لَوْلُؤَةِ الْغَدِ	وَأَصْ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكُونِ
وَإِذَا مَا نَسَبَهَا لَمْ تَجِدْهَا	فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونَ
تَجْعَلُ الْمَسْكَ وَالْيَلَنَجُوجَ وَاللَّ	دَّ صِلَاءَ لَهَا عَلَى الْكَانُونِ ¹
ثُمَّ مَاشَيْتُهَا إِلَى الْقَبَةِ الْخَضِ	رَاءَ تَمْشِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونِ
وَقَبَابٍ قَدْ أُسْرِجَتْ وَبُيُوتِ	نُظِّمَتْ بِالرَّيْحَانِ وَالزَّرْجُونِ
قَبَةِ مِنْ مَرَاجِلِ ضَرْبِهَا	عِنْدَ حَدِّ الشَّتَاءِ فِي قَيْطُونِ
ثُمَّ فَارَقْتُهَا عَلَى خَيْرٍ مَا كَا	نَ قَرِينٍ مُفَارِقٍ لِقَرِينِ
فَبَكَتْ خَشْيَةَ التَّفَرُّقِ لِلْبَيْدِ	مِنْ بَكَاءِ الْحَزِينِ إِثْرَ الْحَزِينِ
وَاسْأَلِي عَنْ تَذَكَّرِي وَاطْمَئِنِّي	لَأُنَاسِي إِذَا هُمْ عَذَلُونِي

فَلَمَّا حَلَّ الْأَجَلَ أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَيْهَا ، فَجَاءَهُ مَوْتُهَا فَأَقَامَ .

[وفوده على ابن الأزرق]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبُ
قَالَ : وَفَدَ أَبُو دَهْبِلِ الْجُمَحِيُّ عَلَى ابْنِ الْأَزْرَقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ
شَمْسِ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْأَزْرَقِ وَالْمُهْرِزِيُّ ،
وَكَانَ عَامِلًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى الْيَمَنِ ؛ فَأَنْكَرَهُ وَرَأَى مِنْهُ جَفْوَةً ، فَمَضَى إِلَى عِمَارَةَ بْنِ
عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ ، وَهُوَ عَامِلٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى حَضْرَمَوْتٍ ، فَقَالَ يَمْدَحُهُ وَيَعْرِضُ بَابِنِ
الْأَزْرَقِ² :

يَا رَبِّ حَيٌّ بِخَيْرٍ مَا حَيَّيْتَ إِنْسَانًا عِمَارَةَ

1 اليلنجوج : عود البخور .

2 ديوان أبي دهبل : 49-50 .

أعطى فأسنانا ولم يك من عطيته الصَّغَارَة
ومن العطية ما تُرى جَذْمَاء ليس لها نَزَارَة¹
حجرًا ثقل به وهل تُعطي على المدح الحجارَة
كالبغل يُحمد قائمًا وتَدُم مِشِيته المِصَارَة

ثم رجع من عند عمارة بن عمرو بن حزم فقدم ؛ فقال له حُثَيْن مولى ابن الأزرق في السرّ : أرى أنك عَجِلْتَ على ابن عمك وهو أجود الناس وأكرمهم ، فعُدْ إليه فإنه غير تاركك ، واعلم أننا نخاف أن يكون قد عُزل فلازمه ولا يفقدك ؛ فإني أخاف أن ينسلك ؛ ففعل وأعطاه وأرضاه . فقال في ذلك² :

يا حُنَّ إِنِّي لِمَا حَدَّثْتَنِي أَصْلًا مُرَنِّحٌ مِنْ صَمِيمِ الْوَجْدِ مَعْمُودُ
نخاف عُزْلَ امرئ كُنَّا نعيش به معروفاً إن طلبنا الجودَ موجودُ
اعلمْ بَأَنِّي لَمَنْ عَادَيْتَ مُضْطَظِّنٌ ضَبًّا وَأَنْتَ عَلَيكَ الْيَوْمَ مُحْسُودُ³
وَأَنْ شَكَرَكَ عِنْدِي لَا انْقِضَاءَ لَهُ مَا بِالْهَضْبِ مِنْ لُبْنَانٍ جُلْمُودُ
أَنْتَ الْمَدْحُ وَالْمُعْلَى بِهِ ثَمْنًا إِذْ لَا تُمَدِّحُ صُمُّ الْجَنْدَلِ السُّودُ
إِنْ تَعُدُّ مِنْ مَنَقَلِي نَجْرَانٌ مُرْتَحِلًا يَرْحَلُ مِنَ الْيَمَنِ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ⁴
ما زِلْتَ فِي دَفْعَاتِ الْخَيْرِ تَفْعَلُهَا لَمَّا اعْتَرَى النَّاسَ لَأَوَاءٌ وَمَجْهُودُ
حتى الذي بين عُسْفَانٍ إِلَى عَدَنٍ لَحَبٌّ لَمَنْ يَطْلُبُ الْمَعْرُوفَ أَخْذُودُ⁵

قال : وأنشدنيها محمد بن الضحّاك بن عثمان قال سمعتها من أبي .

[نعمر نظم بيت]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال أخبرني الزُّبَيْرُ بن بَكَّار ، وحدثني حمزة بن عُتْبَة قال : قال أبو دهبيل الجُمَحَيّ : لما قلت أبياتي التي قلت فيها :

اعْلَمْ بَأَنِّي لَمَنْ عَادَيْتَ مُضْطَظِّنٌ ضَبًّا وَأَنْتَ عَلَيكَ الْيَوْمَ مُحْسُودُ
قلتُ فيها نصف بيت ، وَأَنْ شَكَرَكَ عِنْدِي لَا انْقِضَاءَ لَهُ ، ثم أُرْتَجَّ عَلَيَّ ، فَأَقَمْتُ حَوْلِينَ

1 الجذماء : المقطوعة . والنزارة : القلّة .

2 ديوان أبي دهبيل : 104 - 105 .

3 الضب : الحقد والغیظ .

4 المنقل : الطريق في الجبل .

5 اللحب : الواضح . والأخذود : الشق في الأرض .

لا أفعُ على تمامه ، حتى سمعتُ رجلاً من الحاجِّ في الموسم يذكر لبنان ، فقلت : ما لبنان ؟ فقال : جبل بالشام ؛ فأتملتُ نصف البيت :

[من البسيط]

ما دام بالهَضْب من لبنان جُلُودُ

[تفضيل شعره على شعر نصيب]

قال الزُّبَيْرُ وحَدَّثني مُحَمَّدُ بن حَبَشٍ المخزوميّ قال : دخل نُصَيْبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة فأنشده قصيدة مدحه فيها ؛ فقال إبراهيم بن هشام : ما هذا بشيء ، أين هذا من قول أبي دهل لصاحبنا ابن الأزرَق حيث قال :

[من البسيط]

إِنْ تَغْدُ مِنْ مَنَقَلِي نَجْرَانٌ مَرَحِلًا يَبِينُ مِنَ الْيَمَنِ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ

فغضب نُصَيْبٌ فحَمِي فَنَزَعَ عِمَامَتَهُ وَطَرَحَهَا وَبَرَكَ عَلَيْهَا ؛ ثُمَّ قَالَ : إِنْ تَأْتُونَا بِرِجَالٍ مِثْلِ ابْنِ الْأَزْرَقِ نَأْتِكُمْ بِمَدِيحِ أَجُودٍ مِنْ مَدِيحِ أَبِي دَهْلٍ .

قال الزُّبَيْرُ وحَدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزَّهْرِيُّ قال حَدَّثني إِسْمَاعِيلُ بن يعقوب بن مُجَمِّع التَّيْمِيُّ قال : كان إبراهيم بن هشام جَبَّاراً وَكَانَ يُقِيمُ بِلَا إِذْنٍ إِذْ كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ الْأَشْهُرَ . فَإِذَا أُذِنَ لِلنَّاسِ أُذِنَ مَعَهُمْ لَشَاعِرٍ ، فَيُنْشِدُ قَصِيدَةً مَدِيحَ لِهَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَصِيدَةً مَدِيحَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ هَشَامٍ . فَأُذِنَ لَهُمْ يَوْمًا ، وَكَانَ الشَّاعِرُ الَّذِي أُذِنَ لَهُ مَعَهُمْ نَصِيبًا وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ وَشِيْءٌ ؛ فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ فَأُذِنَ لَهُ ؛ فأنشده قصيدة لهشام بن عبد الملك ثم قطعها وأنشد قصيدة مدح إبراهيم بن هشام ، وقصيدة هشام أشعر ، فأراد الناسُ مِلاحةً نُصَيْبٌ فَقَالُوا : مَا أَحْسَنَ هَذَا يَا أَبَا مِحْجَنَ ! أَعِدْ هَذَا الْبَيْتَ . فَقَالَ : إِبْرَاهِيمُ : أَكْثَرْتُمْ ، إِنَّهُ لَشَاعِرٌ ، وَأَشْعَرُ مِنْهُ الَّذِي يَقُولُ فِي ابْنِ الْأَزْرَقِ :

[من البسيط]

إِنْ تُمَسِّ مِنْ مَنَقَلِي نَجْرَانٌ مَرَحِلًا يَبِينُ مِنَ الْيَمَنِ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ

مَا زِلْتُ فِي دَفْعَاتِ الْخَيْرِ تَفْعَلُهَا لَمَّا آعَتَرَى النَّاسَ لِأَوَائِهِ وَمَجْهُودُ

وَحَمِي نَصِيبٌ فَقَالَ : إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَصْنَعُ الْمَدِيحَ إِلَّا عَلَى قَدْرِ الرِّجَالِ ، كَمَا يَكُونُ الرَّجُلُ يُمدَحُ . فَعَمَّ النَّاسَ الضَّحِكُ وَحَلُمٌ عَنْهُ ، وَقَالَ الْحَاجِبُ : ارْتَفَعُوا ، فَلَمَّا صَارُوا فِي السَّقِيفَةِ ضَجَّكَوْا وَقَالُوا : أَرَأَيْتُمْ مِثْلَ شَجَاعَةِ هَذَا الْأَسُودِ عَلَى هَذَا الْجَبَّارِ ! وَحَلُمٌ مِنْ غَيْرِ حِلْمٍ .

[مدح ابن الأزرَق بعد عزله]

قال الزُّبَيْرُ وحَدَّثني عَمِّي مصعب قال : خرج أبو دهل يريد ابن الأزرَق فَلَقِيهِ مَعَزُولاً ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَاسْتَرْجَعَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْأَزْرَقِ : هُوَ عَلَىكَ ؛ لَمْ يَفْتَكْ شَيْءٌ ، فَأَعْطَاهُ مَائَتِي دِينَارٍ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو دَهْلٍ :

[من البسيط]

أَعْطَى أَمِيرًا وَمَنْزُوعًا وَمَا نَزَعَتْ عَنْهُ الْمَكَارِمُ تَغْشَاهُ وَمَا نَزَعَا

وحدثني محمد بن الضحَّاك مثلَ ذلك وأنشدني البيت .
وأخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال حدثني أَبُو تَوْبَةَ صالح بن مُحَمَّد بن دُرَّاج قال
حدثنا أَبُو عمرو الشَّيْبَانِي قال : وَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بن الزُّبَيْرِ ابناً لسعد بن أَبِي وقَّاص يقال له إبراهيم
مكانَ الثَّبْت بن عبد الرحمن بن الوليد الذي يقال له ابن الأزرق ، فخرج حتى نزل بَرْيَد ،
فقال لابن الأزرق : هَلُمَّ حسابك ؛ فقال : ما لك عندي حساب ولا بيني وبينك عملٌ ،
وخرج متوجَّهاً إلى مَكَّة . فاستأذنه أَبُو دَهْبِل في صحبة الوَقَّاصِي فَأَذِنَ له فرجع معه ، حتى
إذا دخلوا صنعاء لَقِيَهُمْ بِحَيْر بن رَيْسان في نفرٍ كثيرٍ من الفُرْس وغيرِهِم ، ومضى ابنُ الأزرق
ومعه ما احتمله من أموال اليمن ؛ فسار يوماً ثم نزل فضرب رِوَاقه ودعا الناسَ فَأَعْطاهم ذلك
المالَ حتى لم يَبْقَ منه درهم . فقال أَبُو دَهْبِل :

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نَزَعَتْ عنه المكارمُ تَعْشاه وما نَزَعَا
وأقام أَبُو دَهْبِل مع الوَقَّاصِي ، فلم يَصْنَع به خيراً . فقال أَبُو دَهْبِل ¹ :

ماذا رُزِّقنا غَدَاةَ الخَلِّ من رِمَعٍ عند التفرُّق من خِيَم ومن كَرَمٍ ²
ظلٌّ لنا واقفاً يُعْطِي فأكثر ما سَمَى وقال لنا في قوله نعم
نعم حرف موقوف فإذا حُرِّك أُجْرِيَتْ حركته إلى الخَفْضِ لَأَنَّهُ أَوَّلَى بالسَّاكن :

ثم انتحى غيرَ مذمومٍ وأعیننا لما تَوَلَّى بدمعٍ واكفٍ سَجِمٍ
تَحْمِلُهُ الناقَةُ الأَدْمَاءُ مُعْتَجِراً بالبُرد كالبدْر جَلَّى لَيْلَةَ الظُّلَمِ
وكيف أنساكَ لا أَيْدِيكَ واحدةٌ عندي ولا بالذي أوليتَ من قِدَمٍ
حتى لقينا بِحَيْراً عند مَقْدَمِنَا في موكب كضِياع الجِرْع مُرْتَكِمٍ
لما رأيتُ مُقامي عند بابِهِمْ وَدِدْتُ أَنِّي بذاك الباب لم أَقِمِ

[مدحه بحير بن ريسان]

وبحير بن ريسان الذي يقول فيه أَبُو دَهْبِل :

[من الطويل]

صوت

بحير بن ريسان الذي سكن الجَنْدُ يقول له الناسُ الجَوَادُ ومن وَلَدٌ ³

1 ديوان أبي دَهْبِل : 101-103 .

2 الخل ورمع : موضعان باليمن .

3 الجند : موضع باليمن .

له نفحاتٌ حين يُذكر فضله كسيل ربيع في ضَحَاضِحَةِ السَّنَدِ¹
في هذين البيتين هزج بالبنصر ذكر عمرو بن بانه أنه ليمان ، وذكر الهشامي أنه لابن
جامع .

[مدائحه في ابن الأزرق]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشيباني قال : كان ابن
الزُبَيْر بعث عبد الله بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن ، فمدَّ يده إلى أموالها وأعطى أعطيةً
سنيةً وبثَّ في قريش منها أشياء جزيلةً فَأَنْتَ عليه قريش ووفدوا إليه فأسنى لهم العطايا . وبلغ
ذلك عبد الله بن الزُبَيْر فحسده وعزله بإبراهيم بن سعد بن أبي وقاص . فلما قديم عليه أراد أن
يحاسبه ، فقال له : ما لك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل ، وقديم مكة ؟ فخافت قريش ابن
الزُبَيْر عليه أن يفتشه أو يكشفه فلبست السلاح وخرجت إليه لتمنعه ؛ فلما لقيهم نزلت إليه
قريش فسلمت عليه وبسطت له أَرْدِيَّتَهَا وتلقته إماؤهم وولائدُهم بمجامر الألوَّة² والعود
المندلي ييخرون بين يديه حتى انتهى إلى المسجد وطاف بالبيت ، ثم جاء إلى ابن الزُبَيْر فسلم
عليه وهم معه مُطْفِئُونَ به . فعلم ابن الزُبَيْر أنه لا سبيل له إليه فما عَرَضَ ولا صرَّح له بشيء .
ومضى إلى منزله . فقال أبو دهل³ :

فمن يك شان العزل أو هدَّ ركنه لأعدائه يوماً فما شانك العزل
وما أصبحت من نعمة مُستفادٍ ولا رَجِمَ إلا عليها لك الفضل
وقال أبو دهل أيضاً فيه ، أخبرني بذلك ابن المرزبان عن أبي توبة عن أبي عمرو
الشيباني ؛ وأخبرني به الحرَّمي عن الزُبَيْر عن عمه⁴ :

عَقَمَ النساءُ فلم يَلِدْنَ شبيهه إن النساء بمثلته عَقُمُ
متهلِّلٌ بنَعَمٍ بلا مُتَبَاعِدٍ سِيَانٍ منه الوفر والعُدْمُ
نَزَرُ الكلام من الحياء تخاله ضَمِنَا وليس بجسمه سُقْمُ⁵

[وفد على سليمان بن سليمان فلم يحسن وفادته]

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال : قال أبو دهل يمدح ابن

1 الضحضاح : الماء القليل . والسند : ما ارتفع عن سفح الجبل .

2 الألوَّة : العود يتبخَّر به .

3 ديوان أبي دهل : 75 .

4 ديوانه : 66-67 .

5 الضمن : المريض .

الأزرق¹ :

[من الكامل]

بأبي وأُمِّي غيرَ قولِ الباطلِ الكاملُ ابنُ الكاملِ ابنُ الكاملِ
والحازمُ الأمرُ الكريمُ برأيه والواصلُ الأرحامُ وابنُ الواصلِ
جمعُ الرياسةِ والسماحِ كليهما جَمَعَ الجَفِيرَ قَداحَ نبلِ النابلِ

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني محمد بن عمر قال حدثني سليمان بن عبد الله قال حدثني أبو جعفر الشَّوَيْفِي (رجل من أهل مكة) قال : قدِمَ سليمان بن عبد الملك مكةَ في حرٍّ شديدٍ ، فكان يُنْقَلُ سريره بفناء الكعبة وأعطى الناسَ العطاء . فلما بلغ بني جُمَحَ نُودي بأبي دهبل ؛ فقال سليمان : أين أبو دهبل الشاعر ؟ عليَّ به ؛ فأتني به ؛ فقال سليمان : أنت أبو دهبل الشاعر ؟ قال : نعم ؛ قال : فأنت القائل² :

فِتْنَةٌ يُشْعَلُهَا وَرَأْدُهَا حطَبَ النارَ فدعها تَشْتَعِلْ
فإذا ما كان أَمْنٌ فَأَتَهُمْ وإذا ما كان خوفٌ فاعتزلْ
قال : نعم . قال : وأنت القائل³ :

يدعون مروانَ كيما يَسْتَجِيبَ لهم وعند مروانَ خار القومُ أو رقدوا⁴
قد كان في قوم موسى قبلهم جَسَدٌ عجلٌ إذا خار فيهم خَوْرَةٌ سجدوا⁵

قال : نعم . قال : أنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا ، لا والله ولا كرامة ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قوماً فُتِنُوا فكافحواكم بأسياهم وأجلبوا عليكم بخيلهم ورجلهم ثم أدالكم الله منهم فغفوتهم عنهم ، وإنما فُتِنْتُ فقلت بلساني ، فلم لا يُعْفَى عني ! فقال سليمان : قد عفونا عنك وأقطعاه قطيعةً بحاذان باليمن . فليل لسليمان : كيف أقطعته هذه القطيعة ! قال : أردتُ أن أُمِيتَه وأميتَ ذكرَه بها .

[أبو دهبل وعمره]

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا المدائني عن جماعة من الرواة : أن أبا دهبل كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها عَمْرَة وكانت امرأةً جَزَلَةً يجتمع الرجالُ عندها

1 ديوانه : 106 .

2 ديوانه : 83 .

3 ديوانه : 80 .

4 خار في ل : خار .

5 الجسد : الذي لا يعقل . والبيت إشارة إلى الآية : ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٍ ﴾ .

لإنشاد الشعر والمحادثة ، وكان أبو دهل لا يُفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها ، وكانت هي أيضاً محبة له . وكان أبو دهل من أشراف بني جُمَح ، وكان يحمل الحمالة وكان مُسَوِّداً ؛ وزعمت بنو جُمَح أنه تزوجها بعد ، وزعم غيرهم من الرواة أنه لم يصل إليها ولم يجر بينهما حلال ولا حرام . قال : وكانت عمرة تتقدم إلى أبي دهل في حفظ ما بينهما وكنمائه ، فضمن ذلك لها . فجاء نسوة كنّ يتحدثن إليها فذكرن لها شيئاً من أبي دهل وقُلْنَ : قد علق امرأة ؛ قالت : وما ذاك ؟ قلن : ذكر أنه عاشق لك وأنت عاشقة له . فرفعت مجلسها ومُجالسة الرجال ظاهرة وضربت حجاباً بينهم وبينها ، وكتبت إلى أبي دهل تعذله وتخبره بما بلغها من سوء صنيعه . فعند ذلك يقول :

[من الطويل]

تطاوَل هذا الليلَ ما يتلَج	وأعيت غواشي عبّرتي ما تفرَّجُ
وبتُ كئيباً ما أنام كأنما	خلال ضلوعي جمرة تنوهجُ
فطوراً أمني النفس من عمرة المنى	وطوراً إذا ما لجّ بي الحزن أنشجُ
لقد قطع الواشون ما كان بيننا	ونحن إلى أن يُوصل الحبلُ أحوجُ
رأوا غيرةً فاستقبلوها بألبهم	فراحوا على ما لا نُحبّ وأذلجوا
وكانوا أناساً كنتُ آمنُ غيهم	فلم ينههم حلم ولم يتخرجوا
هم منعونا ما نحبّ وأوقدوا	علينا وشبوا نار صرم تأججُ
ولو تركونا لا هدى الله سعيهم	ولم يلجموا قولاً من الشرّ يُنسجُ
لأوشك صرفُ الدهر يفرق بيننا	وهل يستقيم الدهرُ والدهرُ أعوجُ
عسى كربةً أمسيت فيها مقيمةً	يكون لنا منها نجاة ومخرجُ
فيكبت أعداء ويَجْذَلُ ألفُ	له كبد من لوعة الحبّ تنضجُ
وقلت لعبادٍ وجاء كتابها	لهذا وربّي كانت العين تخلقُ
وخططت في ظهر الحَصيرِ كأنني	أسيرٌ يخاف القتلَ ولها نملُفجُ
فلما التقينا لجلجت في حديثها	ومن آية الصرم الحديث المُلججُ
وإنني لمحجوبٌ عشية زرتها	وكنتُ إذا ما جئتُها لا أعرجُ
وأعيا عليّ القول والقولُ واسعُ	وفي القول مُستنٌ كثيرٌ ومخرجُ

[جارية تغني أبا السائب وأبا جندب بشعره]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني خالد بن بكر الصوّاف قال : أتيتُ ابنَ أبي العرايق فسألته أن يُدخِلني على جارية مغنية لم يرَ أحدٌ مثلاًها

قطّ ؛ فقال لي : إنّ في البيت والله شيخين كريمين عليّ ، لا أدري ما يوافقهما من دخول أحد عليهما ، فلو أقمتَ حتى أُطْلِعَ رأيهما في ذلك ، فدخل ثم خرج إليّ فقال : ادخل فدخلتُ ، فإذا أبو السائب المخزومي وأبو جُنْدَب الهذليّ ؛ وخرجتُ علينا الجارية قاطبةً عابسةً ؛ فلمّا وُضع العودُ في حجرها اندفعتُ تغنيّ وتقول :

عسى كربةً أُمسيتَ فيها مقيمةً يكون لنا منها نَجاةً ومَخْرَجُ
وإنّي لمحجوبٌ غداةً أزورها وكنتُ إذا ما زرتها لا أُعْرَجُ
قال : ثم بكت ؛ فوثبا عليه جميعاً فقالا له : لعلك أُرثتها بشيء ، عليك وعلينا إن لم تقمُ إليها حتى تقبلَ رأسها وترضّاها ، ففعل .

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء

صوت

[من الطويل]

تطاوَل هذا الليلُ ما يتبلّج وأُعيتُ غواشي عَبرتي ما تَفَرَّجُ
أخطُط في ظهر الحَصرِ كأنني أسيرُ يخاف القتلَ ولَهانَ مُلَفَجُ
الغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن عمرو . وفيه لحن للمالك ذكره حمّاد عن أبيه في أخبار مالك ولم يُجنّسه . وحكي أنّ مالكا كان إذا سُئِلَ عنه يذكر أنّه أخذه من حائد بن جرّهد فقومه وأصلحه . وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حبّش والهشامي .

صوت

[من الطويل]

لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يُوصَلَ الحبلُ أحوَجُ
فطوراً أمني النفسَ من عَمرة المنى وطوراً إذا ما لَجَّ بي الهمّ أنشِجُ
الغناء للمالك ثقيل أول بالسبابة في معجى البنصر عن إسحاق . وذكر حبش أنّ فيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى .

[شعره في رثاء الحسين بن علي]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَار قال حدّثني عمّي مُصْعَب قال : قال أبو دهبيل في قتل الحسين بن عليّ صلوات الله عليه وزكواته¹ :

[من الطويل]

1 ل : ورضوانه . الأبيات في ديوان أبي دهبيل : 86-87 .

تَبَيْتُ سُكَارَى مِنْ أُمِّيَّةٍ نُومًا وبالطَّفِّ قَتَلِي مَا يَنَامُ حَمِيمُهَا
وما أَفْسَدَ الْإِسْلَامَ إِلَّا عَصَابَةٌ تَأْمُرُ نَوَكَاهَا وَدَامَ نَعِيمُهَا¹
فَصَارَتْ قَنَاءَ الدِّينِ فِي كَفٍّ ظَالِمٍ إِذَا اعْوَجَّ مِنْهَا جَانِبٌ لَا يُقِيمُهَا

[قصيدته الدالية]

قال الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مِقْدَادٍ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ يَعْقُوبَ الزَّمْعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي
مُوسَى بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ أَتَشَدُّنِي أَبُو دَهْلٍ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا² : [من الطويل]

سَقَى اللَّهُ جَازَانًا فَمَنْ حَلَّ وَلِيَّهِ فَكُلَّ فَسِيلٍ مِنْ سَهَامٍ وَسُرْدٍ³
وَمَحْصُولَهُ الدَّارَ الَّتِي خَيَّمَتْ بِهَا سَقَاهَا فَأَرَوَى كُلَّ رِبْعٍ وَقَذَفْدٍ⁴
فَأَنْتَ الَّتِي كَلَّفَتْنِي الْبِرْكَ شَاتِيًا وَأَوْرَدْتَنِيهِ فَاَنْظُرِي أَيَّ مَوْرِدٍ⁵

صوت

فَوَانَدَمَسِي أَنْ لَمْ أُعْجِ إِذْ تَقُولُ لِي تَقَدَّمْ فَشِيعْنَا إِلَى ضَحْوَةِ الْغَدِ
تَكُنْ سَكْنًا أَوْ تَقْدِرُ الْعَيْنُ أَنَّهَا سَتَبْكِي مَرَارًا فَاسْلُ مِنْ بَعْدِ وَاحْمَدِ
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَوَى ذِكْرِهَا كَالْقَابِضِ الْمَاءِ بِالْيَدِ
الْغَنَاءُ لَابْنِ سَرِيحٍ خَفِيفُ رَمْلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَفِيهِ لَبْدُلُ الْكَبِيرِ رَمْلٌ عَنْ
الْهَشَامِيِّ :

لَعَلَّكَ أَنْ تَلْقَى مُحِبًّا فَتَشْتَفِي بِرُؤْيَا رِيمٍ بَضَّةٍ الْمُتَجَرِّدِ
بِلَادِ الْعَدَا لَمْ تَأْتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا بِهَا هُمُ نَفْسِي مِنْ تَهَامٍ وَمُنْجِدِ
وَمَا جَعَلْتَ مَا بَيْنَ مَكَّةَ نَاقَتِي إِلَى الْبِرْكَ إِلَّا نَوْمَةَ الْمُتَهَجِّدِ
وَكُنْتُ قُبَيْلَ الصُّبْحِ تَنْبِذَ رَحْلَهَا بِدُومَةٍ مِنْ لَغُطِ الْقَطَا الْمُتَبَدِّدِ
قَالَ فَقُلْتُ : يَا عَمِّي فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَكْتَرِيَ دَابَّةً بِدَرْهَمَيْنِ فَتَشِيعُهَا وَتَصْبِحَ مَعَكَ ؟

1 وما أَفْسَدَ فِي الدِّيَوَانِ : وَمَا ضَيَّعَ .

2 دِيَوَانُهُ : 114 .

3 جَازَانُ : هِيَ الْيَوْمَ مَدِينَةُ فِي جَنُوبِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ . وَوَلِيَّهُ : قَرْبَهُ . وَسَهَامٌ : مَوْضِعٌ بِالْيَمَامَةِ .
وَسُرْدٌ : وَادٌ بِتَهَامَةِ الْيَمَنِ .

4 الْفَذَفْدُ : الْفَلَاةُ .

5 الْبِرْكَ : نَاحِيَةُ بِالْيَمَنِ .

فضحك وقال : نفع الله بك يا ابن أخي ، أما علمت أن الندم توبة ، وعمك كان أشغل مما تحسب .

[أنشد أبو السائب شعراً له فنهكهم به]

قال الزبير وحدثني عمي مصعب بن عبد الله قال : أنشد رجل أبا السائب المخزومي قصيدة أبي دهبل :

سقى الله جازاناً فمن حلّ وليه فكلّ فسيل من سهام وسرّدي
فلما بلغ قوله :

فواندمي أن لم أعجّ إذ تقول لي تقدّم فشيّعنا إلى ضحوة الغد
قال أبو السائب : ما صنع شيئاً ! ألا اكترى حماراً بدرهمين فشيّعهم ولم يقل «فواندمي»
أو اعتذر ! وإني أظن أنه قد كان له عذر . قال : وما هو ؟ قال : أظنه كان مثلي لا يجد شيئاً .
[قصيدته الميمية]

فقال الزبير وحدثني ابن مقّداد قال حدثني عمي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دهبل قوله¹ :

صوت

ألا غلق القلب المتيمّ كلثما لجاجاً ولم يلزم من الحبّ ملزماً
خرجت بها من بطن مكة بعدما أصات المنادي بالصلاة فأعتما
فما نام من راع ولا ارتدّ سامر من الحيّ حتى جاوزت بي يلملماً²
ومرت ببطن الليث تهوي كأنما تُبادر بالإدلاج نهباً مقسماً³

غنى في هذه الأبيات ابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي . قال : وفيه هزج يمان بالوسطى ، وذكر عمرو بن بانه أن خفيف الثقيل هو اليماني . وفيه لقيط مولى العبلات رمل صحيح عن حماد عن أبيه عن الهشامي . وقال الهشامي : فيه لحكم ثقيل أول . وذكر أبو أيوب المديني في أغاني ابن جاعم أن فيه لحناً ولم يجنسه :

1 ديوان أبي دهبل : 106-109 . وقد تقدّم هذا الخبر وشعر أبي دهبل وبشامة بن الغدير في ترجمة قيل مولى العبلات .

2 يلملم : موضع ميقات أهل اليمن .

3 الليث : موضع بالحجاز .

وجازَتْ على البزواء والليل كاسرٌ
فما ذرَّ قرنُ الشمس حتى تبيَّنتُ
ومرَّت على أشطانِ روثٍ بالضُّحى
وما شربتُ حتى ثنيتُ زمامها
فقلت لها قد بنتِ غيرَ ذميمةٍ
قال : فقلت له : ما كنتَ إلا على الرِّيح ؟ ؛ فقال : يا ابن أخي ، إنَّ عمَّك كان إذا همَّ فعلٌ ،
وهي الحاجة . أما سمعتَ قولَ أخي بني مُرَّة⁴ :

إذا أقبلتُ قلتَ مشحونةٌ
وإن أدبرتُ قلتَ مدعورةٌ
وإن أعرضتُ خال فيها البصير
يبدأ سُرْحٍ مائلٍ ضبُّعها
فمرَّت على خُشبٍ عُذوةٌ
تخبُّط بالليل حُرَّانَه
أطاعتَ لها الرِّيحُ قَلْعاً جَفولاً⁵
من الرُّيدِ تتبع هَيْقاً ذُمولاً⁶
ر ما لا تكلفه أن يَميلا
تسوم وتُقدِّم رجلاً زَحولاً⁷
ومرَّت فُوقَ أَرِيكِ أُصيلاً⁸
كخبُطِ القويِّ العزيزِ الذليلاً⁹

[استحسن ريان السواق شعره وقال ليس بعده شيء]

وأخبرني الحرَّمي قال حدثنا الزُّبَيْر قال حدَّثني جعفر بن الحسن اللّهي قال : أنشدت ريان
السواق قولَ أبي دهل :

أليس عجيباً أن نكون ببلدة
ولا تصرِّميني أن ترينني أحبكم
كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلَّم
أبوء بذنبي إنني أنا أظلم

1 البزواء : موضع في طريق مكة .

2 غليب : واد بتهامة . وفي الديوان : نخلاً مشرفاً ومخيماً . وفي ل : جاء هذا البيت ثالثاً .

3 خزرت عينا : ضيقتها .

4 هو بشامة بن الغدير .

5 أطاعت في ل : أقلت .

6 الريد : النعام فيه سواد وغيره . والهيق : ذكر النعام . والذمول : السريع .

7 وتقدم في ل : وتقمح .

8 ذو خشب : موضع قرب المدينة . وأريك : واد .

9 حران : ما غلظ من الأرض مع ارتفاع قليل .

فقال : أحسن ، أحسن الله إليه ؛ ما بعد هذا شيء .

وفي هذه القصيدة يقول :

[من الطويل]

صوت

أَمَّا أَنَا أَنَا كُنْتُ قَدْ تَأَمَّنْتَهُمْ فزادوا علينا في الحديث وَأَوْهَمُوا
وقالوا لنا ما لم يُقَلْ ثم كَثُرُوا علينا وباحوا بالذي كُنْتُ أَكْمُ
لقد كُجِلْتُ عيني القَذَى لفراقكم وعاودها تَهْتَانَهَا فهي تَسْجُمُ
وَأَنْكَرْتُ طِيبَ العِشِّ مِنِّي وَكُذِّرْتُ عليَّ حَيَاتِي وَالْهَوَى مُتَقَسِّمُ

الغناء لابن سريج رملٌ بالسَّيَّابَةِ في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن زُرْزُور
الطائفيّ خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى عن عمرو . وفيه خفيفاً رملٌ أحدهما بالوسطى لمتيمٌ والآخر
بالبنصر لعريب .

[بين القاسم بن المعتمر وأبو السائب]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبَيْرُ قال حدّثني عَمِّي قال حدّثني القاسم بن
المعتمر الزُّهريّ قال : قلتُ لأبي السائب المخزوميّ : يا أبا السائب ، أَمَا أَحْسَنُ أَبُو دَهْلٍ
حيث يقول¹ :

[من الطويل]

صوت

أَتْرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ
هَبُونِي امْرَأً مِنْكُمْ أَضِلُّ بِعِيرِهِ لَهُ ذِمَّةٌ إِنْ الذَّمَامُ كَبِيرُ
وَلِلصَّاحِبِ الْمَتْرُوكِ أَفْضَلُ ذِمَّةً عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بِعِيرُ

قال : فقال لي : وبأيّ أنت ! كنتُ والله لَا أَحْبَبُكَ وَتَثْقُلُ عَلَيَّ ، فَأَنَا الْآنَ أَحْبَبُكَ وَتَخِفُ
عليّ .

وفي هذه الأبيات غناء لابن سريج خفيفٌ رملٌ بالوسطى عن عمرو . وفيه لعلّويه رملٌ
بالوسطى من جامع أغانيه . وفيه للمازنيّ خفيفٌ ثقيلٌ آخر من رواية الهشاميّ وذُكَّاء وغيرهما .
وأوّلُ هذا الصوت بيت لم يُذكر في الخبر ، وهو :

[من الطويل]

عفا الله عن لَيْلَى الْعَدَاةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَلَّيْتُ حُكْمًا عَلَيَّ تَجَوَّرُ

1 ديوان أبي دهل : 77-78 . وقد تقدّمت هذه الأبيات في ترجمة مجنون بني عامر منسوبة إليه 2 : 49 .

[ردّه على توعّد عبد الله بن صفوان لعمّه]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثني الزُّبَيْرُ قال حدّثني عمّي مصعب ومحمّد بن الضحّاك عن أبيه : أنَّ أبا رِيحانة عمّ أبي دهب كان شديد الخلاف على عبد الله بن الزُّبَيْر ، فتوعّده عبد الله بن صفوان ، فلحقّ بعبد الملك بن مروان ، فاستمده الحجاجُ فأمدّه عبد الملك بطارق مولى عثمان في أربعة آلاف ؛ فأشرف أبو رِيحانة على أبي قُبَيْسٍ فصاح أبو رِيحانة : أليس قد أخزأكم الله يا أهل مَكّة ! فقال له ابن أبي عتيق : بلى والله قد أخزأنا الله . فقال له ابن الزُّبَيْر : مهلاً يا ابن أخي ؛ فقال : قلنا لك ائذن لنا فيهم وهم قليل فأبيت حتى صاروا إلى ما ترى من الكثرة . قال : وقال أبو دهب في وعيد عبد الله بن صفوان عمّه أبا رِيحانة ، واسمه عليّ بن أسيد بن أُحَيْحَة¹ :

ولا تُوعِدْ لتقتله عليّاً	فإن وعيدَه كلاً وِيلُ
ونحن بيطن مَكّة إذ تداعى	لرهطك من بني عمرو رَعِيلُ
أولو الجمع المقدّم حين تابوا	إليك ومن يودّعهم قليلُ
فلما أن تفانينا وأودى	بثروتنا الترحّل والرحيلُ
جعلت لحومنا غرضاً كأننا	لتهلكنا عروبة أو سلُولُ

[رثى ابن الأزرق وأوصى أن يُدفن بجانبه]

أخبرني محمّد بن خلف قال حدّثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشَّيبانيّ قال : مات ابنُ الأزرق وأبو دهب حيّ فدُفِنَ بعُليّ ، فلما احتضر أبو دهب أيضاً أوصى أن يُدفن عنده . وفيه يقول أبو دهب يرثيه ، عن أبي عمرو الشَّيبانيّ² :

لقد غال هذا اللحد من بطن عُليّ	فتى كان من أهل الندى والتكرّم
فتى كان فيما ناب يوماً هو الفتى	ونعم الفتى للطارق المتيمّم
أَلْحَقْ أَنِّي لَا أزال على مِنى	إذا صدر الحجاج عن كلّ موسم ³
سقى الله أرضاً أنت ساكنُ قبرها	سِجَالُ الغواصي من سَحِيلٍ ومُبرّم ⁴

1 ديوان أبي دهب : 98 مع بعض اختلاف .

2 ديوانه : 65 .

3 أزال في ل : أراك .

4 السحيل : الخيط غير المقتول . والمبرم : الخيط المقتول . وهذا كناية عن التعميم ، أي مهما يكن السحاب المار بها .

[خرج إلى مصر لطلب ميراث]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني عمّي قال حدثني
إبراهيم بن أبي عبد الله قال : وقع لأبي دهب ميراث بمصر فخرج يُريده ؛ ثم رجع من
الطريق فقال¹ :

اسلمني أمّ دهب بعد هجرٍ وتقض من الزمان وعمرٍ
واذكرني كرى المطي إليكم بعد ما قد توجّهت نحو مصرٍ
لا تخالي أنّي نسيّتك لما حال بيّش ومن به خلف ظهري
إن تكوني أنت المقدّم قبلي وأطع يثو عند قبرك قبري
قال إبراهيم : فوقفت على قبره إلى جانب قبرها بعليب .

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

[من التقارب]

ألا أيّها الشادن الأكحل إلى كم تقول ولا تفعل
إلى كم تجود بما لا نريد د منك وتمنع ما نسأل
الشعر للحسين بن الضحّاك . والغناء لأبي زكّار الأعمى ، ولحنه المختار هزج بالنصر .

[106] - أخبار حسين بن الضحّاك ونسبه¹

[منشؤه وشعره]

الحسين بن الضحّاك باهليّ صليبيّة² ، فيما ذكر محمّد بن داود بن الجرّاح ، والصحيح أنّه مولى لباهلة . وهو بصريّ المولد والمنشأ ، من شعراء الدولة العباسيّة ، وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم . ويقال : أنّه أوّل من جالس منهم محمّد الأمين . شاعرٌ أدبٌ ظريف مطبوعٌ حسنُ التصرف في الشعر حلّو المذهب ، لشعره قبول ورونق صافي . وكان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر فيغيّر عليها . وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبّه الناس إلى أبي نواس . وله معاني في صفتها أبدع فيها وسبق إليها ، فاستعارها أبو نواس ، وأخبارهما في هذا المعنى وغيره تُذكر في أماكنها . وكان يلقّب الخليع والأشقر ، وهاجى مُسلم بن الوليد فانتصف منه . وله غزل كثير جيّد . وهو من المطبوعين الذين تخلّو أشعارهم ومذاهبهم جملةً من التكلف . وعُمّر عمراً طويلاً حتى قارب المائة السنة ، ومات في خلافة المستعين أو المنتصر .

وحدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجم قال : كان حسين بن الضحّاك بن ياسر مولى لباهلة ، وأصله من خراسان ؛ فكان ربّما اعترف بهذا الولاء وربّما جحدّه ، وكان يلقّب بالأشقر ، وهو ومحمّد بن حازم الباهليّ أبنا خالة .

وحدّثني الصّوليّ عن إبراهيم بن المعلّى الباهليّ : أنّه سأله عن نسب حسين بن الضحّاك فقال : هو حسين بن الضحّاك بن ياسر ، من موالى سليمان بن ربيعة الباهليّ . قال الصّوليّ : وسألت الطيّب بن محمّد الباهليّ عنه فقال لي : هو الحسين بن الضحّاك بن فلان بن فلان بن ياسر ، قديم الولاء ، وداره في بني مُجاشيع وفيها وُلد الحسين ، أرائيها صاحبنا سعيد بن مسلم .

[قصيدة له نسبت إلى أبي نواس]

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب ومحمّد بن يحيى الصّوليّ قالا : حدّثنا المغيرة بن محمّد المهلبيّ قال حدّثنا حسين بن الضحّاك قال : أنشدتُ أبا نواس لما حجّجتُ قصيدتي التي

1 ترجمة حسين بن الضحّاك في وفيات الأعيان 2 : 162-168 وتاريخ بغداد 8 : 54 وطبقات ابن المعتز : 268-271 ومعجم الأدباء (إحسان عباس) : 1063-1070 وتاريخ ابن عساكر 4 : 672 وتهذيب : 4 : 300 وشذرات الذهب : 2 : 123 والوافي 12 : 379 . وقد جمع ديوانه الأستاذ عبد الستار فراج (دار الثقافة - بيروت 1960) وإذا تعدّدت المصادر واختلفت الروايات فإنّه يعتمد رواية الأغاني .

2 صليبية : خالص النسب .

قَلْتُهَا فِي الْخَمْرِ وَهِيَ¹ : [من البسيط]

بُدِّلَتْ مِنْ نَفَحَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ وَمِنْ صُبُوحِكَ دَرَّ الْإِبِلُ وَالشَّاءُ²
فَلَمَّا انْتَهَيْتُ مِنْهَا إِلَى قَوْلِي :

حَتَّى إِذَا أُسْنِدْتُ فِي الْبَيْتِ وَاحْتَضِرْتُ عِنْدَ الصُّبُوحِ بِيَسَامِينَ أَكْفَاءِ
فُضِّتْ خَوَاتِمُهَا فِي نَعْتٍ وَاصْفَهَا عَنْ مِثْلِ رَقْرَاقَةٍ فِي جَفْنِ مَرْهَاءِ³

قال : فَصَعِقَ صَبْعَةً أَفْرَعَنِي ، وقال : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا أَشْقَرَ ؛ فَقُلْتُ : وَيْلَكَ يَا حَسَنَ ؛
إِنَّكَ أَفْرَعَنِي وَاللَّهِ فَقَالَ : بَلَى وَاللَّهِ أَفْرَعَنِي وَرُعَنِي ، هَذَا مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي كَانَ فِكْرِي لَا
بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهَا وَأَغْوَصَ عَلَيْهَا وَأَقُولُهَا فَسَبَقْتَنِي إِلَيْهِ وَاحْتَلَسَتْهُ مِنِّي ، وَاسْتَعْلَمَ لَمَنْ يُرَوِّى أَلِي
أَمْ لَكَ ؛ فَكَانَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ ، سَمِعْتُ مَنْ لَا يَعْلَمُ بِرَوِيهَا لَهُ .

أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَفَّافِ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ : سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ الضَّحَّاكِ يَقُولُ :
لَمَّا قُلْتُ قَصِيدَتِي :

بُدِّلَتْ مِنْ نَفَحَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ

أَنْشَدْتُهَا أَبَا نَوَاسٍ ؛ فَقَالَ : سَتَعْلَمُ لَمَنْ يَرَوِيهَا النَّاسُ أَلِي أَمْ لَكَ ؛ فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ ،
رَأَيْتُهَا فِي دِفَاتِرِ النَّاسِ فِي أَوَّلِ أَشْعَارِهِ .

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي طَاهِرٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ ،
فَذَكَرَ نَحْوَهُ مِنْهُ .

[حجبه المأمون لشعره في الأمين]

أَخْبَرَنِي الصَّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَارَسِيُّ عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ أَشْرَسَ ، قَالَ الصَّوَلِيُّ
وَحَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ الْمَأْمُونُ مِنْ
خُرَّاسَانَ وَصَارَ إِلَى بَغْدَادَ ، أَمَرَ بِأَنْ يُسَمَّى لَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ لِيَجَالِسُوهُ وَيَسَامِرُوهُ ، فَذَكَرَ
لَهُ جَمَاعَةٌ فِيهِمُ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، وَكَانَ مِنْ جُلَسَاءِ مُحَمَّدٍ الْمَخْلُوعِ ؛ فَقَرَأَ أَسْمَاءَهُمْ حَتَّى
بَلَغَ إِلَى اسْمِ حُسَيْنَ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ⁴ :

[من الكامل]

1 انظر أشعار الخليلع : 19-21 .

2 الآء : الدفلى .

3 الرقراقة : الدمعة التي تترقق في العين دون أن تسيل . والمرهاء : التي لم تكنحل .

4 انظر أشعار الخليلع : 79 ورواية البيت الثاني فيها :

قد كان فيك لمن مضى خلف ولسوف يعوزك الخلف

هَلَّا بَقِيتَ لَسَدًا فَاقْتِنَا أَبَدًا وَكَانَ لَغِيرِكَ التَّلَفُ
فَلَقَدْ خَلَفْتَ خَلَاتِفًا سَلَفُوا وَلَسَوْفَ يُعَوِّزُ بَعْدَكَ الْخَلَفُ

لا حاجة لي فيه ، والله لا يراني أبداً إلا في الطريق . ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به . قال : وانحدر حسينٌ إلى البصرة فأقام بها طولَ أيامِ المأمون .

أخبرني عمِّي والكوكبيُّ بهذا قالاً حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثَنَا عبد الله بن الحارث المَرْوَزِيُّ عن إبراهيم بن عبد الله ابن أخي السُّنْدِيِّ بن شاهك ، فذكر مثله سواء .

قال ابن أبي طاهر فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بن عبد الله صاحب المراكب قال أَخْبَرَنِي أَبِي عن صالح بن الرشيد قال : دخلتُ يوماً على المأمون ومعي بيتان للحسين بن الضحّاك ، فقلتُ يا أمير المؤمنين ، أَحَبُّ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي بَيْتَيْنِ ؛ فَقَالَ : أَنْشِدْهُمَا فَأَنْشَدْتُهُ¹ :

حَمِدْنَا اللَّهَ شُكْرًا إِذْ حَبَانَا بَنَصْرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فَأَنْتَ خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ حَقًّا جَمَعْتَ سَمَاحَةً وَجَمَعْتَ دِينَا

فَقَالَ : لَمَنْ هَذَانِ الْبَيْتَانِ يَا صَالِحُ ؟ فَقُلْتُ : لِعَبْدِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُسَيْنَ بن الضحّاك ؛ قَالَ : قَدْ أَحْسَنَ . فَقُلْتُ : وَلَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَجُودُ مِنْ هَذَا ؛ فَقَالَ : وَمَا هُوَ ؟ فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلَهُ² :

أَيَّخَلَّ فَرْدُ الْحَسَنِ فَرْدُ صِفَاتِهِ عَلَيَّ وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ بِهِوًى فَرْدٍ
رَأَى اللَّهَ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ فَمَلَّكَهَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ

قال : فَأُطْرُقُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : مَا تَطْيِبُ نَفْسِي لَهُ بِخَيْرٍ بَعْدَمَا قَالَ فِي أَخِي مُحَمَّدٍ وَقَالَ . قال أبو الفرج : وهذه الأبيات تُروى لابن البوّاب ، وستُذكر في أبوابه إن شاء الله تعالى ، وعلى أن الذي رواها غلط في روايته غلطاً بيّناً ، لأنها مشهورة من شعر حسين بن الضحّاك . وقد رُوي أيضاً في أخباره أنه دفعها إلى ابن البوّاب فأوصلها إلى ابن المأمون ، وكان له صديقاً . ولعلَّ الغلط وقع من هذه الجهة .

الغناء في الأبيات المذكورة المنسوبة إلى حسين بن الضحّاك وإلى ابن البوّاب الدّالّة لإبراهيم بن المهديّ خفيفٌ ثقيلٌ بالنصر . وفيها لعبيد الله بن موسى الطائفيّ رملٌ بالنصر .

1 أشعار الخليع : 119 .

2 أشعار الخليع : 46 .

[أمر المأمون عمرو بن بانة بالغناء في شعره في الأمين]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلب عن أبيه عن عمرو بن بانة أنهم كانوا عند صالح بن الرشيد ، فقال : لست تطرح على جوارري وغلماي ما أستجيده ! فقال له : ويلك ! ما أبغضك ابعث إلى منزلي فجيء بدفاتر واختر منها ما شئت حتى ألقه عليهم ؛ فبعث إلى منزلي فجيء إليه بدفاتر الغناء فأخذ منها دفترًا ليتخير مما فيه ، فمر به شعر الحسين بن الضحّاك يرثي الأمين ويهجو المأمون وهو¹ :

أطل حزنًا وأبك الإمام محمدًا بحزن وإن خفت الحسام المهندا
فلا تمت الأشياء بعد محمدٍ ولا زال شملُ الملك منها مبددا
ولا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريدا مشردا

فقال لي صالح : أنت تعلم أن المأمون يجيء إلي في كل ساعة ، فإذا قرأ هذا ما تراه يكون فاعلا ! ثم دعا بسكين فجعل يحكه ؛ وصعد المأمون من الدرجة ورمى صالح الدفتر . فقال المأمون : يا غلام الدفتر ، فأتي به ، فنظر فيه ووقف على الحك فقال : إن قلت لكم : ما كنتم فيه تصدقوني ؟ قلنا : نعم . قال : ينبغي أن يكون أخي قال لك : ابعث فجيء بدفاترك ليتخير ما تطرح ، فوقف على هذا الشعر فكره أن أراه فأمر بحكه ؛ قلنا كذا كان . فقال : غنه يا عمرو ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، الشعر لحسين بن الضحّاك والغناء لسعيد بن جابر ؛ فقال : وما يكون ! غنه فغنيته ؛ فقال : اردده فرددته ثلاث مرّات ؛ فأمر لي بثلاثين ألف درهم ، قال : حتى تعلم أنه لم يضررك عندي .

قال : وسعيد بن جابر الذي يقول فيه حسين بن الضحّاك ، وكان نديمه وصديقه :

يا سعيد وأين مني سعيد

[مراثيه في الأمين]

ولحسين بن الضحّاك في محمد الأمين مرّات كثيرة جياذ ، وكان كثير التحقّق² به والمؤالاة له لكثرة أفضاله عليه وميله إليه وتقديمه إياه . وبلغ من جزع عليه أنه خوط ؛ فكان ينكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول : إنه مستر وإنه قد وقف على تفرّق دُعائه في الأمصار يدعون إلى مراجعة أمره والوفاء ببيعتة ضنا به وشفقة عليه . ومن جيد مراثيه إياه قوله³ : [من الخفيف]

1 أشعار الخليج : 50 .

2 لعلها التعلّق .

3 أشعار الخليج : 150 .

صوت

سألونا أن كيف نحن فقلنا مَنْ هَوَىٰ نجمه فكيف يكون
نحن قومٌ أصابنا حَدَثُ الدهر سرّ فضلنا لرّيبه نستكين
نتمنّى من المؤمنين إياباً لهفَ نفسي وأين مني الأمين

في هذه الأبيات لسعيد بن جابر ثاني ثقليل بالوسطى . وفيها لعريب خفيف ثقليل .

ومن جيّد قوله في مرثيته إياه¹ :

أعزّي يا محمّد عنك نفسي معاذ الله والأيدي الجسام
فهلاًّ مات قوم لم يموتوا ودّفع عنك لي يوم الحمام
كأن الموت صادف منك غنماً أو استشفى بقربك من سقام

[إعجاب المأمون بشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا عليّ بن محمّد النّوفليّ قال قال لي محمد بن عبّاد : قال لي المأمون وقد قدّمت من البصرة : كيف ظريف شعرائكم وواحد مضركم ؟ قلتُ : ما أعرفه ؛ قال : ذاك الحسين بن الضّحّاك ، أشعر شعرائكم وأظرف ظرفائكم . أليس هو الذي يقول :

رأى الله عبد الله خير عباده فملكه والله أعلم بالعبد
قال : ثم قال لي المأمون : ما قال فيّ أحد من شعراء زماننا بيتاً أبْلَغَ من بيته هذا ؛ فاكذب إليه فاستقديمه ؛ وكان حسين عليلاً وكان يخاف بوادِر المأمون لما فرط منه ؛ فقلت للمأمون : إنّه عليل يا أمير المؤمنين ، علته تمنعه من الحركة والسفر . قال : فخذُ كتاباً إلى عامل خراجكم بالبصرة حتى يُعطيه ثلاثين ألف درهم ؛ فأخذتُ الكتاب بذلك وأنفذته إليه فقبض المال .

[أشعر المحدثين]

حدّثنا عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال سمعتُ أبا العباس محمّد بن يزيد الأزديّ يقول : حسين بن الضّحّاك أشعرُ المحدثين حيث يقول² :

أيّ ديباجةٍ حُسن هيّجتْ لوعةَ حزني

1 أشعار الخليلع : 103-104 .

2 أشعار الخليلع : 152 .

إذ رماني القمر الزا هر عن فترة جفن
بأبي شمسُ نهارٍ برزت في يوم دجن
قربتني بالمني حـ حتى إذا ما أخلفتني
تركني بين ميعا د وخلف وتجنّي
ما أراني لي من الصب سوة إلا حسن ظني
إنما دامت على الغد ر لِمَا تعرف مني
أستعيذ الله من إعـ راض من أعرض عني

[استقدمه المعتصم من البصرة]

أخبرني علي بن العباس قال حدثني سودة بن الفيض المخزومي قال حدثني أبو الفيض بن سودة عن جدي قال : لما ولي المعتصم الخلافة سألتني عن حسين بن الضحّاك ، فأخبرته بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه ؛ فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدم . فلما دخل وسلم استاذن في الإنشاد فأذن له ؛ فأنشده قوله ¹ :

هلاً سألت تلذذ المشتاق ومننت قبل فراقه بتلاق²
إنّ الرقيب ليستريب تنفساً صعداً إليك وظاهر الإقلاق
ولئن أرتب لقد نظرت بمقلة عبرى عليك سخينة الآماق
نفسي الفداء لخائف مترقب جعل الوداع إشارة بعناق
إذ لا جواب لمفحم متحير إلا الدموع تُصان بالإطراق

حتى انتهى إلى قوله :

خير الوفود مبشر بخلافة خصت بيهجتها أبا إسحاق
وافته في الشهر الحرام سليمة من كل مشكلة وكل شقاق
أعطته صفقتها الضمائر طاعة قبل الأكف بأوكد الميثاق
سكن الأنام إلى إمام سلامة عف الضمير مهذب الأخلاق
فحمى رعيته ودافع دونها وأجار مملقها من الإملاق

حتى أتمها . فقال له المعتصم : أذن مني فدنا منه ؛ فلما فمه جوهرأ من جوهر كان بين

1 أشعار الخليفة : 83-84 مع بعض اختلاف .

2 الشطر الأول في أشعار الخليفة : هلاً رحمت تلدد المشتاق . والتلدد : الحيرة والدعش .

يديه ، ثم أمره بأن يخرج من فيه فأخرجه ، وأمر بأن يُنظَمَ ويُدفعَ إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعله . فكان أحسن ما مُدح به يومئذٍ .
ومّا قدّمه أهلُ العلم على سائر ما قالته الشعراء قولُ حسين بن الضحّاك حيث قال :

قل للألى صرّفوا الوجوه عن الهدى	متعسّفين تعسّف المراق
إنّي أحذركم بوادٍ ضيّغَم	دربٍ بحطَم موائِل الأعناق
متأهب لا يستفزّ جنائنه	زجلُ الرُّعود ولامعُ الإبراق
لم يبقَ من متعرّمين توثّبوا	بالشام غيرَ جماجمٍ أفلاق ¹
من بين مُتجدِل تمجّع عروقه	علّق الأُخادع أو أسير وثاق ²
وثنى الخيول إلى معاقل قيصر	تختال بين أحزّة وراق
يحملن كلّ مُشمر مُتغشّم	ليثٍ هزبرٍ أهرت الأشداق
حتى إذا أمّ الحصون مُنازلاً	والموتُ بين ترائبٍ وتراق
هرّت بطارقها هريّر قساوير	بدهت بأكره منظرٍ ومذاق
ثم استكانت للحصار ملوكها	ذلاً وناط حلوقها بخناق
هربت وأسلمت الصليب عشية	لم يبقَ غيرُ حُشاشة الأرماق

قال : فأمر له المعتصم لكلّ بيت ألف درهم ، وقال له : أنت تعلم يا حسين أنّ هذا أكثر ما مدحني به مادحٌ في دولتنا . فقبّل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه .
[أعجب الرياشي لبيتين له في الخمر]

حدّثني عليّ قال حدّثني عثمان بن عمر الآجُرّي قال : سمعت الرياشي ينشد هذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جدّاً وهما³ :

إذا ما الماء أمكنني	وصفو سُلالة العنبر
صببتُ الفضة البيضاء	ء فوق قُرّاضة الذهب

فقلت له : من يقولهما يا أبا الفضل ؟ قال : أرقُ الناس طبعاً وأكثرهم ملحاً وأكملهم ظرفاً حسين بن الضحّاك .

1 المتعرّم : ذو العرامة وهي الشراسة والحلّة في الخلق .

2 العلق : الدم . والأخادع : عروق في العنق .

3 أشعار الخليلع : 30 .

[أخذ أبو نواس معنى له في الخمر]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدثني أبي عن حسين بن الضحّاك قال : أنشدتُ أبا نواس قصيدتي¹ :

وشاطريّ اللسان مختلق التّك
حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِي :

كَأَنَّمَا نُصَبَّ كَأْسُهُ قَمَرٌ
يَكْرَعُ فِي بَعْضِ أَنْجُمِ الْفَلَكَ³
قال : فَأَنشَدَنِي أَبُو نَوَاسَ بَعْدَ أَيَّامٍ لِنَفْسِهِ :

إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خِلَتَهُ
يُقَبِّلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبَا
قال : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا عَلِيٍّ هَذِهِ مُصَالَتُهُ⁴ . فَقَالَ لِي : أَتَظُنُّ أَنَّهُ يُرَوِّى لَكَ فِي الْخَمْرِ مَعْنَى جَيِّدٌ وَأَنَا حَيٌّ ! . أَخْبَرَنِي بِهِ جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ نَصْرٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدُونَ عَنْ حُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال : أنشدتُ إبراهيم بن المدبّر قولَ حسين بن الضحّاك :

كَأَنَّمَا نُصَبَّ كَأْسُهُ قَمَرٌ
حَاسِدُهُ بَعْضُ أَنْجُمِ الْفَلَكَ
حَتَّى إِذَا رَنَحَتْهُ سَوْرَتُهَا
وَأَبْدَلَتْهُ السَّكُونُ بِالْحَرَكِ
كَشَفْتُ عَنْ وَرَّةٍ مَسْنَمَةٍ
فِي لَيْنٍ صَيْنِيَّةٍ مِنَ الْفَلَكَ⁵

فَقَالَ لِي إِبرَاهِيمُ بْنُ الْمَدْبَرِ : إِنَّ الْحُسَيْنَ كَانَ يَزْعَمُ أَنَّ أَبَا نَوَاسَ سَرَقَ مِنْهُ هَذَا الْمَعْنَى حِينَ يَقُولُ : يَقَبِّلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبَا . فَإِنْ كَانَ سَرَقَهُ مِنْهُ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ لِأَنَّهُ قَدْ بَرَزَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ حُسَيْنٌ سَرَقَهُ مِنْهُ فَقَدْ قَصَرَ عَنْهُ .

[مدح الواثق حين ولي الخلافة]

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُرَّاسَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُخَارِقٍ قَالَ : لَمَّا بُويعَ الْوَاثِقُ

1 أشعار الخليلع : 87-88 .

2 الشاطري : نسبة إلى الشاطر وهو الذي أعيا أهله ومؤدبه خبثاً . وكان هذا الاسم يُطلق في الدولة العبّاسية على أهل البطالة والفساد .

3 كأنما قمر في ل : تخالفا كاسها قمرأ .

4 المصالاة : أخذ البيت لفظاً ومعنى . والصلت : اللص .

5 الفلك : التلّ من الرمل .

بالخلافة دخل عليه الحسين بن الضحّاك فأنشده قصيدته التي أولها¹ : [من الطويل]

صوت

أَلَمْ يَرُوعِ الْإِسْلَامَ مَوْتُ نَصِيرِهِ بَلَى حَقٌّ أَنْ يَرْتَاعَ مَنْ مَاتَ نَاصِرُهُ
سَيْسُلِيكَ عَمَّا فَاتَ دَوْلَةُ مُفْضِلٍ أَوَائِلُهُ مَحْمُودَةٌ وَأَوَاخِرُهُ
ثَنَى اللَّهِ عِطْفِيَّهَ وَأَلَّفَ شَخْصَهَ عَلَى الْبِرِّ مُذْ شُدَّتْ عَلَيْهِ مَازِرُهُ
يَصْبُ بِبَذْلِ الْمَالِ حَتَّى كَانَتْمَا يَرَى بِذَلِكَ لِلْمَالِ نَهْبًا يُيَادِرُهُ²
وَمَا قَدَّمَ الرَّحْمَنُ إِلَّا مَقْدَمًا مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهُ

فقال الواثق : إن كان الحسين لينطبق عن حسن طوية ويمدح بخلوص نية . ثم أمر بأن يعطى لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألف درهم . فأعجبته الأبيات ، حتى أمر فصنعت فيها عدة ألحان ، منها لعريب في طريقة الثقيل الأول .

[سرق من شعر أبي العتاهية في الرشيد]

وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد قال حدثني محمد بن عمرو الرُّومي قال : لما ولي الواثق الخلافة أنشده حسين بن الضحّاك قصيدة منها : [من الطويل]

سَيْسُلِيكَ عَمَّا فَاتَ دَوْلَةُ مُفْضِلٍ أَوَائِلُهُ مَحْمُودَةٌ وَأَوَاخِرُهُ
وَمَا قَدَّمَ الرَّحْمَنُ إِلَّا مَقْدَمًا مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهُ

قال : فأنشدت إسحاق الموصلي هذا الشعر ؛ فقال لي : نقل حسين كلام أبي العتاهية في الرشيد حتى جاء بالفاظه بعينها حيث يقول³ : [من الطويل]

جَرَى لَكَ مِنْ هَارُونَ بِالسَّعْدِ طَائِرُهُ إِمَامُ اعْتِرَافٍ لَا تُخَافُ بَوَادِرُهُ
إِمَامٌ لَهُ رَأْيٌ حَمِيدٌ وَرَحْمَةٌ مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهُ

قال : فعجبت من رواية إسحاق شعر المحدثين ، وإنما كان يروي للأوائل ويتعصب على المحدثين وعلى أبي العتاهية خاصة .

في هذين الشعرين أغاني نسبتها :

1 أشعار الخليل : 58 .

2 صبّ بالشيء : كلف به وولع .

3 ديوان أبي العتاهية : 540 .

صوت

[من الطويل]

جرى لك من هارون بالسعد طائرُهُ
إمامٌ له رأيٌ حميدٌ ورحمةٌ
مواردُهُ محمودةٌ ومصادرُهُ
هو الملكُ المجبولُ نفساً على التقيِّ
مُسَلِّمةٌ من كلِّ سوءٍ عساكرُهُ
ولِيَّ أميرُ المؤمنين وناصرُهُ
لِتُغْمَدَ سيوفُ الحربِ فاللهُ وحده

الشعر لأبي العتاهية ، على ما ذكره الصُّوليُّ . وقد وجدتُ هذه القصيدة بعينها في بعض النسخ لسلم الخاسر . والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان خفيفٌ ثقيلٌ بالبنصر عن عمرو وثاني ثقيلٌ بالبنصر عن الهشاميِّ .

صوت

[من الطويل]

سَيْسَلِيكَ عَمَّا فَاتَ دَوْلَةُ مُفْضِلٍ
أَوَائِلُهُ مَحْمُودَةٌ وَأَوَاخِرُهُ
ثَنَى اللَّهُ عِطْفِيهِ وَأَلْفَ شَخْصِهِ
عَلَى الْبِرِّ مُذْ شُدَّتْ عَلَيْهِ مَآزِرُهُ

الشعر لحسين بن الضَّحَّاك . والغناء لعريبٍ ثقيلٌ أوَّلُ مطلق . وفيه لقلم الصالحية خفيفٌ رمل ، وهو أغرب اللحنين ولحن عريب المشهور .

[مدح الوائت وهو في الصيد فأجازه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني علي بن الصباح قال حدثني علي بن صالح كاتب الحسن بن رجاء قال حدثني إبراهيم بن الحسن بن سهل قال : كنا مع الواثق بالقاطول¹ وهو يتصيد ؛ فصاد صيداً حسناً وهو في الزَّو² من الإوز والدُّراج وطير الماء وغير ذلك ؛ ثم رجع فتغدى ، ودعا بالجلساء والمغنين وطرب ، وقال : من يُشدنا ؟ فقام الحسين بن الضَّحَّاك فأنشده³ :

سقى الله بالقاطول مسرَّحَ طرفكا
وخصَّ بسُفْيَاهِ مناكبَ قصرِكا

حتى انتهى إلى قوله :

[من الطويل]

تَحَيَّنَ لِلدُّرَّاجِ فِي جَنَابَتِهِ
وَلِلْغُرِّ آجَالُ قُدِرْنَ بِكَفْكَا

1 القاطول : نهر حفره الرشيد متفرعاً من دجلة وبني عليه قصرأ سماه أبا الجند .

2 الزَّو : نوع من السفن .

3 أشعار الخليل : 89 .

حُتُوفاً إِذَا وَجَّهْتَهُنَّ قَوَاضِيَا عَجَالاً إِذَا أَغْرَيْتَهُنَّ بَزْجِرَا
أَجَحْتَ حَمَاماً مُضْعِداً وَمُضَوِّباً وَمَا رَمَتْ فِي حَالِكَ مَجْلِسَ لَهْوَكَ¹
تَصَرَّفُ فِيهِ بَيْنَ نَائِيٍّ وَمُسْمِعٍ وَمَشْمُولَةٍ مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ لَسَقِيكَ²
قَضَيْتَ لُبَانَاتٍ وَأَنْتَ مَخِيْمٌ مُرِيحٌ وَإِنْ شَطَّتْ مَسَافَةُ عَزْمِكَ
وَمَا نَالَ طَيْبَ الْعَيْشِ إِلَّا مُودَعٌ³ وَمَا طَابَ عَيْشٌ نَالَ مَجْهُودَ كَدِّكَ⁴

فقال الواثق : ما يعدل الراحة ولذة الدعة شيء . فلما انتهى إلى قوله :

خُلِقْتَ أَمِينَ اللَّهِ لِلخَلْقِ عَصْمَةً وَأَمْنًا فَكُلُّ فِي ذَرَاكَ وَظِلُّكَ
وَتَقْتَ بَمَنْ سَمَّاكَ بِالْغَيْبِ وَاثِقًا وَثَبْتَ بِالتَّائِيْدِ أَرْكَانَ مُلْكِكَ
فَاعْطَاكَ مُعْطِيكَ الْخِلَافَةَ شُكْرَهَا وَأَسْعَدَ بِالتَّقْوَى سُرِيرَةَ قَلْبِكَ
وَزَادَكَ مِنْ أَعْمَارِنَا ، غَيْرَ مِنَّةٍ عَلَيْكَ بِهَا ، أَضْعَافَ أَضْعَافِ عَمْرِكَ
وَلَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ فِي كُلِّ حَالَةٍ عُدَّةً لِمَنْ عَادَاكَ سَلَامًا لِسَلْمِكَ
إِذَا كُنْتُ مِنْ جَدُّوَاكَ فِي كُلِّ نَعْمَةٍ فَلَا كُنْتُ إِنْ لَمْ أَفْرِ عَمْرِي بِشُكْرِكَ

فطرب الواثق فضرب الأرض بمخضرة كانت في يده ، وقال : لله درك يا حسين ! ما أقرب قلبك من لسانك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، جودك يُنطق المُفحِّمَ بالشعر والجاحد بالشكر . فقال له : لن تنصرف إلا مسروراً ؛ ثم أمر له بخمسين ألف درهم .
[الواثق يشرب في يوم غيم]

حدثنا علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثنا أبو العباس الرياشي قال حدثنا الحسين بن الضحّاك قال : دخلت على الواثق ذات يوم وفي السماء لَطُخٌ⁴ غيم ، فقال لي : ما الرأي عندك في هذا اليوم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما حَكَمَ به وأشار إليه قبلي أحمد بن يوسف ؛ فإنه أشار بصواب لا يردّ وجعله في شعرٍ لا يُعارض . فقال : وما قال ؟ فقلت قال : [من الوافر]

أَرَى غَيْمًا تَوَلَّفَهُ جَنُوبٌ وَأَحْسَبُهُ سَيَاتِينَا بِهِطَلٍ

فَعَيْنُ الرَّأْيِ أَنْ تَدْعُو بِرِطْلٍ فَتَشْرِبُهُ وَتَدْعُو لِي بِرِطْلٍ

فقال : أصبتما ؛ ودعا بالطعام وبالشراب والمغنين والجلساء واصطبحنا .

1 رام المكان : زال عنه وفارقه .

2 مشمولة : الخمر الباردة .

3 المودع : المرفه .

4 لطح غيم : قليل غيم .

[وصف ليلة للوائق]

أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن علوان قال حدثني العباس بن عبيد الله الكاتب قال : كان حسين بن الضحّاك ليلة عند الواثق وقد شربوا إلى أن مضى ثلث من الليل ، فأمر بأن يبيت مكانه . فلما أصبح خرج إلى الندماء وهم مقيمون ، فقال لحسين : هل وصفت ليلتنا الماضية وطيبها ؟ فقال : لم يمض شيء وأنا أقول الساعة ؛ وفكر هنيهة ثم قال¹ :

حَتَّ صَبُوحِي فَكَاهَةُ اللَّاهِي	وطاب يومي بقرب أشباهي
فَاسْتَبْرَّ اللَّهُوَ مِنْ مَكَامِنِهِ	من قبل يومٍ منغصٍ ناهي
بَابِنَةِ كَرَمٍ مِنْ كَفِّ مُنْطَلِقٍ	مَوْزَّرٍ بِالْمُجُونِ تَيَّاهٍ
يَسْقِيكَ مِنْ طَرَفِهِ وَمِنْ يَدِهِ	سَقِيَّ لَطِيفٍ مَجْرَبٍ دَاهِي
كَأَسًا فَكَأَسًا كَأَنَّ شَارِبَهَا	حَيْرَانُ بَيْنَ الذَّكُورِ وَالسَّاهِي

قال : فأمر الواثق بردّ مجلسه كهيبته ، واصطحب يومه ذلك معهم ؛ وقال : نحقق قولك يا حسين ونقضي لك كلَّ أرب وحاجة .

[غضبت جارية للوائق عليه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني محمد بن مغيرة المهلبّي قال حدثنا حسين بن الضحّاك قال : كانت لي نوبة في دار الواثق أحضرها جالس أو لم يجلس . فبينما أنا نائم ذات ليلة في حجرتي ، إذ جاء خادَم من خَدَم الحَرَم فقال : قُمْ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُوكَ . فقلت له : وما الخبر ؟ قال : كان نائماً وإلى جنبه حَظِيَّةٌ له فقام وهو يظنّها نائمةً ، فلمَّ بجارية له أخرى ولم تكن ليلة نوبتها وعاد إلى فراشه ؛ فغضبت حَظِيَّتَهُ وتركته حتى نام ، ثم قامت ودخلت حجرتها ؛ فانتبه وهو يرى أنّها عنده فلم يجدها ، فقال : اختلست عزيزتي ، ويحكم أين هي ! فأخبر أنّها قامت غَضْبَى ومضت إلى حجرتها ، فدعا بك . فقلت في طريقي² :

غَضِبْتَ أَنْ زُرْتُ أُخْرَى خِلْسَةً	فلها العُتْبَى لدينا والرُّضَا
يَا فَدَتَكَ النَّفْسُ كَانَتْ هَفْوَةً	فاغفريها واصفحي عما مضى
وَاتْرَكِي الْعَذْلَ عَلَى مَنْ قَالَهُ	وانسبي جَوْرِي إِلَى حَكَمِ الْقَضَا

1 أشعار الخليل : 122-123 .

2 أشعار الخليل : 70 .

فلقد نَبّهتني من رَقَدتي وعلى قلبي كئيران الغضا

قال : فلما جئته خبرني القصّة وقال لي : قُلْ في هذا شيئاً ؛ ففكرتُ هنيهةً كأنّي أقول شعراً ثم أنشدته الأبيات . فقال : أحسنتَ وحياتي ! أعدّها يا حسين ؛ فأعدتها عليه حتى حفظها ، وأمر لي بخمسمائة دينار ، وقام فمضى إلى الجارية وخرجتُ أنا إلى حجرتي .
[شعره في لقاء الواصل جاريته في النوم]

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طلحة قال حدّثني الغلابيّ قال حدّثني مهديّ بن سابق قال قال لي حسين بن الضحّاك : كان الواصل يتحطّى جاريةً له فماتت فجزع عليها وترك الشربَ أياماً ثم سلاها وعاد إلى حاله ؛ فدعاني ليلة فقال لي : يا حسين ، رأيتُ فلانة في النوم ؛ فليت نومي كان طال قليلاً لأتَمّع بِلِقائِها ؛ فقل في هذا شيئاً . فقلت¹ : [من الرمل]

ليتَ عينَ الدهرِ عنا غَفَلَتْ وريقَ الليلِ عنا رَقَدَا
وأقامَ النَّومُ في مدّته كالذي كان وكنا أبداً
بأبي زورٍ تَلَفَّتْ له فتَنَفَّستُ إليه الصُّعدا²
بينما أضحكُ مسروراً به إذ تَقَطَّعتُ عليه كَمداً

قال : فقال لي الواصل : أحسنتَ ، ولكنك وصفتَ رقيبَ الليل فشكوتَه ولا ذنبَ لليل وإنما رأيتُ الرؤيا نهاراً . ثم عاد إلى منامه فرقد .
[سرق منه أبو نواس معنى في الخمر]

أخبرني جَحْظَةُ قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني حسين بن الضحّاك ، وأخبرني به جعفر بن قدامة عن عليّ بن يحيى عن حسين بن الضحّاك قال : لقيني أبو نواس ذاتَ يوم عند باب أمّ جعفر من الجانب الغربي ، فأنشدته³ : [من الكامل]

أخويّ حيّ على الصُّبوح صباحا هُبّا ولا تَعِدا الصُّباحَ رَواحا
هذا الشَّمِيطُ كأنّه متحيّر في الأفقِ سُدَّ طريقه فالأحاح⁴
ما تأمرانِ بسكرة قروية قرنتَ إلى درك النجاج نجاحا
هكذا قال جَحْظَةُ . والذي أحفظه :

1 أشعار الخليل : 50 .

2 الزور : الخيال يرى في النوم .

3 أشعار الخليل : 38 وانظر قصيدة أبي نواس : 39 .

4 الشميط : الصبح .

ما تأمران بقهوة قَرَوِيَّة

قال : فلمّا كان بعد أَيّام لقيني في ذلك الموضع فأنشدني يقول : [من الكامل]

ذكر الصُّبُوحَ بِسُحرة فارتاحا وأملّه ديكُ الصُّبّاح صياحا

فقلت له : حسنٌ يا ابن الزانية ؛ أفعلتها ؟ فقال : دع هذا عنك ، فوالله لا قلت في الخمر شيئاً أبداً وأنا حيٌّ إلّا نُسِب لي .

[إبراهيم بن المهديّ يعرّب عليه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن سعيد قال حدّثني أبو أمانة الباهليّ عن الحسين بن الضّحّاك ، قال محمد بن يحيى وحدّثني المغيرة بن محمد المهلبيّ : أنّ الحسين بن الضّحّاك شرب يوماً عند إبراهيم بن المهديّ ، فجرت بينهما مُلاحاةٌ في أمر الدّين والمذهب ؛ فدعا له إبراهيم بنطع وسيف وقد أخذ منه الشّراب ؛ فانصرف وهو غضبان . فكتب إليه إبراهيم يعتذر إليه ويسأله أن يجيئه . فكتب إليه ¹ :

نديمي غيرُ منسوب إلى شيء من الحيف

سقاني مثلَ ما يشرب فعل الضّيف بالضيف

فلمّا دارت الكأسُ دعا بالنّطع والسيف

كذا من يشربُ الخمرَ مع التّنين في الصيف

قال : ولم يعد إلى منادمته مدّة . ثم إن إبراهيم تحمّل عليه ووصله فعاد إلى منادمته .

[نشأته واتّصاله بالأمين]

حدّثني عمّي قال حدّثني ميمون بن هارون قال حدّثني حسين بن الضّحّاك قال : كنت أنا وأبو نواس تربيّن ، نشأنا في مكان واحد وتادّبنا بالبصرة ، وكنا نحضّر مجالس الأدباء متصاحبين ، ثم خرج قبلي عن البصرة وأقام مدّة ، واتّصل بي ما آل إليه أمره ، وبلغني إيثارُ السلطان وخاصّيته له ؛ فخرجتُ عن البصرة إلى بغداد ولقيتُ الناسَ ومدحتهم وأخذتُ جوائزهم وعددتُ في الشعراء ، وهذا كلّهُ في أَيّام الرشيد ، إلّا أنّي لم أصِل إليه واتّصلتُ بابنه صالح فكنّ في خدمته . فغنّي يوماً بهذا الصوت :

[من الطويل]

إن زُم أجمالٌ وفارق جيرةٌ وصاح غرابُ الين أنت حزينُ

فقال لي صالح : قل أنت في هذا المعنى شيئاً ؛ فقلت ² :

[من الطويل]

1 أشعار الخليفة : 81 .

2 أشعار الخليفة : 26 .

إِنْ دَبَّ حُسَادٌ وَمَلَّ حَبِيبٌ وَأُورِقُ عَوْدُ الْهَجْرِ أَنْتَ حَبِيبُ¹
لِيُتْلَغَ بِنَا هَجْرُ الْحَبِيبِ مَرَامَهُ هَلِ الْحَبُّ إِلَّا عَبْرَةٌ وَنَحِيبُ
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِفَرْقَةِ الْفَقَةِ وَغَنِيَّةٍ وَصَلٍ لَا تَرَاهُ يَوْوَبُ
فَأَمْرٌ بَانَ يُغْنَى فِيهِ . وَاتَّصَلْتُ بِمُحَمَّدِ بْنِ زُبَيْدَةَ فِي أَيَّامِ أَبِيهِ وَخَدَمْتُهُ ، ثُمَّ اتَّصَلْتُ خِدْمَتِي
لَهُ فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ .

[ترضّى صالح بن الرشيد]

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْعَيْنَاءِ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا
عِنْدَ صَالِحِ بْنِ الرَّشِيدِ ، فَجَرَى بَيْنَنَا كَلَامٌ عَلَى النَّبِيذِ وَقَدْ أَخَذَ مِنِّي الشَّرَابُ مَأْخَذًا قَوِيًّا ،
فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ رَدًّا أَنْكَرَهُ وَتَأَوَّلَهُ عَلَى غَيْرِ مَا أَرَدْتُ ، فَهَاجَرَنِي ؛ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ² : [من الكامل]

صوت

يَا ابْنَ الْإِمَامِ تَرَكْتَنِي هَمَلًا أَبْكِي الْحَيَاةَ وَأَنْدُبُ الْأَمَلَا
مَا بِالْأَعْيُنِ حِينَ تَلَحَّظُنِي مَا إِنْ تُقِلُّ جُفُونَهَا ثِقَلَا
لَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ لُبَحْتُ بِهِ كَيْ لَا يَقَالَ هَجَرْتَنِي مَلَلَا
إِنْ كُنْتُ أَعْرِفُ زَلَّةً سَلَفَتْ فَرَأَيْتُ مَيِّتَةً وَاحِدِي عَجَلَا³

فِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ يُنْسَبُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَلَاءِ وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّبَّيعِيِّ . قَالَ :
فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ : قَدْ تَلَفَنِي لِسَانُكَ بِشَعْرِكَ ، مَا جَنَاهُ فِي وَقْتِ سَكْرِكَ . وَقَدْ رَضِيتُ عَنْكَ رِضًا
صَحِيحًا ؛ فَصِرْتُ إِلَيْهِ عَلَى أَتَمِّ نَشَاطُكِ ، وَأَكْمَلِ بَسَاطَتِكَ . فَعُدْتُ إِلَى خِدْمَتِهِ فَمَا سَكِرْتُ عِنْدَهُ
بَعْدَهَا . قَالَ : وَكَانَتْ فِي حُسَيْنٍ عَرَبِدَةٌ .

[أنشد ابن البوّاب شعره للمأمون]

وَأَخْبَرَنِي بَعْضُهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدِ بْنِ أَبِي الْأَزْهَرِ وَمُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانَ ، وَالْفَاضِلُ
تَزِيدٌ وَتَنْقِصٌ . وَأَخْبَرَنِي بَعْضُهُ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَعْبٌ عَنْ آخِرِهِ وَقِصَّةِ وَصُولِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ وَلَمْ
يَذْكُرْ مَا قَبْلَ ذَلِكَ . قَالَ : وَحَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَقُلْ وَكَعْبٌ : عَنْ أَبِيهِ ،
وَاللَّفْظُ فِي الْخَبَرِ لِابْنِ أَبِي الْأَزْهَرِ وَحَدِيثُهُ أَتَمُّ ، قَالَ : كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْ الْمَأْمُونِ وَاقِفًا ، فَأَدْخَلَ
إِلَيْهِ ابْنَ الْبَوَّابِ رَقْعَةً فِيهَا أُبَيَاتُ وَقَالَ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي إِنْشَادِهَا ؛ فَظَنُّهَا لَهُ

1 حبيب في الديوان : جنيب .

2 أشعار الخليلع : 94 .

3 يدعو على ولده الواحد بالموت العاجل إذا كان يعرف له زلة سلفت .

فقال : هات ؛ فأنشده¹ : [من الطويل]

أَجَرَنِي فَإِنِّي قَدْ ظَمِئْتُ إِلَى الْوَعْدِ مَتَى تُنَجِّزُ الْوَعْدَ الْمُؤَكَّدَ بِالْعَهْدِ
أُعِيدُكَ مِنْ خَلْفِ الْمَلُوكِ وَقَدْ بَدَأَ تَقَطُّعُ أَنْفَاسِي عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ²
أَيَّخُلُ فَرْدُ الْحَسَنِ عَنِّي بَنَائِلِ قَلِيلٍ وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ بِهَوَى فَرْدِ
إِلَى أَنْ بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ فَمَلَّكَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ
أَلَا إِنَّمَا الْمَأْمُونُ لِلنَّاسِ عَصْمَةٌ مُمَيِّزَةٌ بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالرُّشْدِ
فَقَالَ الْمَأْمُونُ : أَحْسَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ! فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَحْسَنَ قَائِلُهَا ؛ قَالَ : وَمَنْ
هُوَ ؟ فَقَالَ : عَبْدُكَ حُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ؛ فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ : لَا حَيًّا لِلَّهِ مِنْ ذَكَرْتَ وَلَا يَبَاقَ وَلَا
قَرَبَهُ وَلَا أَنْعَمَ بِهِ عَيْنًا ! أَلَيْسَ الْقَائِلُ³ : [من الطويل]

أَعِينِي جُودًا وَابْكِيَا لِي مُحَمَّدًا وَلَا تَذَخَّرَا دَمْعًا عَلَيْهِ وَأَسْعِدَا
فَلَا تَمَتَّ الْأَشْيَاءُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَلَا زَالَ شَمْلُ الْمَلِكِ فِيهِ مَبْدَأُ
وَلَا فَرِحَ الْمَأْمُونُ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ وَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشْرَدًا
هَذَا بِذَاكَ ؛ وَلَا شَيْءَ لَهُ عِنْدَنَا . فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْبَوَّابِ : فَأَيْنَ فَضْلُ إِحْسَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَعَةُ
حِلْمِهِ وَعَادَتُهُ فِي الْعَفْوِ ؟ فَأَمَرَهُ بِإِحْضَارِهِ . فَلَمَّا حَضَرَ سَلَّمَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ رَدًّا جَافِيًّا ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ
عَلَيْهِ فَقَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْكَ : هَلْ عَرَفْتَ يَوْمَ قُتِلَ أَخِي مُحَمَّدٌ هَاشِمِيَّةً قُتِلَتْ أَوْ هُتِكَتْ ؟ قَالَ لَا .
قَالَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ⁴ : [من الطويل]

وَسِرْبُ ظَبَاءٍ مِنْ ذُوَابَةِ هَاشِمٍ هَتَفَنَ بِدَعْوَى خَيْرٍ حَيٍّ وَمَيَّتٍ
أَرَدُّ يَدًا مِنِّي إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ عَلَى كَبِدِ حَرَّى وَقَلْبٍ مَفْتَتٍ
فَلَا بَاتَ لَيْلُ الشَّامَتِينَ بِغَيْبَةِ وَلَا بَلَغَتْ آمَالُهُمْ مَا تَمَنَّتِ
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْعَةٌ غَلَبَتْنِي ، وَرَوْعَةٌ فَاجَأَتْنِي ، وَنِعْمَةٌ فَقَدْتُهَا بَعْدَ أَنْ غَمَرْتَنِي ؛
وَإِحْسَانٌ شَكَرْتُهُ فَانْطَقَنِي ، وَسَيِّدٌ فَقَدْتُهُ فَاقْلَقَنِي . فَإِنْ عَاقَبْتَ فَبِحَقِّكَ ، وَإِنْ عَفَوْتَ فَبِفَضْلِكَ .

1 أشعار الخليل : 46 .

2 وقد بدا في ل : وقد ترى .

3 تقدّم هذا الخبر والأبيات برواية أخرى (ص 114) ، وانظر أشعار الخليل : 50 .

4 أشعار الخليل : 32 .

فَدَمَعْتُ عَيْنَا الْمَأْمُونُ وَقَالَ : قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ وَأَمَرْتُ بِإِدْرَارِ أَرْزَاقِكَ وَإِعْطَائِكَ مَا فَاتَ مِنْهَا ، وَجَعَلْتُ عَقُوبَةَ ذَنْبِكَ امْتِنَاعِي مِنْ اسْتِخْدَامِكَ .
[يشفع عمرو بن مسعدة لدى المأمون]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : لَمَّا أُعِيَتْ حُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ الْحِيلَةُ فِي رِضَا الْمَأْمُونِ عَنْهُ ، رُمِيَ بِأَمْرِهِ إِلَى عَمْرِو بْنِ مَسْعُودَةَ وَكُتِبَ إِلَيْهِ¹ :

أَنْتَ طَوْدِي مِنْ بَيْنِ هَذِي الْهَضَابِ	وَشِهَابِي مِنْ دُونِ كُلِّ شِهَابِ
أَنْتَ يَا عَمْرُو قَوَّتِي وَحَيَاتِي	وَلِسَانِي وَأَنْتَ ظَفْرِي وَنَابِي
أَتُرَانِي أَنْسَى أَيْادِيكَ الْيَبِ	ضَرَ إِذَا اسْوَدَّ نَائِلُ الْأَصْحَابِ
أَيْنَ عَطَفَ الْكِرَامُ فِي مَاقِطِ الْحَا	جَةِ يَحْمُونَ حَوَازَةَ الْأَدَابِ ²
أَيْنَ أَخْلَاقُكَ الرِّضْيَةَ حَالَتْ	فِيَّ أَمْ أَيْنَ رِقَّةَ الْكُتَّابِ ³
أَنَا فِي ذِمَّةِ السَّحَابِ وَأَظْلَمَا !	إِنَّ هَذَا لَوْصِمَةٌ فِي السَّحَابِ
قُمْ إِلَى سَيِّدِ الْبَرِّيَّةِ عَنِّي	قَوْمَةٌ تَسْتَجِرُّ حَسَنَ خُطَابِ
فَلْعَلَّ الْإِلَهَ يُطْفِئَ عَنِّي	بِكَ نَارًا عَلَيَّ ذَاتَ الْتِهَابِ

قال : فلم يزل عمرو يَلْطَفُ لِلْمَأْمُونِ حَتَّى أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ وَأَدْرَأَ أَرْزَاقَهُ .

[غضب عليه المعتصم]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ :
غَضِبَ الْمُعْتَصِمُ عَلَيَّ فِي شَيْءٍ جَرَى عَلَى النَّبِيذِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأُؤَدِّبَنَّهُ ؛ وَحَجَبَنِي أَيَّامًا .
فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ⁴ :

غَضَبُ الْإِمَامِ أَشَدُّ مِنْ أَذِيَّةٍ	وَقَدْ اسْتَجَرْتُ وَعُدْتُ مِنْ غَضَبِهِ
أَصْبَحْتُ مُعْتَصِمًا بِمُعْتَصِمٍ	أَتْنَى إِلَهُ عَلَيْهِ فِي كُتْبَةٍ
لَا وَالَّذِي لَمْ يُبْقِ لِي سِبًّا	أَرْجُو النِّجَاةَ بِهِ سِوَى سِبِّهِ

1 أشعار الخليل : 27 .

2 المأقط : المضيق في الحرب .

3 حالت : تحوَّلت من حال إلى حال .

4 أشعار الخليل : 31 .

ما لي شفيحٌ غيرُ حُرْمَتِهِ ولكلٌّ من أشفَى على عَطْبِهِ
قال : فلمَّا قُرِئَ عليه التفت إلى الواثق ثم قال : بمثل هذا الكلام يُسْتَعْطَفُ الكرام ؛ ما هو إلَّا أن سمعتُ أبياتَ حسينَ هذه حتى أزالَتْ ما في نفسي عليه . فقال له الواثق : هو حقيقٌ بأن يُوهَبَ له ذنبه ويُتجاوزَ عنه . فرضي عني وأمر بإحضاري .
[هجا العبَّاس بن المأمون]

قال الصُّوليُّ فحدَّثني الحسين بن يحيى أنَّ هذه الأبيات إنما كتب بها إلى المعتصم ؛ لأنَّه بلغه عنه أنَّه مدَّح العبَّاس بن المأمون وتمنَّى له الخلافةَ ، فطلبه فاستتر وكتب بها إلى المعتصم على يَدَيِ الواثق فأوصلها وشفَّعَ له فرضي عنه وأمنَّه فظهر إليه ، وهجا العبَّاس بن المأمون فقال¹ :

خلَّ اللَّعينَ وما اكْتَسَبَ	لا زال منقطعَ السَّبَبِ
يا عُرَّةَ الثَّقَلَيْنِ لا	ديناً رَعَيْتَ ولا حَسَبَ
حَسَدُ الإمام مكانه	جهلاً خَذَاكَ على العَطَبِ ²
وأبوك قدَّمه لها	لما تخيَّر وانتخبَ
ما تستطيع سوى التند	فَسَّ والتجرُّع للكرَبِ
ما زلتَ عند أبيك مُدَّ	تَقْصَرُ المروءة والأدَبِ

[شعره في مجلس صالح بن الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدَّثنا عمر بن محمَّد بن عبد الملك الزيات وابن مهرويه قالا : كنَّا عند صالح بن الرشيد ليلةً ومعنا حسين بن الضَّحَّاك وذلك في خلافة المأمون ، وكان صالح يهوى خادماً له ؛ فغاضبه في تلك الليلة فتنحَّى عنه ، وكان جالساً في صَحْنٍ حوله نَرْجِس في قمر طالع حسن ؛ فقال للحسين : قُلْ في مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتاً يُغْنِي فيها عمرو بن بانه . فقال الحسين³ :

صوت

وصف البدرُ حسنَ وجهك حتى	خِلْتُ أنِّي وما أراك أراكا
وإذا ما تنفَّسَ النرجسُ الغد	ضَّ توهَّمته نسيمَ شذاكا

1 أشعار الخليفة : 25 .

2 خذاك على العطب : قادك إليه وأوقعك فيه .

3 أشعار الخليفة : 88-89 مع بعض اختلاف .

خُدْعَ لِلْمُنَى تَعْلَلْنِي فِيكَ بِإِشْرَاقِ ذَا وَنَفْحَةِ ذَاكَ
لَأُدْومَنَّ يَا حَبِيبِي عَلَى الْعَدَا هَذَا وَذَاكَ إِذْ حَكَاكَ
قال عمرو : فقال لي صالح : تغنّ فيها ، فتغنّيتُ فيها من ساعتِي .
لحنُ عمرو في هذه الأبيات ثَقِيلٌ بالبصرة من روايته .

[شعره في خادم أبي عيسى بن الرشيد]

وقد حَدَّثَنِي بهذا الخبر عليّ بن العباس بن أبي طلحة قال حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بن زكريا
الضَّرِيرُ قال حَدَّثَنَا الْجَمَّازُ عن أبي نُوَاسٍ قال : كنتُ أتعشّقُ ابناً للعلاء يقال له مُحَمَّدٌ ، وكان
حُسينَ يتعشّقُ خادماً لأبي عيسى بن الرشيد يقال له يُسْرُ ؛ فزارني يوماً فسألتُهُ عنه فقال : قد
كاد قلبي أَنْ يسلُوَ عنه وعن حَبِّهِ . قال : وجاءني ابنُ العلاء صاحبي فدخل عليّ وفي يده
نرجسٌ ، فجلسنا نشرب وطلع القمر ؛ فقلت له : يا حسين أَيْمًا أحسن القمر أم مُحَمَّدٌ ؟
فأطرق ساعةً ثم قال : اسمع جوابَ الذي سألتَ عنه :

وصَفَ البدرُ حسنَ وجهك حتى خِلْتُ أَنِّي وما أراك أراكا
وإذا ما تنفَسَ النَّرجِسُ الغدَ ضَرَّ توهّمُهُ نسيَمَ شذاكا
وإِخالَ الذي لثَمْتُ أَنيسي وجليسي ما باشرتُهُ يداكا
فإذا ما لثَمْتُ لثَمَكَ فيه فكأنِّي بِذاك قَبَلْتُ فاكا
خُدْعَ لِلْمُنَى تَعْلَلْنِي فِيكَ بِإِشْرَاقِ ذَا وَنَفْحَةِ ذَاكَ
لَأُقِيمَنَّ مَا حَبَيْتُ عَلَى الشُّكِّ رَ لِهَذَا وَذَاكَ إِذْ حَكَاكَ

قال : فقلت له : أحسنتَ والله ما شئتَ ؛ وَلَكِنَّكَ يا كَشْخَانُ¹ هو ذا تَقْدِيرُ أَنْ تَقْطَعَ
الطريقَ في عملي ؟ فقال : يا كَشْخَانُ أَوْ شعري الذي سمعته في حاضِرٍ أَمْ بِذِكْرِ غَائِبٍ ! وَاللَّهِ
لَلْعَلِّ التي يَطَأُ عليها يُسْرٌ أَحْسَنُ عِنْدِي من صاحِبِكَ ومن القمر ومن كلِّ ما أتم فيه .
[مدح المتوكّل شعره]

أخبرني عليّ بن العباس قال حَدَّثَنِي أحمد بن سعيد بن عُبَيْسَةَ الْقُرَشِيِّ الْأُمَوِيِّ قال حَدَّثَنِي
عليّ بن الجَهْمُ قال : دخلتُ يوماً على المتوكّل وهو جالس في صحن خُلْدِه² وفي يده غصنُ
آسٍ وهو يتمثّل بهذا الشعر³ :

[من البسيط]

1 كَشْخَان : ديوث .

2 الخلد : قصر بناه المنصور على شاطئ دجلة .

3 أشعار الخليل : 114-115 .

بالشَّطِّ لِي سَكَنٌ أَفْدِيهِ مِنْ سَكَنٍ أَهْدِي مِنَ الْآسِ لِي غَصْنِينَ فِي غُصْنٍ
فَقُلْتُ إِذْ نَظَّمَا الْفَيْنَ وَالتَّبَسَا سَقِيًّا وَرَغِيًّا لِفَالٍ فَيَكَمَا حَسَنَ
فَالْآسُ لَا شَكَّ آسٍ مِنْ تَشَوُّقِنَا شَافٍ وَآسٍ لَنَا يَبْقَى عَلَى الزَّمَنِ
أُبَشِّرُ تَمَانِي بِأَسْبَابٍ سَتَجْمَعُنَا إِنْ شَاءَ رَبِّي وَمَهْمَا يَقْضِيهِ يَكُنْ

قال : فلمَّا فرغ من إنشادها قال لي وكدتُ أنْشَقَّ حَسداً : لَمَنْ هَذَا الشَّعْرُ يَا عَلِيٌّ ؟
فقلت : للحسين بن الضَّحَّاك يا سَيِّدِي . فقال لي : هو عندي أشعر أهل زماننا وأملحُهم
مذهباً وأظرفُهم نَمَطاً . فقلت وقد زاد غيظي : في الغزل يا مولاي . قال : وفي غيره وإن رَغِمَ
أنْفُكَ ومَتَّ حَسداً . وكنتُ قد مدحته بقصيدة وأردتُ إنشادها يومئذ فلم أفعَلْ ، وعلمتُ
أنِّي لا أُنْتَفِعُ مع ما جرى بيننا بشيء لا به ولا بالقصيدة ، فأخَرْتُهَا إلى وقت آخر .

[مع شفيع خادَم المتوكِّل]

أخبرني مُحَمَّد بن يحيى قال حَدَّثَنِي أَحْمَد بن يزيد المهلبي قال حَدَّثَنِي أَبِي قال : أَحَبُّ
المتوكِّل على اللَّهِ أَنْ يُنَادِمَهُ حُسَيْنُ بن الضَّحَّاك وَأَنْ يَرَى مَا بَقِيَ مِنْ شَهْوَتِهِ لَمَّا كَانَ عَلَيْهِ ؛
فَأَحْضَرَهُ وَقَدْ كَبِرَ وَضَعُفَ ، فَسَقَاهُ حَتَّى سَكِرَ ، وَقَالَ لَخَادِمِهِ شَفِيع : اسْقِهِ ، فَسَقَاهُ وَحَيَّاهُ
بُورْدَةٍ ، وَكَانَتْ عَلَى شَفِيعِ ثِيَابٍ مُورَدَةٍ ؛ فَمَدَّ الْحُسَيْنُ يَدَهُ إِلَى ذِرَاعِ شَفِيعَ . فَقَالَ لَهُ الْمُتَوَكِّلُ :
يَا حُسَيْنَ ، أَتَجَمَّشُ أَخَصَّ خَدَمِي عِنْدِي بِحَضْرَتِي ؟ فَكَيْفَ لَوْ خَلَوْتُ ؟ مَا أُحْجِجُكَ إِلَى
أَدَبٍ ! وَقَدْ كَانَ الْمُتَوَكِّلُ غَمَزَ شَفِيعاً عَلَى الْعَبَثِ بِهِ . فَقَالَ الْحُسَيْنُ : يَا سَيِّدِي ، أُرِيدُ دَوَاءً
وَقَرَطَاساً ، فَأَمْرٌ لَهُ بِذَلِكَ ، فَكُتِبَ بِخَطِّهِ¹ :

وَاللُّورْدَةُ الْحُمْرَاءُ حَيًّا بِأَحْمَرٍ مِنْ الْوَرْدِ يَمْشِي فِي قَرَاطِقِ كَالْوَرْدِ²
لَهُ عَبَثَاتٌ عِنْدَ كُلِّ تَحِيَّةٍ بَعِينُهُ تَسْتَدْعِي الْحَلِيمَ إِلَى الْوَجْدِ
تَمَنَيْتُ أَنْ أُسْقَى بِكَفَيْهِ شَرِبَةً تَذَكَّرْنِي مَا قَدْ نَسِيتُ مِنَ الْعَهْدِ
سَقَى اللَّهُ دَهْرًا لَمْ أَبْتَ فِيهِ لَيْلَةً خَلِيًّا وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدِ

ثم دفع الرقعة إلى شفيع وقال له : ادفعها إلى مولاك . فلمَّا قرأها استملحها وقال :
أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا حُسَيْنَ ؛ لَوْ كَانَ شَفِيعُ مَنْ تَجُوزُ هَبْتُهُ لَوْهَيْتُهُ لَكَ ، وَلَكِنْ بِحَيَاتِي إِلَّا كُنْتُ
سَاقِيَهُ بَاقِيَ يَوْمِهِ هَذَا وَاخْدُمْتُهُ كَمَا تَخْدُمُنِي ؛ وَأَمْرٌ لَهُ بِمَالٍ كَثِيرٍ حُمِلَ مَعَهُ لَمَّا انْصَرَفَ . قَالَ

1 أشعار الخليفة : 43 .

2 في مجموع أشعاره :

وَالدَّرَّةُ الْبَيْضَاءُ حَيًّا بِعَنْبَرٍ وَكَالْوَرْدِ يَسْعَى فِي قَرَاطِقِ كَالْوَرْدِ

أحمد بن يزيد فحدثني أبي قال : صرتُ إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيّام ، فقلت له : ويّلك ! أتدري ما صنعت ؟! قال : نعم أدري ، وما كنتُ لأدعَ عادتي بشيء ؛ وقد قلتُ بعدك¹ :
[من مجزوء الخفيف]

صوت

لا رأى عطفَةَ الأحبِّ ع من لا يُصرِّحُ
أصغرُ الساقينِ أشدَّ كلُّ عندي وأملحُ
لو تراه كالظبي يسر نح حيناً ويبرحُ
خلتَ غصناً على كثي ب بنور يوشحُ

غنى عمرو بن بانة في هذه الأبيات ثاني ثقليل بالنصر .

[حيّاه شفيح بتفاحة غير]

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي وقال حدثني محمد بن أبي عون قال : حضرتُ المتوكل وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر وقد أحضر حسين بن الضحّاك للمنادمة ، فأمر خادماً كان واقفاً على رأسه ، فسقاه وحيّاه بتفاحة غير . وقال لحسين : قل في هذا شيئاً ؛ فقال² :

وكالدرة البيضاء حيا بعنبر وكالورد يسعى في قراطئ كالورد
له عبثات عند كل تحية بعينه تستدعي الحليم إلى الوجد³
تمنيت أن أسقى بكفيه شربة تذكرني ما قد نسيت من العهد⁴
سقى الله عيشاً لم أبت فيه ليلة من الدهر إلا من حبيب على وعد

فقال المتوكل : يحمل إلى حسين لكل بيت مائة دينار . فالتفت إليه محمد بن عبد الله بن طاهر كالمتعجب وقال : لم ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله لقد أجاب فأسرع ، وذكر فأوجع ، وأطرب فأمتع ؛ ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاؤها يد لأجزلت له العطاء ولو أحاط بالطارف والتالد . فخل المتوكل وقال : يعطى حسين بكل بيت ألف دينار . وقد أخبرني بهذا الخبر ابن قاسم الكوكبي قال حدثنا بشر بن محمد قال وحدثني علي بن الجهم : أنه حضر المتوكل وقد أمر شفيحاً أن يسقي حسين بن الضحّاك ؛ وذكر باقي الخبر نحو ما مضى من رواية غيره .

1 أشعار الخليل : 35 .

2 رواية الأبيات هنا كما وردت في مجموع أشعار الخليل ص 43 وفيه تخريجها .

3 بعينه في ل : بكفيه .

4 بكفيه في ل : بعينه .

[شعره في مقحم خادم ابن شغوف]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرّد ، وحدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن مروان عن محمد بن عمرو الرّومي قال : اجتمع حسين بن الضّحّاك وعمرو بن بانة يوماً عند ابن شغوف الهاشمي فاحتبسهما عنده . وكان لابن شغوف خادم حسن يقال له مقّم ، وكان عمرو بن بانة يتعشقه ويُسِرّ ذلك من ابن شغوف . فلما أكلوا ووضّع النبيذ قال عمرو بن بانة للحسين : قل في مقّم أبياتاً أغنّ فيها الساعة . فقال الحسين² :

[من المنسرح]

صوت

وابأبي مقّم لعزّته قلتُ له إذ خلوتُ مكثمتما
تحبّ بالله من يخصّك بالودّ فما قال لا ولا نعمّا

[تعريض إسحاق الموصلي بعمرو بن بانة]

وغنّي فيه عمرو . قال : فبيناهم كذلك إذ جاء الحاجب فقال : إسحاق الموصليّ بالباب ؛ فقال له عمرو : أعفنا من دخوله ولا تنغص علينا بيغضيه وصلّفه وثقله ففعل ؛ وخرج الحاجب فاعتلّ على إسحاق حتى انصرف ، وأقاموا يومهم وباتوا ليلتهم عند ابن شغوف . فلما أصبحوا مضى الحسين بن الضّحّاك إلى إسحاق فحدثه الحديث بنصّه . فقال إسحاق :

[من المنسرح]

يا ابنَ شغوفٍ أما علمتَ بما قد صار في الناس كلّهم علما
دعوتَ عمراً فبات ليلته في كلّ ما يشتهي كما زعما
حتى إذا ما الظلامُ ألبسه سرى ديباً فضاجع الخدما
ثمّت لم يرَضْ أن يُضاجعهم سراً ولكن أبدى الذي كتما
ثم تغنى لفرط صبوته صوتاً شفى من غليله السّقما
«وابأبي مقّم لعزّته قلتُ له إذ خلوت مكثمتما»
«تحبّ بالله من يخصّك بالودّ فما قال لا ولا نعمّا»

قال : وشاعت الأبياتُ في الناس وغنّي فيها إسحاق أيضاً فيما أظنّ ؛ فبلغت ابنَ شغوف

1 ويروى أيضاً «مقّم» بالفاء .

2 مجموع شعره : 107 .

فحلّف ألاّ يُدخلَ عمرًا داره أبداً ولا يكلمه ، وقال : فضحني وشهرني وعرضني للسان إسحاق ؛ فمات مهاجراً له . وقال ابن أبي سعد في خبره : إنّ إسحاق غنى فيها للمعتصم ، فسأله عن خبرها فحدّثه بالحديث ، فضحك وطرب وصفق ؛ ولم يزل يستعيد الصوت والحديث وابنُ شغوف يكاد أن يموت إلى أن سكر ونام .

لحن عمرو بن بانة في البيتين اللذين قالهما حسين في مُقحم من الثقليل الثاني بالوسطى .
[رأي أبي نواس في غزله]

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طلحة قال حدّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال سمعت مَهْدِيَّ بن سابق يقول : التقى أبو نواس وحسين بن الضحّاك ، فقال أبو نواس : أنت أشعر أهل زمانك في الغزل ؛ قال : وفي أيّ ذلك ؟ قال : ألا تعلم يا حسين ؟ قال لا ؛ قال : في قولك :

وابأبي مُقحم لعزّته	قلت له إذ خلوتُ مكتتما
تحبّ بالله من يَخُصّك بالو	دّ فما قال لا ولا نعماً
ثم تولّى بمقلتي خجلٍ	أراد رجّع الجواب فاحتشما
فكنتُ كالمبتغي بحيلته	برءاً من السُّقم فابتدا سقماً

فقال الحسين : ويحك يا أبا نواس ؛ فأنت لا تفارق مذهبك في الخمر البتّة ؛ قال : لا والله ، وبذلك فضلتك وفضلتُ الناس جميعاً .

[تعلّب يني على شعره]

أخبرني عليّ بن العباس قال أنشدنا أبو العباس ثعلب قال أنشدني حمّاد بن المبارك صاحب حسين بن الضحّاك قال أنشدني حسين لنفسه¹ :

[من مجزوء الخفيف]

لا وحبّيك لا أصا	فح بالدمع مدمعا
من بكى شجوه استرا	ح وإن كان موجه
كبدي من هواك أس	قم من أن تقطعا
لم تدع سورة الضنى	في للسقم موضعاً

قال : ثم قال لنا ثعلب : ما بقي من يُحسن أن يقول مثل هذا .

[رأي ابن الرومي في غزله]

أخبرني عليّ قال حدّثني محمد بن الفضل الأهوازيّ قال سمعت عليّ بن العباس الروميّ

يقول : حسين بن الضحّاك أغزلُ الناس وأظرفُهم . فقلت : حين يقول ماذا ؟ فقال : حين يقول¹ :

[من الكامل]

يا مستعيرَ سَوالفِ الخِشْفِ اسمعَ لَحْلَفَةِ صادقِ الحَلْفِ
إنْ لم أَصِبحْ ليلي ويا حَرَبِي من وجنتيكَ وفترَةِ الطَّرْفِ
فجَحدتُ رَبِّي فضلَ نَعمته وعبدتهُ أبداً على حَرَفِ

[شعره في فتن]

أخبرني عليّ بن العباس الرومي قال حدّثني قتيبة عن عمرو السّكونيّ بالكوفة قال حدّثني أبي قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال : كانت تألفني مغنية ، وتجيئني دائماً ، وكنت أميل إليها وأستملحها ، وكان يقال لها فتن . فكان يجيء معها خادم لمولاتها يحفظها يسمّى نُجُحاً ، وكان بغيضاً شرس الخلق ، فإذا جاء معها توقّيته ؛ فمرض ، فجاءتني ومعها غيره ، فبلغتُ منها مُرادِي وتفرّجتُ يومي وليّتي ؛ فقلت² :

[من مجزوء الخفيف]

لا تَلْمَني على فِتْنٍ إنها كاسِمِها فِتْنٌ
فإذا لم أَهْمُ بها فبِمَن ، لا بَمَنِ إِذْنٌ
أين ، لا أين ، مثلُها في جميعِ الورى سَكَنٌ
طيبَ نَشْرِ إذا لَثِمَ ستَ وغنّجَ ومُحتَضَنٌ
والِ عَشْراً من الصَّبُو حرّ على وجهِها الحسنُ
وعلى لفظِها المَنُو ن لَلامَ بالغُننُ
لست أنسى من الغَريِّ رة إذ بُحت بالشَّجَنُ
قولَها إذ سلبتُها عن كَثيبٍ وعن عُكَنُ
ليس يُرضيكَ يا فتى من هوىّ دون أن تَهِنُ
فامتزجنا معاً مُما زجّة الرُّوح للبدنُ
وكُفينا من أن نُرَا قِبَ نُجُحاً إذا فَطَنُ
وأمنّاه أن يَنِـ مّ وما كان مؤتَمَنُ
كلّ ما كان من حبيب بك مستظرفٌ حسنُ

1 شعره : 80 .

2 شعره : 108 عن الأغاني .

[مناظرته مخارق في أبي نواس وأبي العتاهية]

حدّثني جَحْظَةُ قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ : أنَّ مُخَارِقاً وحسين بن الضحّاك تَلاحِيَا في أبي العتاهية وأبي نواس أيُّهما أشعر ؛ فَاتَّفَقَا على اختيار شعرٍ من شعريهما يتخيران فيه ، فاختار الحسين بن الضحّاك شيئاً من شعر أبي نواس جيّداً قوياً لمعرفته بذلك ، واختار مخارق شيئاً من شعر أبي العتاهية ضعيفاً سخيفاً غزلاً كان يُغْنِي فيه لا لشيء عرّفه منه إلاّ لأنّه استملحه وغنى فيه ، فخاير به لقلة علمه ولما كان بينه وبين أبي العتاهية من المودّة ؛ وتخطّراً¹ على مال ، وتحاكماً إلى مَنْ يَرْتَضِيهِ الواقق بالله ويختاره لهما ؛ فاختار الواقق لذلك أبا مُحَلِّم ؛ وبعث فأحضره وتحاكماً إليه بالشعرين فحكّم لحسين بن الضحّاك . فتلكأ مخارق وقال : لم أحسن الاختيار للشعر ولحسّين أعلم منّي بذلك ، ولأبي العتاهية خير ممّا اخترت ، وقد اختار حسين أجود ما قدّر عليه لأبي نواس لأنّه أعلم منّي بالشعر ، ولكنّا نتخير بالشاعرين ففيهما وقع الجدل ؛ فتحاكماً فحكّم لأبي نواس ، وقال : هو أشعر وأذهب في فنون الشعر وأكثر إحساناً في جميع تصرّفه . فأمر الواقق بدفع الخطر إلى حسين ، وانكسر مخارق فما انتفع به بقيّة يومه .

[شعره في الحسن بن سهل]

أخبرني ابنُ أبي طلحة قال حدّثني سَوَادَةُ بن الفَيْض قال حدّثني أبي قال : لما أطرح المأمونُ حسينَ بن الضحّاك لهواه ، كان ، في أخيه محمّد وجفاه ، لاذ الحسين بن الضحّاك بالحسن بن سهل وطمع أن يُصلّحه له ؛ فقال يمدحه² :

أرى الآمالَ غيرَ مُعَرَّجاتٍ	على أحدِ سوى الحسن بن سهل
يُبَارِي يومَه غُدّه سَمَاحاً	كِلَا اليومينَ بآنٍ بكلِّ فضل
أرى حَسَناً تقدّمَ مُستَبِداً	يَعْدِي من رِياسته وقَبْل
فإن حَضَرْتُكَ مشكّلةً بِشكٍّ	شفاكَ بِحِكْمَةٍ وخطابٍ فَصْل
سَلِيلُ مَرَاذِبٍ بَرَعُوا حلوماً	وراعَ صَغِيرُهُم بَسَدادَ كَهْل
ملوكٌ إن جَرِيتَ بهم أَبْرُوا	وعَزَّوْا أن تُوازِنَهُم بِعَدْل
لِيَهْنِكَ أن ما أَرَجأتَ رَشْدُ	وما أَمْضيتَ من قول وفعل

1 تخاطرا : تراهما .

2 شعره : 93 .

وَأَنْتَ مُؤَثِّرٌ لِلْحَقِّ فِينَا أَرَاكَ اللَّهُ مِنْ قَطْعٍ وَوَصَلٍ
وَأَنْتَ لِلْجَمِيعِ حَيَا رَبِيعٍ يَصُوبُ عَلَى قَرَارَةٍ كُلِّ مَحَلٍّ

قال : فاستحسنها الحسن بن سهل ، ودعا بالحسين فقرّبه وآتسه ووصله وخلع عليه ووعدّه إصلاحَ المأمون له ، فلم يُمكنه ذلك لسوء رأي المأمون فيه وَلَما عاجل الحسن من العلة .
[سؤال الحسن بن سهل وجوابه]

قال عليّ بن العباس بن أبي طَلْحَةَ وَحدَّثني أَبُو العباس أحمد بن الفضل المَرْوَزِيُّ قال :
سمعت الحسن بن سهل يقول لحسين بن الضَّحَّاك : ما عَنَيْتَ بقولك¹ : [من المديد]

يَا خَلِيَّ الذَّرْعَ مِنْ شَجَنِي إِنَّمَا أَشْكُو لترحَمَنِي
قال : قد بَيَّنَّته ؛ قال : بأيّ شيء ؟ قال : قلت :

مَنْعُكَ الْمِسْوَرةَ يُؤَيِّسُنِي وَقَلِيلُ الْيَأْسِ يَقْتُلُنِي
فقال له أَبُو مُحَمَّدٍ : إِنَّكَ تُضَيِّعُ بِالْخَلَاعةِ ، مَا أُعْطِيَتْهُ مِنَ الْبِرَاعَةِ .

[الحسن بن سهل يهبه غلاماً]

أخبرني عليّ بن العباس قال حدَّثني أحمد بن القاسم المَرْيِّ قال حدَّثنا أَبُو هَفَّان قال : سألت
حسِينَ بن الضَّحَّاك عن خبره المشهور مع الحسن بن سهل في اليوم الذي شرب معه فيه وبات
عنده وكيف كان ابتداءؤه ، فقلت له : إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ . فقال لي : دخلتُ على
الحسن بن سهل في فصل الخَرِيفِ وقد جاء وَسَمِيٌّ من المطر فَرَشَ رَشًّا حَسَنًا ، واليومُ في
أَحْسَنِ مَنْظَرٍ وَأَطْيَبِهِ ، وهو جالس على سريرِ آبنوس وعليه قُبَّةٌ فَوْقَهَا طَارِمَةٌ² دِيبَاجٌ أَصْفَرٌ وَهُوَ
يُشْرِفُ عَلَى بَسْتَانٍ فِي دَارِهِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَصَائِفُ يَتَرَدَّدُن فِي خِدْمَتِهِ وَعَلَى رَأْسِهِ غِلَامٌ كَالدَّيْنَارِ ؛
فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، وَنَظَرَ إِلَيَّ كَالْمُسْتَطِيقِ ؛ فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ³ : [من المتقارب]

أَلَسْتُ تَرَى دِيمَةً تَهْطِلُ وَهَذَا صِبَا حُكِّ مُسْتَقْبَلُ
فقال : بَلَى . فقلت :

وَتِلْكَ الْمُدَامُ وَقَدْ شَاقْنَا بِرُؤْيَيْهِ الشَّادُنُ الْأَكْحَلُ
فقال : صَدَقْتَ فَمَةً ؛ فقلتُ :

1 شعره : 115 .

2 الطارمة في الأصل : بيت من خشب كالقبة ، والمراد هنا ستر رقيق من الديباج كأنه طارمة .

3 شعره : 91-92 ورواية الخبر والأبيات فيه عن الأغاني .

فعاد به وبنا سكرةً تهوّن مكروه ما نسأل
فسكت . فقلت :

فإني رأيت له نظرةً تخبرني أنّه يفعل
ثم قال : مه ؛ فقلت :

وقد أشكل العيش في يومنا فيا حبذا عيشنا المشكل

فقال : العيش مشكل ، فما ترى ؟ فقلت : مبادرةً القصف وتقريبُ الإلف . قال : على أن تقيم معنا وتبيتَ عندنا . فقلت له : لك الوفاءُ وعليك مثله لي من الشرط . قال : وما هو ؟ قلت : يكون هذا الواقف على رأسك يسقيني . فضحك ثم قال : ذلك لك على ما فيه . ودعا بالطعام فأكلنا وبالشراب فشربنا أقداحاً . ولم أرَ الغلامَ ، فسألتُ عنه فقال لي : الساعةَ يجيء ، فلم نلبث أن وافاني ؛ فسألتُهُ أين كان ؟ فقال : كنت في الحمام وهو الذي حبسني عنك . فقلتُ لوقتني¹ :

وأبأي أبيض في صفرة	كأنه تبرّ على فضة
جرده الحمام عن درة	تلوح فيها عكن بضة
غصن تبدى يتثنى على	مأكمة مثقلة النهضة ²
كأنما الرش على خده	طل على تفاحة غضة
صفاته فاتنة كلها	فبعضه يُذكرني بعضه
يا ليتني زودني قبلة	أو لا فمين وجنته عضة ³

فقال لي الحسن : قد عمل فيك النيذ ؛ فقلت : لا وحياتك ؛ فقال : هذا شرٌّ من ذلك . فقلت⁴ :

استقياني وصرّفا	بنت حولين قرّفا ⁵
واستقيا المرهف الغري	ر سقى الله مرهفا

1 شعره : 180 .

2 المأكمة : العجيزة .

3 يا ليتني ، لعلها يا ليته ، وكذا هي في شرح المقامات .

4 شعره : 81-82 .

5 القرقف : الخمر لأنها ترعد شاربها .

لا تقولوا نراه أك^١ لَفَ نِضْوَاً مَخْفَفاً^١
 نَعْمَ رِيحَانَةُ النَّدِيبِ مَ وَإِنْ كَانَ مُخْطَفاً^٢
 إِنْ يَكُنْ أَكْلَفَاً فَا نِي أَرَى الْبَدْرَ أَكْلَفَا
 بِأَبِي مَا جُنَّ السَّرِيبِ رة يُبْدِي تَعَفُّفاً
 حَفَّ أَصْدَاغَهُ وَعَقَفَ رَبِّهَا ثُمَّ صَفَّفاً
 وَحَشَا مَدْرَجَ الْقُصَا صَ بِمَسْكِ وَرَصَفَاً^٣
 فَإِذَا رُمَتْ مِنْهُ ذَا كَ تَأْبَى وَعَنْفَا
 لَيْسَ إِلَّا بِأَنْ يُر نَحْه السُّكْرُ مُسْعِفَا
 بِأَكْرَا لَا تَسُوفَا نِي عَدِمْتُ الْمُسُوفَا
 أَعْجَلَاهُ وَبِالْفُضَا ضة فِي السَّقْيِ فَاغْنَفَا^٤
 وَاحْمِلَا شَعْبَهُ وَإِنْ هُوَ زَنَى وَأَفَقَاً^٥
 فَإِذَا هُمْ لِلْمَنَا مَ فَقُومَا وَخَفَفَا

فتغاضب الغلام وقام فذهب ، ثم عاد فقال لي : أَقْبِلْ عَلَى شَرَابِكَ وَدَعِ الْهَذْيَانَ . وناولني قدحاً . وقام أبو محمد ليبول ، فشربتُ وَأَعْطَانِي نُقْلاً فَقُلْتُ : اجْعَلْ بَدْلَهُ قَبْلَةً ؛ فضحك وقال : أَفْعُلْ ، هذا وَقْتُهُ فَبَدَا لَهُ وَقَالَ : لَا أَفْعُلْ ؛ فَعَاوَدْتُهُ فَانْتَهَرَنِي . فقال له خادماً للحسن يقال له فَرَجٌ : بِحَيَاتِي يَا بَنِيَّ أَسْعِفْهُ بِمَا طَلَبَ ؛ فضحك ثم دنا مِنِّي كَأَنَّهُ يَنَاولُنِي نُقْلاً وَتَغَافَلَ فَاخْتَلَسْتُ مِنْهُ قَبْلَةً ؛ فقال لي : هِيَ حَرَامٌ عَلَيْكَ فَقُلْتُ^٦ : [من الرمل]

وَبَدِيعِ الدَّلِّ قَصْرِي الْغَنَجِ مَرِهِ الْعَيْنِ كَحِيلٍ بِالْدَّعَجِ^٧
 سُمْتُهِ شَيْئاً وَأَصْغَيْتُ لَهُ بَعْدَ مَا صَرَفَ كَأْساً وَمَرْجَ
 وَاسْتَخَفَّتْهُ عَلَى نَشْوَتِهِ نَبْرَاتٍ مِنْ خَفِيفٍ وَهَزَجَ

١ الكلف : شيء يعلو الوجه كالسمسم .

٢ المخطف : قليل لحم الجنب .

٣ القصاص : منبت الشعر .

٤ الفضاضة : آخر الشيء .

٥ زَنَى : قذف وسب .

٦ شعره : 34 .

٧ مره العين : لم يكتحل .

فَتَأْبَى وَتَشَى خَجَلاً وَذَرَا الدَّمْعَ فَنُوناً وَنَشَجَ
لِجٍّ فِي «لَوْلَا» وَفِي «سَوْفَ تَرَى» وَكَذَا كَفَّكَفَ عَنِّي وَخَلَجَ¹
ذَهَبَ اللَّيْلُ وَمَا نَوَّلَنِي دُونَ أَنْ أَسْفَرَ صَبْحَ وَابْتَلَجَ
هُوَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ فَرَجٌ بِتَأْتِيهِ فَسْقِيَا لَفَرَجَ
خَمِرُ النَّكْهَةِ لَا مِنْ قَهْوَةٍ أَرَجَ الْأَصْدَاغَ بِالْمَسْكِ أَرَجَ²
وَبِنَفْسِي نَفْسٌ مَنْ قَالَ ، وَقَدْ كَانَ مَا كَانَ ، حَرَامٌ وَحَرَجٌ

قال : ثم أسفر الصبح . فأنصرفت وعُدت من غدٍ إلى الحسن ؛ فقال لي : كيف كنت في ليلتك وكيف كنت عند نومك ؟ فقلت له : أأصِفُ ذلك نشرأ أم نظماً ؟ فقال : بل نظماً فهو أحسن عندي ، فقلت³ :

تَأَلَّفْتُ طَيْفَ غَزَالِ الْحَرَمِ فَوَاصِلَنِي بَعْدَ مَا قَدْ صَرَمَ
وَمَا زِلْتُ أَقْعَ مِنْ نَيْلِهِ بِمَا تَجْتَنِيهِ بَنَانُ الْحُلُمِ
بِنَفْسِي خِيَالٌ عَلَى رِقْبَةٍ أَلَمْ بِهِ الشَّوْقُ فِيمَا زَعَمَ
أَتَانِي يُجَادِبُ أَرْدَافَهُ مِنَ الْبُهِرِ تَحْتَ كَسُوفِ الظُّلُمِ
تُمَجِّجُ سَوَالْفَهُ مِسْكَةً وَعَنْبَرَةً رَيْقَهُ وَالنَّسَمِ
تَضْمَخَ مِنْ بَعْدِ تَجْمِيرِهِ فَطَابَ مِنَ الْقَرْنِ حَتَّى الْقَدَمِ⁴
يَقُولُ وَنَازَعْتُهُ ثَوْبَهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ لَشَيْءٍ نَعَمَ
فَغَضَّ الْجَفُونَ عَلَى خَجَلَةٍ وَأَعْرَضَ إِعْرَاضَةَ الْمُحْتَشِمِ
فَشَبَّكَتُ كَفِّي عَلَى كَفِّهِ وَأَصْغَيْتُ أَلْثِمُ دُرّاً بِفَمِ
فَنَهْنَهْنِي دَفَعَ لَا مُؤَيِّسٍ بِجِدٍّ وَلَا مُطْمَعٍ مُعْتَزِمِ
إِذَا مَا هَمَمْتُ فَأَدْنِيْتُهُ تَتَنَّى وَقَالَ لِي الْوَيْلُ لِمِ
فَمَا زِلْتُ أَبْسُطُهُ مَازِحاً وَأُفْرِطُ فِي اللَّهْوِ حَتَّى ابْتَسَمِ
وَحَكَمَنِي الرَّيْمُ فِي نَفْسِهِ بِشَيْءٍ وَلَكِنَّهُ مُكْتَمِ

1 كففكف : كف وأعرض . خلج : جذب وانتزع ، أي دفعه وانتزع نفسه منه .

2 في رواية : المسك الأرج أي الذي تفوح منه رائحة طيبة .

3 شعره : 94-96 .

4 التجمير : التبخير بالطيب .

فواهاً لذلك من طارقٍ على أن ما كان أبقي سَقَمَ
قال : فقال لي الحسن : يا حسين يا فاسق ؛ أَظُنُّ ما أَدْعَيْتَهُ على الطَّيْفِ في النوم كان في
اليَقَظَةِ مع الشَّخْصِ نفسه ، وأَصْلَحُ الأشياءُ لنا بعد ما جرى أَنَّ نَرَحُضَ¹ العارَ عن أنفسنا بهبة
الغلام لك ، فخذهُ لا بُورِكَ لك فيه ؛ فأخذته وانصرفت .
[شعره في غلام للحسن بن سهل]

حَدَّثَنِي عليُّ بن العباس قال حَدَّثَنِي أَبُو العَيْنَاء قال : أنشدني الحسين بن الضَّحَّاك لنفسه في
غلام للحسن بن سهل كان اجتمع معه في دار الحسن ، ثم لقيه بعد ذلك فسَلَّمَ عليه فلم
يكلِّمه الغلام ؛ فقال² :

فديتُك ما لوجهك صدَّ عَنِّي وأبديتَ التَّنَدُّمَ بالسَّلامِ
أحينَ خلَّيتني وقرَّنتَ قلبي بطَرْفِكَ والصَّبَابَةَ في نِظامِ
تَنَكَّرَ ما عهدتُ لُغَبَ يوم فيا قَرَبَ الرِّضَاعِ من الفِطَامِ
لأسرَعَ ما نهيتَ إلى همومي سروري بالزيارة واللِّمامِ

[اختلاط جيتين]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهريَّ قالا حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة
قال حَدَّثَنِي حسين بن الضَّحَّاك الخليل قال : كنت في المسجد الجامع بالبصرة ، فدخل علينا
أبو نَواس وعليه جُبَّةٌ خَزَّ جديدة . فقلت له : من أين هذه يا أبا نَواس ؟ فلم يخبرني ،
فتوهَّمتُ أَنَّهُ أَخَذَهَا من موسى بن عِمْرانَ لأنَّهُ دخل من باب بني تميم ؛ فقمْتُ فوجدتُ
موسى قد لبس جُبَّةً خَزَّ أخرى ؛ فقلت له³ :

كيف أصبحتَ يا أبا عمران

فقال : بخير صَبَّحَكَ اللهُ به . فقلت :

يا كريم الإخاء والإخوان

فقال : أسمعك الله خيراً . فقلت :

إن لي حاجةً فأريك فيها إننا في قضائها سيَّان

فقال : هاتِها على اسم الله وبركته . فقلت :

1 نرحض : نغسل .

2 شعره : 104 .

3 شعره : 111 .

جُبَّةٌ مِنْ جِبَابِكَ الْخَزَّ حَتَّى لَا يَرَانِي الشَّتَاءُ حَيْثُ يَرَانِي

قال : خذها على بركة الله ، وَمَدَّ كَمَّهُ فَتَزَعْتُهَا¹ وَجِئْتُ وَأَبُو نَوَاسٍ جَالِسٌ ؛ فَقَالَ : مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذِهِ ؟ فَقُلْتُ : مِنْ حَيْثُ جَاءَتْكَ تِلْكَ .

[المعتصم يجيز محمد بن عمرو لأنّه جاء مع الحسين]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ الْخُفَّافِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ حَمَّادٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ قَالَ : دَخَلْتُ أَنَا وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو الرُّومِيَّ دَارَ الْمُعْتَصِمِ ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا كَالْحَأْ . قَالَ : فَتَوَهَّمْنَا أَنَّهُ أَرَادَ النِّكَاحَ فَعَجَزَ عَنْهُ . قَالَ : وَجَاءَ إِيْتَاخُ فَقَالَ : مُخَارِقٌ وَعُلُوبُهُ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ مِنْ أَشْبَاهِهِمَا بِالْبَابِ ؛ فَقَالَ : اعْزُبْ عَنِّي ، عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ ! . قَالَ : فَتَبَسَّمتُ إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ عَمْرٍو ؛ وَفَهُمُ الْمُعْتَصِمُ تَبَسَّمتُ فَقَالَ لِي : ثُمَّ تَبَسَّمتُ ؟ فَقُلْتُ : مِنْ شَيْءٍ حَضَرَنِي ؛ فَقَالَ : هَاتِهِ ؛ فَأَنْشَدْتُهُ² :

[من مجزوء الخفيف]

صوت

أَنْفِرْ عَنْ قَلْبِكَ الْحَزْنَ بِاقْتِرَابٍ مِنَ السَّكَنِ
وَتَمَتَّعْ بِكَرٍّ طَرٍّ فَكْ فِي وَجْهِهِ الْحَسَنِ
إِنْ فِيهِ شِفَاءٌ صَدَّكَ مِنْ لَاعِجِ الْحَزَنِ

قال : فَدَعَا بِالْفِي دِينَارَ : أَلْفٍ لِي وَأَلْفٍ لِمُحَمَّدَ ، فَقُلْتُ : الشَّعْرُ لِي ، فَمَا مَعْنَى الْأَلْفِ لِمُحَمَّدَ بْنِ عَمْرٍو ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ جَاءَنَا مَعَكَ . ثُمَّ أَذِنَ لِمُخَارِقٍ وَعُلُوبِهِ فَدَخَلَا ، فَأَمَرَهُمَا بِأَنْ يَغْنِيَا فِيهِ فَفَعَلَا ، فَمَا زَالَ يَعِيدُ هَذَا الشَّعْرَ ، وَلَقَدْ قَامَ لِيَبُولَ فَمَسَمَعْتُهُ يَرُدُّدُهُ .

الغناء في هذا الشعر اشترك فيه مخارق وعُلوّيه وهو من الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبَنْصَرِ .

[أحبُّ غلام أبي كامل المهند]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ مَرْوَانَ قَالَ : كَانَ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ عِنْدَ أَبِي كَامِلِ الْمُهَنْدِسِ وَأَنَا مَعَهُمْ حَاضِرٌ ، فَرَأَى خَادِمًا فَاسْتَحْسَنَهُ وَأَعْجَبَهُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : أَتَجِبُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ ؛ قَالَ : فَأَعْلِمْنِي ؛ قَالَ : هُوَ أَعْلَمُ بِحُبِّي لَهُ مِنِّي بِهِ . ثُمَّ قَالَ³ :

[من المقتضب]

1 ل : فندرعها .

2 شعره : 109 .

3 شعره 123 عن الأغاني .

عَالَمٌ بِحَبِيْبِهِ مُطْرَقٌ مِنَ النَّيْبِ
يُوسُفُ الْجَمَالِ وَفَر عَوْنٌ فِي تَعْدِيْبِهِ
لَا وَحَقُّ مَا أَنَا مِنْ عَطْفِهِ أَرْجِيْبِهِ
مَا الْحَيَاةُ نَافِعَةٌ لِي عَلَى تَأْبِيْبِهِ
النَّعِيْمُ يَشْغُلُهُ وَالْجَمَالُ يُطْغِيْبُهُ
فَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ لِلَّذِي الْأَقْيَبِ
تَائِهَةٌ تَرْهُّدُهُ فِي رَغْبَتِي فِيْهِ

قال محمد بن محمد : وغنى في هذا الشعر عمرو بن بانة وعريب وسليم وجماعة من المغنين .

[شعره في أمرى يتف لحيته]

حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال : كان للحسين بن الضحّاك صديق وكان يتعشق جارية مغنية ، فزاحمه فيها غلام كان في مرودته حسن الوجه ؛ فلما خرجت لحيته جعل يتنف ما يخرج منها ؛ ومالت القينة إليه لشبابه ؛ فشكا ذلك إلى الحسين بن الضحّاك وسأله أن يقول فيها شعراً فقال¹ :

خَلَّ الَّذِي عَنْكَ لَا تَسْطِيعُ تَدْفَعُهُ يَا مَنْ يُصَارِعُ مِنْ لَا شَكَّ يَصْرَعُهُ
جَاءَتْ طَرَائِقُ شَعْرٍ أَنْتَ نَاتِفُهَا فَكَيْفَ تَصْنَعُ لَوْ قَدْ جَاءَ أَجْمَعُهُ²
اللَّهُ أَكْبَرُ لَا أَنْفَكَ مَنْ عَجَبٍ أَنْتَ تَحْصُدُ مَا ذُو الْعَرْشِ يَزْرَعُهُ
تَبّاً لَسَعِيكَ بَلْ تَبّاً لَأُمِّكَ إِذْ تَرَعَى جِمَى خَالِقِ الْأَحْمَاءِ يَمْنَعُهُ

وقال فيه أيضاً³ :

تَكَلَّمْتُكَ أُمِّكَ يَا ابْنَ يُوسُفَ حَتَّامٌ وَيَحْكُ أَنْتَ تَنْتِفُ
لَوْ قَدْ أَتَى الصَّيْفُ الَّذِي فِيهِ رُؤُوسُ النَّاسِ تُكْشَفُ
فَكَشَفْتَ عَنْ خَدِّكَ لِي لَكَشَفْتَ عَنْ مِثْلِ الْمُقَوِّفِ⁴

1 شعره : 72 .

2 ناتفها في مجموع شعره : تنتفها .

3 شعره : 78 .

4 المقوف : الذي فيه خطوط بيض على الطول .

أَوْ مِثْلَ زَرْعٍ نَالَهُ الْـ سِرْقَانُ أَوْ نَكْبَاءُ حَرْجَفٌ¹
فَغَدَا عَلَيْهِ الزَّارِعُو نَ لِيَحْصُدُوهُ وَقَدْ تَقَصَّفَ
فَظَلَلَتْ تَأْسَفُ كَالْأَلَى أَسِفُوا وَلَمْ يُغْنِ التَّأْسَفُ

[صالح بن الرشيد يشتري غلاماً]

حدثني علي بن العباس قال حدثني عُمَيْرُ بنُ أَحْمَدَ بنِ نَصْرِ الكُوفِيِّ قال حدثني زيد بن محمد شيخنا قال : قلت لحسين بن الضحّاك وقد قَدِمَ إلينا الكوفة : يا أبا علي شَهَرْتَ نَفْسَكَ وفضحتها في خادم ، فألاً اشتريته ! فقال : فديتك ؛ إِنَّ الْحَبَّ لَجَاجٌ كُلُّهُ ، وَكَنتُ أَحَبُّ هَذَا الْخَادِمِ وَوَاقِفِي عَلَى أَنْ يَسْتَبِيحَ لِأَشْتَرِيهِ . فعارضني فيه صالح بن الرشيد فاخترسه مني ولم أقدر على الانتصاف منه ، وآثره الخادم واختاره ، وكِلَانَا يَجِبُهُ إِلَّا أَنَّ صَالِحاً يُنَاكَ وَلَا أَنَاكَ وَالْخَادِمُ فِي الْوَسْطِ بَلَا شُغْلٍ . فضحكت من قوله ، ثم سألتُهُ أَنْ يُنْشِدَنِي شَيْئاً مِنْ شِعْرِهِ ، فَأَنْشِدَنِي² :

إِنَّ مَنْ لَا أَرَى وَلَيْسَ يَرَانِي نُصَبَ عَيْنِي مُمَثَّلٌ بِالْأَمَانِي
بَأَبِي مِنْ ضَمِيرِهِ وَضَمِيرِي أَبْدَأُ بِالْمَغِيبِ يَنْتَجِيَانِ
نَحْنُ شَخْصَانِ إِنْ نَظَرْتَ وَرُوحَا نِ إِذَا مَا اخْتَبَرْتَ يَمْتَرِجَانِ
فَإِذَا مَا هَمَمْتُ بِالْأَمْرِ أَوْ هَمَّ بِشَيْءٍ بَدَأْتُهُ وَبَدَانِي
كَانَ وَفَقاً مَا كَانَ مِنْهُ وَمَنِي فَكَأَنِّي حَكَيْتُهُ وَحَكَانِي
خَطَرَاتُ الْجَفُونِ مِمَّا سَوَاءٌ وَسَوَاءٌ تَحَرُّكَ الْأَبْدَانِ

فسألتُهُ أَنْ يَحْدِثَنِي بِأَسْرٍ يَوْمٍ مَرَّ لَهُ مَعَهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ اجْتَمَعْنَا يَوْمًا فَغَنَى مَغْنً لَنَا بِشِعْرِ قَلْتُهُ فِيهِ فَاسْتَحْسَنَهُ كُلُّ مَنْ حَضَرَ ، ثُمَّ تَغَنَّى بغيره ؛ فَقَالَ لِي : عَارِضُهُ ؛ فَقُلْتُ : بِقُبْلَةٍ فَقَالَ : هِيَ لَكَ ، فَقَبَلْتُهُ قُبْلَةً وَقُلْتُ³ :

فَدَيْتُ مَنْ قَالَ لِي عَلَى خَفَرَةٍ وَغَضَّ مِنْ جَفْنِهِ عَلَى حَوَرَةٍ :
سَمِعَ بِي شَعْرُكَ الْمَلِيحُ فَمَا يَنْفَكُ شَادٍ بِهِ عَلَى وَتَرَةٍ
حَسْبُكَ بَعْضُ الَّذِي أَذْعَتَ وَلَا مَحْسَبَ لَصَبٍّ لَمْ يَقْضِ مِنْ وَطَرَةٍ

1 النكباء الحرجف : الریح الباردة .

2 شعره : 112 .

3 شعره : 63 من الأغاني .

وقلتُ يا مستعيرَ سالفَةِ الخِشِّ فِ وحسنِ الفتورِ من نَظَرِهِ
لا تُنكرَنَّ الحَينَ من طَرِبٍ عاودَ فيكَ الصُّبا على كِبَرِهِ

[ملاطفة غلام أبي عيسى]

حدَّثني الصُّوليّ وعليّ بن العباسَ قالا حدَّثنا المغيرة بن محمَّد المهلبيّ قال : كان حسين بن الضَّحَّاك يتعشَّقُ خادماً لأبي عيسى أو لصالح بن الرشيد أخيه ؛ فاجتمعا يوماً عند أخي مولى الخادم ، فجعل حسينٌ يشكو إليه ما به فلا يسمع به¹ ويكذِّبه ؛ ثم سَكَنَ نِفارُهُ وضحك إليه وتحدَّثا ساعة . فأنشدنا حسين قولَه فيه² :

سائلٌ بطيفِكَ عن ليلي وعن سَهري
لم يَخلُ قلبي من ذِكرَاكَ إذ نظرتُ
سَقياً ليومٍ سروري إذ تُنازعني
وفضلُ كأسِكَ يأتيني فأشربه
وكيف أُشملُه لثَمي والزَّمره
فليتَ مدَّةَ يومي إذ مضى سلفاً
حتى إذا ما انطوتُ عنَّا بشاشتُهُ
وعن تَتابعِ أنفاسي وعن فِكري
عيني إليك على صَحوي ولا سَكْري
صفوَ المدامَةِ بين الأنسِ والحَفْرِ
جَهراً وتشربُ كأسِي غيرَ مسترٍ
نحري وترفعه كَفِّي إلى بصري
كانت ومدَّةَ أيامي على قَدْرِ
صبرنا جميعاً كذا جارِئٍ في الحَفْرِ

[صالح بن الرشيد وغلام أخيه]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمَّد بن محمَّد بن مروان قال حدَّثني حسين بن الضَّحَّاك قال : كان صالح بن الرشيد يتعشَّقُ غلاماً يسمَّى يُسرّاً خادماً أخيه أبي عيسى ، فكان يُراوده عن نفسه فيَعِدُّه ولا يَفي له . فأرسله أبو عيسى ذاتَ يومٍ إلى صالح أخيه في السَّحَرِ يقول له : يا أخي إنِّي قد اشتَهِيتُ أن أَصطَبِحَ اليوم ، فبِحياتي لَمَّا ساعدتَني وصرتَ إليّ لنصطَبِحَ اليوم جميعاً . فسار يُسرٌّ إلى صالح أخيه في السَّحَرِ وهو مُنتَشٍ قد شرب في السَّحَرِ ، فأبلغه الرسالة ؛ فقال : نعم وكرامة ، اجلس أولاً فجلس ؛ فقال : يا غلام أحضِرْني عشرة آلاف درهم فأحضرها ؛ فقال له : يا يُسر دَعْنِي من مواعيدِكَ ومَطلُك ، هذه عشرة آلاف درهم فخذها واقض حاجتي ، وإلا فليس هاهنا إلا الغَضَبُ ؛ فقال له : يا سيِّدي ؛ إنِّي أقضي الحاجةَ ولا آخذ المال . ثم فعل ما أراد وطاوَّعه ، فقضى حاجتَه ، وأمر صالحٌ بحمل العشرة الآلاف الدرهم معه . قال الحسين :

1 لعلَّها : له .

2 شعره : 62-63 عن الأغاني .

ثم خرج إليّ صالح من خلوته فقال : يا حسين ، قد رأيت ما كنّا فيه ، فإن حضرك شيء ؟
فقل ؛ فقلت¹ :
[من المخرج]

صوت

أَيَا مَنْ طَرَفَهُ سِخْرُ	وَمَنْ رَيْقَتَهُ خَمْرُ
تَجَاسَرْتُ فَكَاشَفْتُ	لَكَ لَمَّا غَلِبَ الصَّبْرُ
وَمَا أَحْسَنَ فِي مِثَالِ	لَكَ أَنْ يَنْهَيْتَكَ السُّتْرُ
وَأِنْ لَأَمْنِي النَّاسُ	فَقِي وَجْهَكَ لِي عَذْرُ
فَدَعْنِي مِنْ مَوَاعِيدِ	لَكَ إِذْ حِينَكَ الدَّهْرُ
فَلَا وَاللَّهِ لَا تَبْرُ	حُ أَوْ يَنْقُضِي الْأَمْرُ
فَأَمَّا الْغَضَبُ وَالذَّمُّ	وَأَمَّا الْبَذْلُ وَالشُّكْرُ
وَلَوْ شِئْتَ تَيْسَّرَتْ	كَأَمْ سُمِّيتَ يَا يُسْرُ
وَكُنْ كَأَسْمِكَ لَا تَمُنْ	عُكَ النَّخْوَةُ وَالْكِبْرُ
فَلَا فُزْتُ بِحُظِّي مِنْ	لَكَ إِنْ ذَاعَ لَهُ ذِكْرُ

قال الحسين : فضحك ثم قال : قد لعمري تيسر يسر كما ذكرت . فقلت : نعم ومن لا يتيسر بعد أخذه الدية ؟ لو أردتني أيضاً بهذا لتيسرت . فضحك ثم قال : نعطيك يا حسين الدية لحضورك ومساعدتك ، ولا نريدك لما أردنا له يسراً ، فبئست المطية أنت ؛ وأمر لي بها . ثم أمر عريب بعد ذلك فغنت في بعض هذا الشعر .

[شعره في غلام عبد الله بن العباس الربيعي]

حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال حدثني حسين بن الضحّاك قال : كنت عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع وهو مصطبّحٌ وخادمٌ له يسقيه ؛ فقال لي : يا أبا علي ، قد استحسنت سقي هذا الغلام ، فإن حضرك شيء ؟ في قصتنا هذه فقل ؛ فقلت² :

[من المنسرح]

أَحْيَتْ صُبُوحِي فُكَاهَةُ اللَّاهِي وَطَابَ يَوْمِي لِقَرَبِ أَشْبَاهِي

1 شعره : 54-55 عن الأغاني وتنسب هذه الأبيات مع بعض اختلاف وزيادات إلى أبي نواس ، ديوانه (الغزالي) : 336 .

2 شعره : 122-123 وسترّد هذه الأبيات فيما بعد من الأغاني في قصّة مع الواصل ثم في ترجمة عبد الله بن العباس الربيعي .

فَاسْتَرَّ اللَّهُوَ مِنْ مَكَامِنِهِ مِنْ قَبْلِ يَوْمٍ مَنَعَصٍ نَاهِي
بَابِنَةِ كَرَمٍ مِنْ كَفِّ مُنْتَطِقٍ مُؤْتَزِرٍ بِالْمُجُونِ تَيَّاهٍ¹
يَسْقِيكَ مِنْ طَرَفِهِ وَمِنْ يَدِهِ سَقَى لَطِيفٍ مَجْرَبٍ دَاهِي
كَأْساً فَكَأْساً كَانَ شَارِبَهَا حِيرَانُ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالسَاهِي

قال : فاستحسنه عبد الله ، وغنى فيه لحناً مليحاً ، وشربنا عليه بقيّة يومنا .

[سكر فجمش يسراً فهذه بخنجره فقال شعراً]

أخبرني عليّ بن العباس قال حدثني سودة بن الفيض المخزومي قال حدثني أبي قال : خرج حسين بن الضحّاك إلى القفص² متنزّهاً ومعه جماعة من إخوانه ظرفاء . وبلغ يسراً الخادم خروجهُ ، فشدّ في وسطه خنجرًا وخرج إليه فجاءه وهو على شرابه على غفلة ؛ فسُرّ به حسين وتلقاه وأقام معه إلى آخر النهار يشربان . فلما سكرًا جمّشهُ حسين ؛ فأخرج خنجره عليه وعربّد ؛ فأمسك حسين وعاد إلى شرابه ، وقال في ذلك³ :

جَمَشْتُ يُسْرًا عَلَى تَسْكُرِهِ وَقَدْ دَهَانِي بِحُسْنِ مَنْظَرِهِ
فَهَمَّ بِالْفَتْكِ بِي فَنَاشَدَهُ فِي كَرِيمٍ مِنْ خَيْرِ مَعْشَرِهِ
يَا مَنْ رَأَى مِثْلَ شَادِنٍ خِنِثٍ يَصُولُ فِي خِذْرِهِ بِزُورِهِ
يَسْحَبُ ذَيْلَ الْقَمِيصِ صَعْتَرَهُ وَوَارِدَاتٍ مِنْ هُدْبٍ مُتَزَرِهِ⁴
وَلَا يُعَاطِي نَدِيمَهُ قَدْحًا إِلَّا بِإِبْهَامِهِ وَخِنْصَرِهِ
أَخَافُ مِنْ كَيْدِهِ بِوَادَرِهِ أَدَانِي اللَّهُ مِنْ تَكْبَرِهِ
قَدْ قَلْتُ لِلشَّرْبِ إِذْ بَدَأَ فُضْلًا فِي رَيْطَتَيْهِ وَفِي مُمَصَّرِهِ⁵
وَيَلِي عَلَى شَادِنٍ تَوَعَّدَنِي بَسَلٍ سِكِينِهِ وَخَنْجَرِهِ
أَمَّا كِفَاهُ مَا حَزَّ فِي كَبْدِي بِسِحْرِ أَجْفَانِهِ وَمَخْجَرِهِ
إِذَا نَسِيمُ الرِّيحِ قَابَلَنَا بِالطُّيْبِ مِنْ مَسْكَه وَعَنْبَرِهِ
هَزَّ قَوَامًا كَأَنَّهُ غُصْنٌ وَارْتَجَّ مَا انْخَطَّ مِنْ مُخَصَّرِهِ

1 بالمجون في ل : بالسكون .

2 القفص : إحدى قرى بغداد .

3 شعره : 63-64 عن الأغاني .

4 صعتره : زينتته . واردة : متديّيات .

5 الریطة : الملاعة . المصمر : مصبوغ بحمرة خفيفة .

[شعر له في يسر مرة أخرى]

أخبرني علي بن العباس قال حدثني سودة بن الفيض قال حدثني أبي قال : حضرتُ
حسين بن الضحّاك يوماً وقد جاءه يسرٌ فجلس عنده وأخذنا نتحدّث ملياً ثم غارله حسين ،
فقال له يسر : إياك والتعرّض لي ، واربح نفسك ؛ فقال حسين¹ : [من المديد]

صوت

أيُّها النَّفَّاثُ في العُقَدِ	أنا مَطْويٌّ على الكَمَدِ
إنما زَحَرَفَتَ لي خُدَعاً	قدَحَتَ في الرُّوحِ والجَسَدِ
هاتِ يا خُدَّاعُ واحدةً	من كثيرٍ قَلَّتْه وَقَدِي ²
ليت شِعْري بعد حَلْفِكَ لي	بوفاء العهد بعد غدِ
ما الذي بالله صَبْرُهُ	بعد قربٍ في مَدَى الأَبَدِ
ما لأنسٍ كان مُبْتَدِلاً	منك لي بالأَمْسِ لم يَعُدِ
إيه قُلْ لي غيرَ مُحْتَسِمٍ	هل دَهاني فيكَ من أحدِ
حَبْذا والكأسُ دائِرةٌ	لَهُوناً والصَّيْدُ بالطَّرْدِ
وحديثٌ في القلوب له	أَخَذَ يَصْدَعُنَ في الكَبَدِ ³
يومَ تُعْطِينِي وتأخذها	دونَ نَدْماني يداً بيدِ
فإذا ألويت هِجْني	تَلَعَّ من ظِيلةِ البلدِ
وإذا أصغيتُ ذِكْرَني	نَشَرَ كافورٌ على بَرَدِ
ذاك يومٌ كان حاسدُنا	فيه معذوراً على الحَسَدِ

[المعتصم يسكر على شعره]

حدثني الصُّوليُّ قال حدثنا يزيد بن محمَّد المهلبيُّ قال حدثنا عمرو بن بانه قال : خرجنا
مع المعتصم إلى الشام لما غزا ؛ فنزلنا في طريقنا بديرٍ مُران⁴ ، وهو دير على تَلْعَةٍ مُشْرِفةٍ عاليةٍ
تحتها مروجٌ ومياهٌ حسنة ، فنزل فيه المعتصم فأكل ونَشِطَ للشرب ودعا بنا ؛ فلمّا شربنا أقداحاً
قال لحسين بن الضحّاك : أين هذا المكان من ظهر بغداد ؟ فقال : لا أين يا أمير المؤمنين ؛ والله

1 شعره : 48-49 .

2 قدي : حسي .

3 أخذ : جمع أخذه وهي الرقية .

4 دير مران : قرب دمشق .

لبعضُ الفياض والآجام هناك أحسنُ من هنا ؛ قال : صدقتَ والله ، وعلى ذلك فقلَّ أبياتاً يُغنٍ فيها عمرو ؛ فقال : أمّا أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية بخير فلا أحسب لساني ينطق به ، ولكنني أقول متشوقاً إلى بغداد ، فضحك وقال قلَّ ما شئت¹ : [من البسيط]

صوت

يا دَيْرَ مَدْيَانَ لا عُرَيْتَ من سَكَنِ هَيَّجَتْ لي سَقَمًا يا دَيْرَ مَدْيَانَ²
 هل عند قَسْلِكَ من علم فيخبرنا أم كيف يُسَعِفُ وجهُ الصبر من بانا
 حُتَّ المَدَامَ فَإِنَّ الكَأْسَ مُتْرَعَةً مِمَّا يَهِيْجُ دَوَاعِي الشَّوْقِ أحياناً
 سَقِيًا وَرَعِيًا لَكَرْخَايَا وسَاكِئِهَا وللجُنَيْتَةِ بالرَّوْحَاءِ مَنْ كانا³
 فاستحسنها المعتصم ، وأمرني ومخارِقاً فغَنِينَا فيها وشَرِبَ على ذلك حتى سَكِرَ ، وأمر
 للجماعة بجوائز .

لحن عمرو بن بانه في هذه الأبيات رَمَل ، ولحن مُخَارِقَ هَزَج ، ويقال : إنه لغيره .
 [مع خادم أبي عيسى]

أخبرني الصُّوْلِيُّ قال حدثنا يزيد بن محمد قال : كان حسين بن الضَّحَّاك يميل إلى خادم
 لأبي عيسى بن الرشيد ؛ فعَبِثَ به يوماً على سكر ؛ فأخذ قَيْنَةً فضرب بها رأسه فشَجَّهَ شَجَّةً
 مُنْكَرَةً ؛ وشاع خبره وتوجَّعَ له إخوانه وغُولجَ منها مدَّةٌ ، فجفا الخادمَ واطَّرحه وأبغضه ولم
 يَعْرِضَ له بعدها . فرآه بعد ذلك في مجلس مولاه فعَبِثَ به الخادمُ وغازله . فلَمَّا أَكْثَرَ ذلك
 قال له الحسين⁴ : [من الطويل]

صوت

تَعَزَّ بِيَأْسٍ عن هَوَايَ فَإِنِّي إِذَا انصرفتْ نفسي فهيهات عن رَدِّي
 إِذَا خُتُّمُ بِالْغَيْبِ وَدِّيَ فما لكم تُدَلُّونَ إِذْلالَ الْمُقِيمِ على العهدِ
 ولي منك بُدٌّ فَاجْتَنِبْنِي مُدَمِّمًا وَإِنْ خَلَّتْ أَنِّي لَيْسَ لي منك من بُدٍّ
 الغناء في هذه الأبيات لعمرو بن بانه ، وله فيه لحنان رملٌ وخفيف رمل .

- 1 شعره : 185-186 مع أبيات أخرى لم ترد هنا .
- 2 مديان في ل : مران . سكن في ل : سقم . وإن قرأت «سقم» كان الخطاب منصرفاً إلى دير مران ، وإلا فإن الخطاب تشوق إلى دير مديان قرب بغداد على نهر كرخايا الذي كان يصب في دجلة قبل جفافه .
- 3 الروحاء : من قرى بغداد .
- 4 شعره : 45-46 وهي قصيدة طويلة (عن الموشى) اجترأ منها أبو الفرج هذه الأبيات الثلاثة .

[هنا الوثائق بالخلافة فأجازه]

حدّثني أحمد بن العباس العسكري قال حدّثني عبد الله بن المؤمل العسكري قال : لما وليّ الوثائق الخلافة جلس للناس ودخل إليه المهثّون والشّعراء فمدحوه وهنّأوه ؛ ثم استأذن حسين بن الضحّاك بعدهم في الإنشاد ، وكان¹ من الجلساء فترفّع عن الإنشاد مع الشعراء ، فأذن له ؛ فأنشده قوله² :

أَكَاتِمُ وَجَدِي فَمَا يَنْكَبُ بِي
وَأُنِي عَلَى حَسَنِ ظَنِّي بِهِ
وَلِي عِنْدَ لَحْظَتِهِ رَوْعَةٌ
وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنِّي لَهُ

وفي هذا رَمَلٌ لعبد الله بن العباس بن الربيع .

وَأُنِي لَمُغْضٍ عَلَى لَوْعَةٍ
عَشِيَّةٍ وَدَعْتُ عَنْ مَقْلَةٍ
فَمَا كَانَ عِنْدَ النَّوَى مُسْعِدٌ
سِذَكَرَ مَنْ بَانَ أُوطَانُهُ

وقال فيها يصف السفينة :

إِلَى خَازِنِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ
رَحَلْنَا غَرَابِيبَ زَفَافَةٍ
إِذَا مَا قَصَدْنَا لِقَا طَوْلِهَا
سَكَنَّا إِلَى خَيْرِ مَسْكُونَةٍ

سَرَّاجِ النَّهَارِ وَبَدْرِ الظُّلَمِ
بَدِجَلَةٍ فِي مَوْجِهَا الْمُتَلَطِّمِ⁵
وَدُهِمُ قَرَاقِيرِهَا تَصْطَلِمُ⁶
تَيْمَمُهَا رَاغِبٌ مِنْ أُمَمٍ⁷

1 ل : وكأته .

2 شعره : 96-98 وانظر معجم الأدباء (عباس) 3 : 1068-1069 .

3 السدم : الندم والحزن .

4 شعره : «سوى الدمع يغسل طرفاً قد كلم» وكذا في معجم الأدباء .

5 الغرابيب : نوع من القوارب السوداء . زفافة : مسرعة .

6 القراقير : السفن الطويلة .

7 من أمم : من قرب . وفي معجم الأدباء «يتممها راغب من أمم» .

مباركة شاد بنيانها بخير المواطن خير الأئم
 كأن بها نشر كافورة لبرد نداها وطيب النسَم
 كظهر الأديم إذا ما السحا ب صاب على متنها وانسجم
 مبرة من وحول الشتاء إذا ما طمى وحله وارنكم
 فما إن يزال بها راجل يمر الهوينى ولا يلتطم
 ويمشي على رسله آمناً سليم الشراك نقي القدم
 وللنون والضب في بطنها مراتع مسكونة والنعم¹
 غدوت على الوحش مغترّة رواتع في نورها المنتظم
 ورحت عليها وأسرأها تحوم بأكنافها تبسم

ثم قال يمدح الواثق :

يضيق الفضاء به إن غدا بطودي أعاربه والعجم
 ترى النصر يقدم رايته إذا ما خفقن أمام العلم
 وفي الله دوح أعداءه وجرد فيهم سيوف النقم
 وفي الله يكظم من غيظه وفي الله يصفح عمن جرم²
 رأى شيم الجود محمودّة وما شيم الجود إلا قسم
 فراح على «نعم» واغتدى كأن ليس يحسن إلا نعم

قال : فأمر له الواثق بثلاثين ألف درهم ، واتصلت أيامه بعد ذلك ، ولم يزل من ندمائه .

[أرتج عليه عند الواثق ثم قال]

حدثني أحمد بن العباس قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال : قال الواثق لحسين بن الضحّاك : قل الساعة أبياتاً ملاحاً حتى أهب لك شيئاً مليحاً ؛ فقال : في أي معنى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أمدد طرفك وقل فيما شئت مما ترى بين يديك وصفه . فالتفت فإذا ببساط زهره قد تفتحت أنواره وأشرق في نور الصباح ؛ فأرتج علي ساعة حتى خجلت وضيق ذرعاً . فقال لي الواثق : ما لك ويحك ! ألسنت ترى نور صباح ، ونور

1 النون والضب : كناية عن حاصلات البحر والبر .

2 معجم الأدباء : عمن ظلم .

أَقاح ! فانفتح القولُ فقلت¹ :

[من المتقارب]

وَمُبْتَكِرَ الْغَيْثِ قَدْ أَمْطَرَا	أَلَسْتَ تَرَى الصَّبْحَ قَدْ أَسْفَرَا
تُضَاحِكُ بِالْأَحْمَرِ الْأَصْفَرَا	وَأَسْفَرْتَ الْأَرْضُ عَنْ حُلَّة
وَحَنَكٌ فِي الشَّرْبِ كِي تَسْكُرَا	وَوَافَاكَ نَيْسَانُ فِي وَرْدِه
تُطَارِدُ بِالْأَصْغَرِ الْأَكْبَرَا	وَتُعْمِلُ كَأَسِينِ فِي فِتْيَةِ
تُجَازِبُ أَرْدَافَهُ الْمُنْزَرَا	يَحُثُّ كَوْوَسَهُمْ مُخْطَفٌ
أَدَارُ غَدَائِرَهُ وَفَرَا ²	تَرْجُلُ بِالْبَانِ حَتَّى إِذَا
رَ وَالْأَبْنُوسَةَ وَالْعَبْهَرَا	وَفَضَّضَ فِي الْجُلُنَارِ الْبَهَا
مَقَارِبُضُ أَطْرَافِهِ شَذَرَا	فَلَمَّا تَمَازَجَ مَا شَذَرْتُ
لِيَفْعَلَ فِي ذَاتِهِ الْمُنْكَرَا	فَكُلُّ يُنَافِسُ فِي بَرِّهِ

قال : فضحكك الواصل وقال : سنستعمل كل ما قلت يا حسين إلا الفسق الذي ذكرته فلا ولا كرامة . ثم أمر بإحضار الطعام فأكل وأكلوا معه . ثم قال : قوموا بنا إلى حانة الشطّ فقاموا إليها ، فشرّب وطرب ، وما ترك يومئذ أحداً من الجلساء والمغنين والحشم إلا أمر له بصلة . وكانت من الأيام التي سارت أخبارها وذكرته في الآفاق .

[شعره في حانة الشط]

قال حسين : فلما كان من الغد غدوتُ إليه ؛ فقال : أنشدني يا حسين شيئاً إن كنت قلتَه في يومنا الماضي ، فقد كان حسناً ؛ فأنشدته³ :

[من البسيط]

صوت

عُودِي بِيَوْمِ سرورٍ كالذي كانا	يا حانة الشطّ قد أكرمتْ مَثْوَانَا
طِيبَ الْبَطَالَةِ إِسْرَاراً وإعلانا	لا تُفْقِدِينَا دُعَابَاتِ الإمام ولا
إِذَا يَطْرُبُنَا الطَّنْبُورُ أَحيانا	ولا تَخَالُعُنَا فِي غير فاحشة
شَجَواً فَأَهْدِي لَنَا رَوْحاً وَرَيْحَاناً ⁴	وهاج زَمَرُ زُنَامٍ بَيْنَ ذَاكَ لَنَا

1 شعره : 65-66 .

2 رجل : تمشط . وفر : أرسل شعره على أذنيه .

3 شعره : 167 .

4 زنام : اسم زمار حاذق خدم كلاً من الرشيد والمعتصم والواصل .

وسَلَسَلَ الرَّطْلَ عَمَرُو ثُمَّ عَمَّ بِهِ السُّقْيَا فَأَلْحَقَ أَوْلَانَا بِأَخْرَانَا
 سَقْيَا لَشَكْلِكَ مِنْ شَكْلِ خُصِصَتْ بِهِ دُونَ الدُّسَاكِرِ مِنْ لَذَاتِ دُنْيَانَا
 حَقَّتْ رِيَاضُكَ جَنَاتٌ مُجَاوِرَةٌ فِي كُلِّ مُخْتَرَقٍ نَهْرًا وَبِسْتَانَا
 لَا زَلْتَ أَهْلَةَ الْأَوْطَانِ عَامِرَةً بِأَكْرَمِ النَّاسِ أَغْرَاقًا وَأَغْصَانَا
 قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ الْوَائِقُ بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ مُجَدَّدَةٍ ، وَاسْتَحْسَنَ الصَّوْتَ ، وَأَمَرَ فَعْنِي فِي عِدَّةِ آيَاتٍ
 مِنْهَا . غَنَّتْ فَرِيدَةً فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَلَحْنُهَا هَزَجٌ مُطْلَقٌ .

[مخاصمته أبا شهاب]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قَدَامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ : اجْتَمَعْتُ أَنَا وَحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ
 وَأَبُو شَهَابِ الشَّاعِرِ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

لَقَدْ كُنْتُ رِيحَانَةً فِي النَّدِيِّ وَتَفَاحَةً فِي يَدِ الْكَاعِبِ
 وَعَمَرُو بْنُ بَانَةَ يُغْنِيهَا . فَتَذَاكُرُنَا الدُّوَابُّ ، وَاتَّصَلَ الْحَدِيثُ إِلَى أَنَّ تَلَا حُسَيْنُ وَأَبُو
 شَهَابٍ فِي دَابَّتَيْهِمَا وَتَرَاهُمَا عَلَى الْمَسَابِقَةِ بِهِمَا ، فَتَسَابَقَا فَسَبَقَهُ أَبُو شَهَابٍ . فَقَالَ حُسَيْنُ فِي
 ذَلِكَ¹ :

كُلُّوْا وَاشْرَبُوا هَنَّتُمْ وَتَمَتَّعُوا وَعِيشُوا وَذُمُّوا الْكَوْدَنِينَ جَمِيعًا
 فَاقْسِمَ مَا كَانَ الَّذِي نَالَ مِنْهُمَا مَدَى السَّبْقِ إِذْ جَدَّ الْجِرَاءُ سَرِيعًا
 وَهِيَ قَصِيدَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي شِعْرِهِ . فَقَالَ أَبُو شَهَابٍ يَجِيبُهُ :
 أَيُّ شَاعِرِ الْخُصْيَانِ حَاوَلَتْ خُطَّةً سُبِقَتْ إِلَيْهَا وَانْكَفَأَتْ سَرِيعًا
 تُحَاوِلُ سَبْقِي بِالْقَرِيضِ سَفَاهَةً لَقَدْ رَمَتْ ، جَهْلًا ، مِنْ حِمَايَ مَنِيْعَا
 وَهِيَ أَيْضًا قَصِيدَةٌ . فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ التَّبَاعُدِ بَيْنَهُمَا . وَكُنَّا إِذَا أَرَدْنَا الْعَبَثَ بِحُسَيْنٍ نَقُولُ
 لَهُ : أَيُّ شَاعِرِ الْخُصْيَانِ ، فَيُجَنِّ وَيَشْتُمُنَا .
 [يُفْسِدُ بَيْنَ أَحَدِ جُنْدِ الشَّامِ وَعَشِيقَتِهِ]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قَدَامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ : كَانَ
 يَأْلَفُنِي إِنْسَانٌ مِنْ جُنْدِ الشَّامِ عَجِيبِ الْخِلْقَةِ وَالزِّيِّ وَالشَّكْلِ غَلِيظٌ جِلْفٌ جَافٍ ، فَكُنْتُ
 أُحْتَمِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ لَهُ وَيَكُونُ حَظِّي التَّعَجُّبَ بِهِ ، وَكَانَ يَأْتِينِي بِكُتُبٍ مِنْ عَشِيقَةٍ لَهُ مَا رَأَيْتُ
 كُتْبًا أَحْلَى مِنْهَا وَلَا أَظْرَفَ وَلَا أَبْلَغَ وَلَا أَشْكَلَ مِنْ مَعَانِيهَا ، وَيَسْأَلُنِي أَنْ أُجِيبَ عَنْهَا ؛

فأجهد نفسي في الجوابات وأصرف عنايتي إليها على علمي بأنّ الشاميّ بجهله لا يميّز بين الخطأ والصواب ، ولا يفرّق بين الابتداء والجواب . فلما طال ذلك عليّ حسدته وتنبّهت إلى إفساد حاله عندها . فسألته عن اسمها فقال : «بصّص» . فكتب إليها عنه في جواب كتابٍ منها جاءني به¹ :

أَرْقَصْنِي حُبُّكَ يَا بَصْبُصُ وَالْحُبُّ يَا سَيِّدَتِي يُرْقِصُ
أَرْمَصْتِ أَجْفَانِي بِطُولِ الْبُكَاءِ فَمَا لِأَجْفَانِكَ لَا تَرْمَصُ²
وَأَبَايَ وَجْهَكَ ذَاكَ الَّذِي كَانَتْهُ مِنْ حَسَنِهِ عُصْعُصُ

فجاءني بعد ذلك فقال لي : يا أبا عليّ ، جعلني الله فداك ، ما كان ذنبي إليك وما أردت بما صنعت بي ؟ فقلت له : وما ذاك عافاك الله ؟ فقال : ما هو إلّا أن وصل ذلك الكتاب إليها حتى بعثت إليّ : إنّي مشتاقة إليك ، والكتاب لا ينوب عن الرؤية ، فتعال إلى الروشن³ الذي بالقرب من بابنا فقِفْ بحِباله حتى أراك ؛ فتزيّنت بأحسن ما قدّرت عليه وصرت إلى الموضع . فبينما أنا واقفٌ أنتظر مكّلاً أو مشيراً إليّ إذا شيء قد صبّ عليّ فملأني من قرني إلى قدمي وأفسد ثيابي وسرّجتي وصيرني وجميع ما عليّ ودأبتي في نهاية السّواد والنّتن والقذر ، وإذا به ماء قد خلط بيول وسواد سرجين⁴ ، فانصرفت بخزي . وكان ما مرّ بي من الصبيان وسائر من مررت به من الضحك والطّنز⁵ والصّياح بي أغلظّ ممّا مرّ بي ؛ ولحقني من أهلي ومن في منزلي شرٌّ من ذلك وأوجع . وأعظم من ذلك أنّ رُسُلها انقطعت عني جملة . قال : فجعلتُ أعتذر إليه وأقول له : إنّ الآفة أنّها لم تفهم معنى الشعر لجودته وفصاحته ، وأنا أحمد الله على ما ناله وأسِرُّ الشّماتة به .

[يفضّل الذهاب إلى ابن بسخر على الحسن بن رجاء]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدّثني ميمون بن هارون عن حسين بن الضحّاك قال : كتب إليّ الحسن بن رجاء في يوم شكّ وقد أمر الوائق بالإفطار ، فقال :

هَزَزْتُكَ لِلصَّبُوحِ وَقَدْ نَهَانِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الصَّيَامِ

1 شعره : 69 .

2 أرمص العين : جعل فيها قذى أبيض .

3 الروشن : النافذة .

4 السرجين : الزبل .

5 الطّنز : السخرية .

وعندي من قيان المصر عَشْرٌ تَطْيِبُ بهنَّ عاتقَهُ المدام
ومن أمثالهنَّ إذا انتشينا ترانا نجتني ثمرَ الغرام
فكنَّ أنتَ الجوابَ فليس شيءٌ أحبَّ إليَّ من حذفِ الكلام

قال : فوردت عليَّ رقعته وقد سبقه إليَّ محمد بن الحارث بن بُسْحَنر ووجهه إليَّ بـغلام
نظيف الوجه كان يَحْظَاهُ ، ومعه ثلاثة غلّمة أقران حسان الوجوه ومعهم رقعة قد كتبها إليَّ
كما تُكْتَبُ المناشير ، وختَمها في أسفلها وكتب فيها يقول¹ :

سِرْ على اسم الله يا أشد كلَّ من غصن لُجَيْنِ
في ثلاثٍ من بني الرو م إلى دار حسين
فاشْخِصِ الكهلَ إلى مو لأك يا قُرّة عيني
أره العُنفَ إذا استعـ صى وطالبه بدّين
ودع اللفظَ وخاطيـ ه بغمز الحاجبين
واخذِرِ الرّجعة من وجـ هك في خُفّي حُنين

قال : فمضيت معهم ، وكتبْتُ إلى الحسن بن رجاء جواب رقعته² :

دعوتَ إلى محاكاة الصّيام وإعمالِ المَلاهي والمدام
ولو سبق الرسولُ لكان سعيي إليك ينوب عن طول الكلام
وما شوقي إليك بدون شوقي إلى ثمرِ التّصابي والغرام
ولكن حلَّ في نفر عَسُوفٍ بمنشورٍ محلَّ المستهام
حسين ، فاستباحَ له حريماً بطرفٍ باعثٍ سبب الحِمام
وأظهر نخوةً وسطاً وأبدى فظاظته بتركٍ للسلام
وأزعجني بالأفاظ غِلاظٍ وقد أعطيته طَرْفي زمامي
ولو خالفتُه لم يَخْشَ قتلي وقنّعي سريعاً بالحُسام

[لاعب الواثق بالنّرد وغازل خاقان خادمه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدّثني أبي
قال : كان الواثق يلاعب حسين بن الضّحّاك بالنّرد وخاقانُ غلامُ الواثق واقفٌ على رأسه ،

1 انظر شعره : 102-103 .

2 شعره : 103 .

وكان الواثق يتحفظه ، فجعل يلعبُ وينظر إليه . ثم قال للحسين بن الضحّاك : إن قلت الساعة شعراً يُشبه ما في نفسي وهبتُ لك ما تفرّح به . فقال الحسين¹ : [من الطويل]

صوت

أحُبُّكَ حَبّاً شابه بنصيحةً أبُّ لك مأمونٌ عليك شفيقٌ
وأقسم ما بيني وبينك قُرْبَةً ولكن قلبي بالحسان علوقٌ

فضحك الواثق وقال : أصبت ما في نفسي وأحسنْتَ . وصنع الواثق فيه لحناً ، وأمر الحسين باللفي دينار . لحن الواثق في هذين البيتين من الثقيل الأول بالوسطى .
[فضل نفسه على أبي نواس]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن خلّاد قال : أنشدني حسين بن الضحّاك لنفسه² : [من البسيط]

بُدِّلَتْ من نفحات الورد بالآء ومن صُبوَحك دَرَّ الإبل والشاء³
حتى أتى على آخرها ، وقال لي : ما قال أحد من المُحدثين مثلاًها . فقلت : أنت تحوم حول أبي نواس في قوله : [من البسيط]

دَعْ عنك لومي فإنّ اللوم إغراءً وداوِني بالتّي كانت هي الداء⁴
وهي أشعر من قصيدتك . فغضِب وقال : ألي تقول هذا ! عليّ وعليّ إن لم أكن نِكتُ أبا نواس ! فقلت له : دَع ذا عنك ، فإنّه كلام في الشعر لا قَدَح في نسب ، لو نِكتُ أبا نواس وأمه وأباه لم تكن أشعر منه . وأجِب أن تقول لي : هل لك في قصيدتك بيتٌ نادر غير قولك : [من البسيط]

فُضِّتْ خَوَاتِمُها في نعت واصفها عن مثل رَقَاقَةٍ في عين مرّهاء
وهذه قصيدة أبي نواس يقول فيها : [من البسيط]

دارتْ على فِتْنَةٍ ذَلَّ الزمانُ لهم فما أصابهمُ إلّا بما شاءوا

1 شعره : 83 .

2 انظر القصيدة في شعره : 19-23 وفيه تخريج لها .

3 الآء : نبات .

4 القصيدة في ديوانه .

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَاءُ
فَأَرْسِلَتْ مِنْ فَمِ الْإِبْرِيقِ صَافِيَةً كَأَنَّمَا أَخَذَهَا بِالْعَقْلِ إِغْفَاءُ
والله ما قدرت على هذا ولا تقدر عليه ؛ فقام وهو مغضب كالمقِرِّ بقولي .

[ابن مناذر يحكم له على أبي نواس]

حدَّثني الحسن قال حدَّثنا ابن مَهْرُويه قال حدَّثني إبراهيم بن المدبر قال حدَّثني أحمد بن
المعتصم قال : حجَّ أبو نواس وحسين بن الضَّحَّاك فجمعهما الموسم ، فتناشدا قصيدتيهما :
قول أبي نواس :

دَعُ عَنْكَ لُومِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ وداوِني بالتي كانت هي الدَّاءُ
وقصيدة حسين :

بُذِلَتْ مِنْ نَفَاحَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ

فتنازعا أيهما أشعر في قصيدته ؛ فقال أبو نواس : هذا ابن مُناذِر حاضِرُ الموسم وهو
بيني وبينك . فأنشده قصيدته حتى فرغ منها ؛ فقال ابن مناذر : ما أحسب أنَّ أحداً
يجيء بمثل هذه وهمَّ بتفضيله ؛ فقال له الحسين : لا تَعْجَلْ حتى تسمع ؛ فقال : هات ؛
فأنشده قوله :

بُذِلَتْ مِنْ نَفَاحَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ وَمِنْ صُبُوحِكَ دَرُّ الْإِبِلِ وَالشَّاءِ
حتى انتهى إلى قوله :

فُضِّتْ خَوَاتِمُهَا فِي نَعْتٍ وَاصِفِهَا عَنْ مِثْلِ رَقْرَاقَةٍ فِي عَيْنِ مَرْهَاءِ
فقال له ابن مناذر : حَسْبُكَ ، قد استغنيتَ عن أن تزيد شيئاً ، والله لو لم تقل في دهرِكَ
كلَّه غيرَ هذا البيت لفضَّلْتُكَ به على سائر من وصف الخمر ؛ قم فأنشأ شعر وقصيدتك
أفضل . فحكم له وقام أبو نواس منكسراً .

[كثير بن إسماعيل يسترضي المعتصم بشعره]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمد بن محمد قال حدَّثني
كثير بن إسماعيل التَّحْتَكَار قال : لما قَدِمَ المعتصم بغداد ، سأل عن ندماء صالح بن الرشيد وهم
أبو الواسع وقنينة وحسين بن الضَّحَّاك وحاتم الرِّيش وأنا ، فأدخلنا عليه . فلشُّومِي وشقائي
كُتِبَتْ بَيْنَ عَيْنَيْ : «سَيِّدِي هَبْ لِي شَيْئاً» . فلما رآني قال : ما هذا على جبينك ؟! فقال
حمدون بن إسماعيل : يا سَيِّدِي تَطَايَبَ بَأْنُ كُتِبَ عَلَى جَبِينِهِ : «سَيِّدِي هَبْ لِي شَيْئاً» ! . فلم
يَسْتَطِيعْ لِي ذَلِكَ وَلَا اسْتَمْلَحَهُ ، ودعا بأصحابي من غَدٍ وَلَمْ يَدْعُ بِي . ففزعْتُ إلى حسين بن

الضحّاك ؛ فقال لي : إني لم أخلل من أنسه بعدُ بالحلّ الموجب أن أشفع إليه فيك ، ولكنّي أقول لك بيتين من شعر وادفعهما إلى حمدون بن إسماعيل يوصلهما ، فإنّ ذلك أبلغ . فقلتُ : أفعل . فقال حسين ¹ :

قلّ لنديا أصبحتُ تلعب بي سلّط الله عليك الآخرة
إن أكن أبردَ من قنينةٍ ومن الرّيش فأمّي فاجرة

قال : فأخذتهما وعرّفتُ حمدون أنّهما لي وسألته إيصالهما ففعل ؛ فضحك المعتصم وأمر لي بالفي دينار واستحضرني وألحقني بأصحابي .

[ابن بسخر والصبوح]

أخبرني عمّي قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك قال قال لي أحمد بن حمدون : كان محمّد بن الحارث بن بسخر لا يرى الصّبوح ولا يؤثّر على الغبوق شيئاً ، ويحتجّ بأن من خدم الخلفاء كان اصطباحه استخفافاً بالخدمة ، لأنّه لا يأمن أن يدعى على غفلة والغبوق يؤمّنه من ذلك ، وكان المعتصم يحبّ الصبوح ؛ فكان يلقّب ابن بسخر الغبوقي . فإذا حضر مجلس المعتصم مع المغنّين منعه الصّبوح وجمع له مثل ما يشرب نظراؤه ، فإذا كان الغبوق سقاه إياه جملة غيظاً عليه ؛ فيضجّ من ذلك ويسأل أن يترك حتى يشرب مع الندماء إذا حضروا فيمنعه ذلك . فقال فيه حسين بن الضحّاك وفي حاتم الرّيش الضّرّاط وكان من المضحكين ² :

حُبّ أبي جعفر للغبوق كقبّحك يا حاتم مُقبلاً
فلا ذاك يُعذّر في فعله وحقّك في الناس أن تُقتلاً
وأشبه شيء بما اختاره ضراطك دون الخلا في المالا

[يستعطف أبا أحمد بن الرشيد]

حدّثني محمّد بن خلف وكيع قال حدّثنا محمّد بن عليّ بن حمزة قال : مزح أبو أحمد بن الرشيد مع حسين بن الضحّاك مزاحاً أغضبه ، فجأوبه حسين جواباً غضّب منه أبو أحمد أيضاً . فمضى إليه حسين من غدٍ فاعتذر إليه وتنصّل وحلف ؛ فأظهر له قبولاً لعذره . ورأى ثقلاً في طرّفه وانقباضاً عما كان يعهده منه ؛ فقال في ذلك ³ :

[من الكامل]

1 شعره : 68 .

2 شعره : 94 عن الأغاني .

3 شعره : 57 .

لا تَعَجَّبَنَّ لَمَلَّةٍ صَرَفْتُ وجهَ الأميرِ فَإِنَّهُ بَشْرُ
وَإِذَا نَبَا بِكَ فِي سَرِيرَتِهِ عَقْدُ الضَّمِيرِ نَبَا بِكَ الْبَصْرُ

[صحبه للأمين وإكرامه له]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ النُّشَارِ قَالَ : كَانَ أَبِي صَدِيقًا لِلْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ وَكَانَ يَعَاشِرُهُ ؛ فَحَمَلَنِي مَعَهُ يَوْمًا إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ أَبِي يَحَادِثُهُ إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، قَدْ تَأَخَّرْتُ أَرْزَاقُكَ ، وَانْقَطَعَتْ مَوَادُّكَ وَنَفَقْتُكَ كَثِيرَةٌ ، فَكَيْفَ يَمْشِي أَمْرُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا اللَّهُ يَا أَخِي ، مَا قَوَامُ أَمْرِي إِلَّا بِبَقَايَا هَيَاتِ الْأَمِينِ مُحَمَّدَ بْنِ زَيْدَةَ وَذَخَائِرِهِ وَهَيَاتِ جَارِيَةٍ لَهُ ، لَمْ يُسَمِّهَا ، أَغْتَنَنِي لِلْأَبَدِ لَشَيْءٍ ظَرِيفٍ جَرَى عَلَى غَيْرِ تَعَمُّدٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمِينَ دَعَانِي يَوْمًا فَقَالَ لِي : يَا حُسَيْنَ ، إِنَّ جَلِيسَ الرَّجُلِ عَشِيرُهُ وَثِقَتُهُ وَمَوْضِعُ سِرِّهِ وَأَمْنِهِ ، وَإِنْ جَارِيَتِي فَلَانَةٌ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا وَغَنَاءً ، وَهِيَ مِنِّي بِمَحَلِّ نَفْسِي ، وَقَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ صَفْوَاهَا وَنَغَصَتْ عَلَيَّ النِّعْمَةُ فِيهَا بَعْجُهَا بِنَفْسِهَا وَتَجَنَّبَهَا عَلَيَّ وَإِدْلَالُهَا بِمَا تَعْلَمُ مِنْ حُبِّي إِيَّاهَا . وَإِنِّي مُحْضِرُهَا وَمَحْضَرٌ صَاحِبَةٌ لَهَا لَيْسَتْ مِنْهَا فِي شَيْءٍ لَتَغْنِيَنَّ مَعَهَا . فَإِذَا غَنَّتْ وَأَوْمَأَتْ لَكَ إِلَيْهَا ، عَلَى أَنَّ أَمْرَهَا أَبِينُ مِنْ أَنْ يَخْفَى عَلَيْكَ ، فَلَا تَسْتَحْسِنِ الْغَنَاءَ وَلَا تَشْرَبْ عَلَيْهِ ؛ وَإِذَا غَنَّتِ الْآخَرَى فَاشْرَبْ وَاطْرَبْ وَاسْتَحْسِنْ وَاشْفُقْ ثِيَابَكَ ، وَعَلَيَّ مَكَانَ كُلِّ ثَوْبٍ مَائَةٌ ثَوْبٍ . فَقُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ . فَجَلَسَ فِي حُجْرَةِ الْخُلُوةِ وَأَحْضَرَنِي وَسَقَانِي وَخَلَعَ عَلَيَّ ، وَغَنَّتِ الْحَسَنَةُ وَقَدْ أَخَذَ الشَّرَابُ مِنِّي ، فَمَا تَمَالَكَتُ أَنْ اسْتَحْسَنْتُ وَطَرَبْتُ وَشَرَبْتُ ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ وَقَطَّبَ فِي وَجْهِهِ . ثُمَّ غَنَّتِ الْآخَرَى فَجَعَلْتُ أَتَكَلَّفُ مَا أَقُولُهُ وَأَفْعَلُهُ . ثُمَّ غَنَّتِ الْحَسَنَةُ ثَانِيَةً فَأَتَتْ بِمَا لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهُ قَطًّا حُسْنًا ، فَمَا مَلَكَتُ نَفْسِي أَنْ صَبَحْتُ وَشَرَبْتُ وَطَرَبْتُ ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيَّ وَيَعْصُ شَفَتَيْهِ غِيظًا ، وَقَدْ زَالَ عَقْلِي فَمَا أَفَكَّرَ فِيهِ ، حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ مَرَارًا ؛ وَكَلَّمَا أَزْدَادَ شَرِبِي ذَهَبَ عَقْلِي وَزِدْتُ مِمَّا يَكْرَهُ ؛ فَغَضِبَ فَأَمْضَيْتُ وَأَمَرَ بِجَرِّ رَجُلِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَصَرَفَنِي فَجَرَرْتُ وَصَرَفْتُ ، فَأَمَرَ بَأَنْ أُحْجَبَ . وَجَاءَنِي النَّاسُ يَتَوَجَّعُونَ لِي وَيَسْأَلُونَنِي عَنْ قِصَّتِي فَأَقُولُ لَهُمْ : حَمَلْتُ عَلَيَّ التَّيْبُذَ فَأَسَأْتُ أَدَبِي ، فَقَوَّمتُنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِصَرَفِي وَعَاقَبَنِي بِمَنْعِي مِنَ الْوَصُولِ إِلَيْهِ . وَمَضَى لِمَا أَنَا فِيهِ شَهْرٌ ، ثُمَّ جَاءَنِي الْبِشَارَةُ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنِّي ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِي فَحَضَرْتُ وَأَنَا خَائِفٌ . فَلَمَّا وَصَلْتُ أُعْطَانِي الْأَمِينُ يَدَهُ فَقَبَّلْتُهَا ، وَضَحَكَ إِلَيَّ وَقَامَ وَقَالَ : اتَّبِعْنِي ، وَدَخَلَ إِلَى تِلْكَ الْحَجَرَةِ بَعِينَهَا وَلَمْ يَحْضُرْ غَيْرِي . وَغَنَّتِ الْحَسَنَةُ الَّتِي نَالَنِي مِنْ أَجْلِهَا مَا نَالَنِي فَسَكَتُ فَقَالَ لِي : قُلْ مَا شِئْتَ وَلَا تَخَفْ ؛ فَشَرَبْتُ وَاسْتَحْسَنْتُ . ثُمَّ قَالَ لِي : يَا حُسَيْنَ ، لَقَدْ خَارَ اللَّهُ لَكَ بِخِلَافِي وَجَرَى الْقَدَرُ بِمَا تَحَبُّ فِيهِ . إِنَّ هَذِهِ الْجَارِيَةَ عَادَتْ إِلَى الْحَالِ الَّتِي أُرِيدُ مِنْهَا وَرَضِيْتُ كُلَّ أَعْمَالِهَا ؛ فَأَذْكُرْتَنِي بِكَ وَسَأَلْتَنِي الرِّضَا عَنْكَ وَالِاخْتِصَاصَ لَكَ ؛ وَقَدْ فَعَلْتُ

ووصلتُك بعشرة آلاف دينار ، ووصلتُك هي بدون ذلك . والله لو كنتَ فعلتَ ما قلتُ لك حتى تعودَ إلى مثل هذه الحال ثم تحقّد ذلك عليك فتسألني ألاّ تصلَ إليّ لأجبتُها . فدعوتُ له وشكرتُه وحمدتُ الله على توفيقه ، وزدتُ في الاستحسان والسرورِ إلى أن سكرتُ وانصرفتُ وقد حُمِلَ معي المال . فما كان يمضي أسبوع إلاّ وصلاتُها وأطافُها تصلَ إليّ من الجوهر والثياب والمال بغير علم الأُمين ؛ وما جالسته مجلساً بعد ذلك إلاّ سألتُه أن يصلني . فكلُّ شيء أنفقته بعده إلى هذه الغاية فمن فضل مالِها وما ذخرتُ من صلاتِها . قال ابن النشار : فقال له أبي : ما سمعتُ بأحسن من هذا الحديث ولا أعجب ممّا وفقه الله لك فيه .

[هنا الأُمين بظفر جيشه بظاهر بن الحسين]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبي قال : دخل حسين بن الضحّاك على محمد الأُمين بعقبِ وقعة أوقعها أهلُ بغداد بأصحاب طاهر فهزموهم وفضحوهم ؛ فهنّاه بالظفر ثم استأذنه في الإنشاد ، فأذن له فأنشده¹ : [من الهزج]

أُمينَ الله ثِقْ بالله	هـ تُعطَ العزَّ والنُصرة
كِلَ الأمرَ إلى الله	كَلَاكَ الله ذو القُدرة
لنا النصرُ بإذنِ الله	هـ والكُرة لا الفُرة
وللمُراق أعداء	لك يومُ السَّوءِ والدَّبرة ²
وكأسُ تُورد الموت	كُرية طعمُها مُرة
سَقَوْنَا وسَقَيْنَاهُم	فكانت بهمُ الحرّة ³
كذلك الحربُ أحياناً	علينا ولنا مَرّة

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، ولم يزل يتبسّم وهو يُنشدّه .

[عابته الأُمين وركب ظهره]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال : قال لي الحسين بن الضحّاك : شربنا يوماً مع الأُمين في بستانٍ ، فسقانا على الرِّيق ، وجدّ بنا في الشرب ، وتحرّز من أن ندوق شيئاً . فاشتدّ الأمرُ عليّ ، وقمتُ لأبول ، فأعطيتُ خادماً من الخدم ألفَ درهم على أن يجعلَ لي تحت شجرة أوماتُ إليها رُقاقةً فيها لحمٌ ، فأخذ الألف وفعل ذلك . ووثب محمدٌ فقال : من

1 شعره : 66-67 .

2 الدبرة : الهزيمة .

3 الحرّة : العذاب الموجع . وبكسر الحاء : العطش .

يكون منكم حِماري ؟ فكلُّ واحد منهم قال له : أنا ، لأنه كان يركب الواحد منا عَبيثاً ثم يصله ؛ ثم قال : يا حسين ، أنت أضلُّعُ¹ القوم . فركبني وجعل يطوف وأنا أُعْدِلُ به عن الشجرة وهو يمرُّ بي إليها حتى صار تحتها ، فرأى الرُّقاقة فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهري ، وقال : هذه جُعِلَتْ لبعضكم ؛ ثم رجع إلى مجلسه وما وصلني بشيء . فقلت لأصحابي : أنا أشقى الناس ، ركب ظهري وذهب ألف درهمٍ مني وفاتني ما يُمسك رَمَقِي ولم يصلني كعادتي ، ما أنا إلا كـ [من البسيط]

ومطعم الصيد يوم الصيد مطعمه أننى توجّه والمحروم محروم

[يستوهب جارية لأُم جعفر]

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد النحويّ المبرّد قال : كان حسين بن الضّحّاك الأشقر ، وهو الخليع ، يهوى جاريةً لأُمّ جعفر ، وكانت من أجمل الجوّاري ، وكان لها صُدْغانٌ مُعقّران ، وكانت تخرج إليه إذا جاء فتقول له : ما قلتَ فينا ؟ أنشدنا منه شيئاً ؛ فيُخرج إليها الصحيفة ، فتقول له : اقرأ معي ، فيقرأ معها حتى تحفظه ثم تدخل وتأخذ الصحيفة . فشكا ذلك إلى عاصم الغَسّانيّ الذي كان يمدّحه سلّم الخاسر وكان مَكِيناً عند أُمّ جعفر ، وسأله أن يستوهبها له فاستوهبها ، فأبّت عليه أُمّ جعفر ؛ فوجّه إلى الخليع بألف دينار وقال : خذْ هذا الألف ؛ فقد جَهِدْتُ الجَهدَ كُلَّهُ فيها فلم تُمكنني حيلة . فقال الحسين في ذلك² :

رَمَتْكَ غَدَاةُ السَّبْتِ شَمْسٌ مِنَ الْخُلْدِ	بسهم الهوى عَمداً وموتك في العَمْدِ ³
مَوْزَرَّةُ السَّرْبَالِ مَهْضُومَةٌ الْحَشَا	غُلَامِيَّةُ التَّقْطِيعِ شَاطِرَةٌ الْقَدِ ⁴
مُحَنَّاةُ الْأَطْرَافِ رُوْدٌ شَبَابُهَا	مُعَقَّرَةُ الصُّدْغَيْنِ كَاذِبَةُ الْوَعْدِ
أَقُولُ وَنَفْسِي بَيْنَ شَوْقٍ وَزَفَرَةٍ	وقد شَخَصْتُ عَيْنِي وَدَمَعِي عَلَى الْخَدِّ
أَجِيزِي عَلَى مَنْ قَدْ تَرَكْتَ فَوَاذَهُ	بلحظته بين التأسف والجهدِ
فَقَالَتْ عَذَابٌ بِالْهَوَى مَعَ قَرِيبِكُمْ	وموتٌ إذا أقرحتُ قلبك بالبعدِ
لَقَدْ فَطِنْتَ لِلْجُورِ فَطْنَةً عَاصِمٍ	لصنع الأيادي الغرّ في طلب الحمدِ

1 أضلع القوم : أشدهم .

2 شعره : 44 .

3 الخلد : قصر للمنصور على دجلة .

4 الشاطر : هو الذي أعيا أهله وموَدَّه خبيثاً .

سأشكوك في الأشعار غير مُقَصِّرٍ إلى عاصمٍ ذي المَكْرُمات وذِي المجدِ
لعلّ فتى غَسَّانَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا فيأمنَ قلبي منكم رَوْعة الصَّدِّ

[يستقطع المعتصم داراً]

حدّثني محمد بن خَلَفٍ وَكَيْعٌ قال حدّثني هارون بن مُخَارِقٍ قال : أقطع المعتصمُ
الناسَ الدُّورَ بسرّاً من رأى وأعطاهم النفقاتَ لبنائها ، ولم يُقْطِعِ الحسين بن الضحّاك شيئاً .
فدخل عليه فأنشده قوله¹ :

يا أَمِينَ الله لا خِطَّةَ لي ولقد أفردتَ صَحْبِي بِخِطَطٍ
أنا في دَهْيَاءٍ من مُظْلِمَةٍ تحمِلُ الشيخَ على كلِّ غَلَطٍ
صعبةُ المسلكِ يرتاع لها كلُّ من أضعَدَ فيها وهبُ
بوّني منك كما بوّأتهم عَرَصَةٌ تبسُّطَ طَرْفِي ما انبسطُ
أبتني فيها لنفسي موطناً ولعقبِي فَرَطاً بعد فَرَطٍ
لم يزل منك قريباً مسكني فأعِدْ لي عادةَ القربِ فقط
كلُّ من قَرَبَتْهُ مُغْتَبِطٌ ولمن أبعدتَ خِزْيٌ وَسَخَطُ

قال : فأقطعه داراً وأعطاه ألفَ دينارٍ لنفقته عليها .

[أجاز شعراً لأبي العتاهية]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال أخبرني عمّي الفضل عن الحسين بن الضحّاك قال :
كنتُ أمشي مع أبي العتاهية ، فمررت بمقبرة وفيها باكيةٌ تبكي بصوتٍ شَجٍّ على ابنٍ لها .
فقال أبو العتاهية² :

أما تنفك باكيةً بعين غزيرٍ دمعها كَمِدٌ حشاها
أجز يا حسين ؛ فقلت³ :

[من الوافر]

تُنادي حفرةً أُعِيتَ جواباً فقد وَلَهَتْ وصمَّ بها صَداها⁴

[نصحه أبو العتاهية بالآ يرضي الأمين]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال حدّثني الحسين بن الضحّاك قال :

1 شعره : 71 عن الأغاني .

2 ديوان أبو العتاهية : 67 عن الأغاني .

3 شعره : 124 .

4 صم الصدى : كناية عن الهلاك .

كنتُ عازماً على أن أرثي الأمين بلساني كله وأشفي لوعتي . فلقيني أبو العتاهية فقال لي :
يا حسين ، أنا إليك مائلٌ ولك محبٌ ، وقد علمتُ مكانك من الأمين ، وإنه لحقيقٌ بأن
ترثيه ، إلا أنك قد أطلقتَ لسانك من التلهُّفِ عليه والتوجُّعِ له بما صار هجاءٍ لغيره وثلباً
له وتحريضاً عليه ، وهذا المأمون مُنصبٌ إلى العراق قد أقبل عليك ؛ فأبقِ على نفسك ؛ يا
ويحك ؛ أتنجسُ على أن تقول¹ :

تركوا حريمَ أبيهم نَفَلاً والمُحْصَنَاتُ صَوَارِخُ هُتَفُ
هيهاتَ بعدك أن يدومَ لهم عزٌّ وأن يبقى لهم شَرَفُ

أَكُفُّ غَرْبَ لسانك واطوِ ما انتشر عنك وتلافَ ما فرط منك . فعلمتُ أنه قد نصحني
فجزيته الخيرَ ، وقطعتُ القولَ فنجوتُ برأيه وما كذتُ أن أنجو .
[شعره في فتي جميل أعرض عنه]

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو العيَّاء قال : وقف علينا حسين بن الضَّحَّاك ومعنا
فتى جالسٌ من أولاد الموالي جميلُ الوجه ، فحدثنا طويلاً وجعل يُقبل على الفتى بحديثه
والفتى مُعرِّضٌ عنه حتى طال ذلك ؛ ثم أقبل عليه الحسين فقال² :

تَيَّيه علينا أن رُزِقَتْ مَلاحَةً فَمَهْلاً علينا بعضَ تيهك يا بدرُ
لقد طالما كنَّا مَلاحاً وربَّما صَدَدْنَا وَتَهْنَا ثم غَيَّرْنَا الدَّهْرُ

وقام فانصرف .

[عريده في مجلس الأمين]

أخبرني الحسن بن القاسم الكوفي³ قال حدثني ابن عَجْلان قال : غنى بعضُ المغنين في
مجلس محمدٍ المخلوع بشعر حسين بن الضَّحَّاك ، وهو :

صوت

أَلَسْتَ تَرَى دِيْمَةً تَهْطِلُ وهذا صباحُك مُسْتَقْبَلُ
وهذي العُقار وقد راعنا بطلعته الشادنُ الأكحلُ

1 البيتان من قصيدة طويلة في رثاء الأمين . انظر مجموع شعره : 78-80 وفيه ثبت بمصادر القصيدة . وفي البيت الثاني : «لنا» بدلاً من «لهم» .

2 شعره : 53 وينسب البيتان أيضاً لأبي نواس .

3 لعل المقصود الحسين بن القاسم الكوكبي الذي يروي عنه أبو الفرج كثيراً .

فَعَادَ بِهِ وَبَنَا سَكْرَةً تَهَوَّنَ مَكْرُوهَ مَا نَسَأَلُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ نَظْرَةً تَخْبِرُنَا أَنَّهُ يَفْعَلُ

قال : فأمر بإحضار حسين فأحضِر ، وقد كان محمد شرباً أرتالاً . فلما مثل بين يديه أمر فسقي ثلاثة أرتال ، فلم يستوفها الحسين حتى غلبه السكر وقذف ، فأمر بحمله إلى منزله فحُمِل . فلما أفاق كتب إليه¹ :

إِذَا كُنْتُ فِي عُصْبَةٍ مِنَ الْمَعْشَرِ الْأَخِيبِ
وَلَمْ يَكُ لِي مُسْعِدٌ نَدِيمٌ سِوَى جُعْدُبِ
فَأَشْرَبُ مِنْ رَمْلَةٍ وَأَسْهَرُ مِنْ قُطْرُبِ²
وَلَمَّا حَبَانِي الزَّمَا نَ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَحْسَبِ
وَنَادَمْتُ بَدَرَ السَّمَاءِ فِي فَلَكِ الْكُوكَبِ
أَبَيْتُ لِي غُضُوضِيَّتِي وَلَوْمْ مِنَ الْمُنْصَبِ³
فَأَسْكُرُنِي مَسْرَعاً قَوِيٌّ مِنَ الْمَشْرَبِ
كَذَا النَّذْلُ يَنْبُو بِهِ مَنَادِمَةُ الْمُتَجَبِّ

قال : فردّه إلى منادمته وأحسن جائزته وصلّته .

[شعره في غلام أبي أحمد بن الرشيد]

أخبرني الكوكبي قال حدثني علي بن محمد بن نصر عن خالد بن حمدون : أنَّ الحسين بن الضحّاك أنشده ، وقد عاتبه خادم من خدام أبي أحمد بن الرشيد كان حسين يتعشّقه ولامه في أن قال فيه شعراً وغنى فيه عمرو بن بانه ؛ فقال حسين فيه⁴ :

صوت

فَدَيْتُ مَنْ قَالَ لِي عَلَى خَفَرَةٍ وَغَضَّ جَفْنًا لَهُ عَلَى حَوَرَةٍ
سَمِعَ بِي شَعْرُكَ الْمَلِيحَ فَمَا يَنْفَكُ شَادٍ بِهِ عَلَى وَتَرَةٍ

1 شعره : 30 عن الأغاني .

2 المثل : أشرب من عقد الرمل : الميداني 1 : 391 والزمخشري 1 : 195 والعسكري 1 : 538 . المثل : أسهر من قطرب : الميداني 1 : 355 والزمخشري 1 : 175 والعسكري 1 : 509 . وقطرب : طائر يجول الليل كله لا ينام .

3 الغضوضية : غضاضة الشباب ونضارته والمقصود هنا طيش الشباب .

4 شعره : 63 عن الأغاني .

فقلتُ يا مستعيرَ سالفَةِ الـ خِشْفٍ وحسنِ الفتورِ من نَظَرِهِ
لا تُنكرَنَّ الحنينَ من طَرِبٍ عاودَ فيكَ الصُّبا على كِبَرِهِ
وغنّى فيه عمرو بن بانة هزجاً مطلقاً .

[شعره على قبر أبي نواس]

أخبرني الكوكبيّ قال حدّثني أبو سَهْل بن نُوبَخْت عن عمرو بن بانة قال : لما مات أبو نواس كتب حسين بن الضّحّاك على قبره¹ :

[من المنسرح]

كأبرنيكَ الزمانُ يا حسنُ فخاب سَهْمِي وأُفْلَحَ الزمنُ
ليتكَ إذ لم تكن بقيتَ لنا لم تَبْقَ روحٌ يحوِطُها بدنُ

[هجا جراحاً مخنثاً اسمه نصير]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثني محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبي قال : كان في جوار الحسين بن الضّحّاك طبيب يُداوي الجِراحات يقال له نُصير ، وكان مُخنثاً ؛ فإذا كانت وليمة دخل مع المخنّثين ، وإذا لم تكن عالج الجِراحات . فقال فيه الحسين بن الضّحّاك² :

[من السريع]

نُصيرُ ليس المُردُّ من شأنه نصيرُ طبِّ بالُنْكارِيش³
يقول للُنْكارِيش في خلوة مقالَ ذي لُطفٍ وتَجْمِيش
هل لك أن نلعبَ في فرشنا تقلّبَ الطيرِ المَراعيش⁴

يعني المبادلة . فكان نصيرٌ بعد ذلك يصيح به الصبيان : « يا نصير نلعب تقلّب الطير المَراعيش » فيشتمهم ويرميهم بالحجارة .

[عبث ابن مناذر بشعر له]

حدّثني جعفر قال حدّثني عليّ بن يحيى عن حسين بن الضّحّاك قال : أنشدتُ ابنَ مُناذر قصيدتي التي أقول فيها :

لَفَقْدِكَ رِيحانةَ العسكر

وكانت من أوّل ما قلّته من الشعر ؛ فأخذ رداءه ورمى به إلى السقف وتلقّاه برجله وجعل

1 شعره : 109 عن الأغاني .

2 شعره : 68-69 عن الأغاني .

3 النكاريش : جمع نكريش وهو الملتحي .

4 المَراعيش : نوع من الحمام .

يردّد هذا البيت . فقلنا لحسين : أترأه فعل ذلك استحساناً لما قلت ؟ فقال لا ؛ فقلنا : فإنما فعله طنزاً بك ؛ فشتّمه وشتّمنا . وكنا بعد ذلك نسأله إعادة هذا البيت فيرمي بالحجارة ويجدد شتم ابن مناذر بأقبح ما يقدر عليه .

[اجتماع اللوم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن أبي كامل قال : مررتُ بباب حسين بن الضحّاك ، وإذا أبو يزيد السّلويّ وأبو حرّزة الغنويّ وهما ينتظران المحاربين وقد استؤذن لهم على ابن الضحّاك ؛ فقلت لهما : لِمَ لا تدخلان ؟ فقال أبو يزيد : ننتظر اللوم أن يجتمع ، فليس في الدنيا أعجب ممّا اجتمع منا ، الغنويّ والسّلويّ ينتظران المحاربين ليدخلوا على باهليّ .

[دعوة الفتح بن خاقان للصّبح]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجيّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال : كان الواثق يميل إلى الفتح بن خاقان ويأنس به وهو يومئذ غلام ، وكان الفتح ذكياً جيّداً الطبع والفطنة . فقال له المعتصم يوماً وقد دخل على أبيه خاقان غرطوج : يا فتح أيّما أحسن : داري أو دار أبيك ؟ فقال له وهو غير متوقّف وهو صبيّ له سبع سنين أو نحوها : دار أبي إذا كنت فيها ؛ فعجّب منه وتبّاه . وكان الواثق له بهذه المنزلة ، وزاد المتوكّل عليهما . فاعتلّ الفتح في أيام الواثق علّة صعبة ثم أفاق وعوفي ، فعزّم الواثق على الصّبح ، فقال لي : يا حسين ، اكتب بأيّات عني إلى الفتح تدعوه إلى الصّبح ؛ فكتبتُ إليه ² :

لَمَّا اصْطَبَحْتُ وَعَيْنُ اللّهُو تَرْمُقُنِي	قَدْ لَاحَ لِي بَاكِرًا فِي ثَوْبٍ بِذَلَّتِهِ
نَادَيْتُ فَتَحًا وَبَشَّرْتُ الْمَدَامَ بِهِ	لَمَّا تَخَلَّصَ مِنْ مَكْرُوهِ عِلَّتِهِ
ذَبُّ الْفَتَى عَنْ حَرِيمِ الرَّاحِ مَكْرُمَةٌ	إِذَا رَأَاهُ امْرُؤٌ ضِدًّا لِنِحْلَتِهِ
فَاعْجَلْ إِلَيْنَا وَعَجِّلْ بِالسَّرُورِ لَنَا	وَحَالِسِ الدَّهْرِ فِي أَوْقَاتِ غَفْلَتِهِ

فلَمَّا قرأها الفتح صار إليه فاصطبح معه .

[غزله في غلام عبد الله بن العباس بن الربيعي]

أخبرني عمي ³ قال حدّثني يعقوب بن نُعَيْم وعبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن محمد

1 ل : حاد .

2 شعره : 33 .

3 تقدّم هذا الخبر بنصّه في هذه الترجمة .

الأنباري قال حَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ وَهُوَ مُصْطَبِحٌ وَخَادِمٌ لَهُ يَسْقِيهِ ؛ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، قَدْ اسْتَحْسَنْتُ سَقْيَ هَذَا الْخَادِمِ ؛ فَإِنْ حَضَرَكَ شَيْءٌ فِي قَصَّتِنَا هَذِهِ فَقُلْ ؛ فَقُلْتُ :

أَحْيَتْ صَبُوحِي فَكَاهَهُ الْإِلَهِ	وَطَابَ يَوْمِي بِقَرَبِ أَشْبَاهِي
فَاسْتَبْرَأَ اللَّهُ مِنْ مَكَامِنِهِ	مِنْ قَبْلِ يَوْمٍ مَنَعَصَ نَاهِي
بَابِنِ كَرَمٍ مِنْ كَفِّ مُنْطَبِقِي	مَوْتَزِرٍ بِالْمُجُونِ تَيَّاهِي
يَسْقِيكَ مِنْ طَرَفِهِ وَمِنْ يَدِهِ	سَقْيَ لَطِيفٍ مُجَرَّبٍ دَاهِي
كَأْسًا فَكَأْسًا كَانَ شَارِبَهَا	حَيْرَانُ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالسَّاهِي

قال : فَاسْتَحْسَنَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَغَنَّى فِيهِ لَحْنًا مَلِيحًا وَشَرَبْنَا عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا .

[يَسْتَنْجِزُ وَعْدًا بِالسَّكْرِ قَبْلَ رَمَضَانَ]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ قَالَ حَدَّثَنِي سَوَادَةُ بْنُ الْفَيْضِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : اتَّفَقَ حُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ وَيُسْرٌ مَرَّةً عِنْدَ بَعْضِ إِخْوَانِهِمَا وَشَرِبَا وَذَلِكَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَعْبَانَ . فَقَالَ حُسَيْنٌ لِيُسْرَ : يَا سَيِّدِي ، قَدْ هَجَمَ الصُّومُ عَلَيْنَا ، فَتَفَضَّلْ بِمَجْلِسٍ نَجْتَمِعُ فِيهِ قَبْلَ هُجُومِهِ فَوَعَدَهُ بِذَلِكَ ؛ فَقَالَ لَهُ : قَدْ سَكِرْتَ وَأَخْشَى أَنْ يَدُوكَ ؛ فَحَلَفَ لَهُ يَسْرٌ أَنَّهُ يَقْبِي . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ كَتَبَ إِلَيْهِ حُسَيْنٌ وَسَأَلَهُ الْوَفَاءَ ، فَجَحَدَ الْوَعْدَ وَأَنْكَرَهُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ¹ :

تَجَاسَرْتَ عَلَى الْغَدْرِ	كَعَادَاتِكَ فِي الْهَجْرِ
فَأَخْلَفْتَ وَمَا اسْتَخْلَفَ	كَتَّ مِنْ إِخْوَانِكَ الزُّهْرُ
لَنْ خِيسْتَ لَمَّا ذُلَّ	كَ مِنْ فَعْلِكَ بِالنُّكْرِ
وَمَا أَقْنَعَنِي فَعْلُ	كَ يَا مَخْلِقَ الْعَذْرِ
بِنَفْسِي أَنْتَ إِنْ سُوَّتَ	فَلَا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ
وَإِنْ جَرَّعَنِي الْغَيْظُ	وَإِنْ خَشَنَ بِالْصَدْرِ
وَلَوْ لَا فَرَّقَنِي مِنْكَ	لَسَمَّيْتُكَ فِي الشَّعْرِ
وَعَنَّفْتُكَ لَا أَلُو	وَإِنْ جَزَتْ مَدَى الْعَذْرِ
أَمَّا تَخْرُجُ مِنْ إِخْلَافِ	مِيعَادِكَ فِي الْعَشْرِ

غداً يفطّمنا الصومُ عن الرّاح إلى الفِطْرِ

قال : فسألتُ الحسينَ بن الضحّاك عمّا أثر له هذا الشعرُ وما كان الجواب ؛ فقال : كان أحسنَ جوابٍ وأجملَ فعلٍ ، كان اجتماعنا قبل الصوم في بستان لمولاه ، وتمنّا سرورنا وقضيّنا أوطارنا إلى الليل ، وقلتُ في ذلك ¹ :

[من الطويل]

إلى ملتقى النّهرين فالأثّل فالطّلح
ويسرّن ما أملتُ من دَرَكَ النّجح
حبّيك حتى انقاد عفواً إلى الصّلاح
ولكنّ من أهواه صيغ على الشّح

سقى الله بطنَ الدّير من مستوى السّفح
ملاعبُ قُذْن القلب قسراً إلى الهوى
أتنسى فلا أنسى عتابك بينها
سمحتُ لمن أهوى بصفو مودّتي

[يصف أيامه مع يسر في البصرة والقنص]

قال عليّ بن العباس : وأنشدني سَوادةُ بن الفيض عن أبيه حسين بن الضحّاك يصف أياماً مضتْ له بالبصرة ويومَه بالقنص ومجيء يسرٍ إليه ، وكان يسرُّ سألَه أن يقول في ذلك شعراً ² :

[من المنسرح]

ولا تُراعي حمامةَ الحرَمِ
ونام لا قام سامرُ الخدمِ
إذا خلّونا في كلِّ مُكْتَمِ
عينُ ولا تخصري وتحتشمي
على دُجى ليلنا فلم ترمِ
حتى كأنّي أراه في حُلُمِ
وشئتُ عين اليقين بالثّهمِ
أخالني نائماً ولم أنمِ
بيارد الرّيق طيّب النّسمِ
ما عيب من قرنه إلى القدمِ
حتى تجلّت أواخرُ الظّلُمِ

تيسري للّمام من أممِ
قد غاب لا آب من يُراقبنا
فاستصحبني مُسعداً يفاوضنا
تبذلي بدلةً تقرُّ بها الـ
ليت نجوم السماء راكدةً
ما لسروري بالشكِّ ممتزجاً
فرحتُ حتى استخفّني فرحي
أمسحُ عيني مُستثبّاً نظري
سقياً ليلٍ أُنيت مدّته
أيضَ مُرتجّةٍ روادفهِ
إذ قصّبات العريش تجمعنا

1 شعره : 35 عن الأغاني .

2 شعره : 104-105 .

وليلةً بتهّا محسّدة
أَبَتْ عَبراته على غَصَصٍ
سَقِيّاً لَقِيطُونَهَا وَمُخَدِّعِهَا
لَا أَكْفُرُ السَّيْلِحِينَ أَزْمِنَةً
وليلة القَفْصِ إِن سَأَلْتَ بِهَا
بَات أَنِيسِي صَرِيعَ خَمْرَتِهِ
وَبَتْ عَنْ مَوْعِدٍ سَبَقْتُ بِهِ
وَأَبَايَ مِنْ بَدَا بَرُوعَةٍ «لَا»
أَبَاحَنِي نَفْسَهُ وَوَسَّدَنِي
حَتَّى إِذَا اهْتَاجَتِ النَّوَافِسُ فِي
وَقَلْتُ هُبَّا يَا صَاحِبِي وَنَبَّ
فَاسْتَنَّاها كَالشَّهَابِ ضَاحِكَةً
صَفراءَ زَيْتِيَّةَ مُوشَّحَةً
أَخَذْتُ رِيحَانَةً أَرَاخُ لَهَا
فَرَاغِعَ الْعُذْرَةِ إِن بَدَا لَكَ فِي الـ

محفوفة بالظنون والتهم
يَرُدُّ أَنْفَاسَهُ إِلَى الْكُظَمِ¹
كَمْ مِنْ إِمَامٍ بِهِ وَمَنْ لَمْ²
مَطِيعَةٌ بِالنَّعِيمِ وَالنَّعَمِ³
كَانَتْ شِفَاءً لَعَلَّةِ السَّقَمِ
وَتِلْكَ إِحْدَى مَصَارِعِ الْكَرَمِ
أَلْثَمَ دُرّاً مُفْلَجاً بِفَمِ
وَعَادَ مِنْ بَعْدِهَا إِلَى «نَعَم»
يُمْنَى يَدَيْهِ وَبَاتَ مُلْتَزِمِي
سُحْرَةٍ أَخْوَى أَحَمَّ كَالْحَمَمِ
هَتَّ أَبَاناً فَهَبَّ كَالزَّلَمِ
عَنْ بَارِقٍ فِي الْإِنَاءِ مُبْتَسِمِ
بَارْجَوَانٍ مُلَمَّعٍ ضَرِمِ
دَبَّ سُرُورِي بِهَا دَيْبَ دَمِي⁴
عُذْرَ وَإِنْ عُذْتُ لَأَثَمًا فَلَمِ

[احتجاب يسر]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ قَالَ حَدَّثَنِي سَوَادَةُ بْنُ الْفَيْضِ الْمَخْزُومِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمُعْتَمِرُ بْنُ
الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيُّ قَالَ : قَالَ لِي الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ وَهُوَ عَلَى شَرَابٍ لَهُ : وَيَحْكُمُ أَحَدَثَكُمْ
عَنْ يُسْرِ بِأَعْجُوبَةٍ ؟ قُلْنَا : هَات . قَالَ : بَلَغَ مَوْلَاهُ أَنَّهُ جَرَى لَهُ مَعَ أَخِيهِ سَبَبٌ ، فَحَجَبَهُ كَمَا
تُحَجَّبُ النِّسَاءُ ، وَأَمَرَ بِالْحَجَرِ عَلَيْهِ ، وَأَمْرُهُ أَلَّا يَخْرُجَ عَنْ دَارِهِ إِلَّا وَمَعَهُ حَافِظٌ لَهُ مَوْكَلٌ
بِهِ . فَقُلْتُ فِي ذَلِكَ⁵ :

[من مجزوء الرمل]

1 الكظم : مخرج النفس من الحلق .

2 القيطون : البيت أو المخدع .

3 السيلحين : موضع قرب الحيرة .

4 دب سروري في ل : دب فنومي .

5 شعره : 122 .

ظنّ مَنْ لا كان ظناً بحبيبي فحمّاهُ
أرصد البابَ رقيباً من له فاكتنفاهُ
فإذا ما اشتاق قربي ولقائي منعاهُ
جعل الله رقيباً هـ من سوء فدهاهُ
والذي أفرح في الشا دن قلبي ولواهُ
كلُّ مشتاق إليه فمن سوء فدهاهُ
سيّما من حالت الأح راسُ من دون مُناهُ

[سأل أبا نواس إصلاح أمره مع يسر]

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثنا أحمد بن العباس الكاتب قال حدّثني عبد الله بن زكريّا الضّرير قال : قال أبو نواس : قال لي حسين بن الضحّاك يوماً : يا أبا عليّ ، أما ترى غضبَ يسرٍ عليّ ؟ فقلت له : وما كان سبب ذلك ؟ قال : حال أردتها منه فمَنَعَنيها فغضبتُ ؛ فأسألك أن تُصلحَ بيني وبينه . فقلت : وما تحبُّ أن أُبلغه عنك ؟ قال : تقول له ¹ : [من السريع]

بحُرمة السُّكر وما كانا عزمتُ أن تقتل إنسانا !
أخاف أن تهجرني صاحياً بعد سروري بك سكرانا
إنّ بقلبي روعةً كلّما أضمر لي قلبك هجرانا
يا ليت ظنّي أبداً كاذبٌ فإنّه يصدّق أحيانا

قال : فقلت له : ويحك ! أتجنّبه وتريد أن تترضّاه وترسل إليه بمثل هذه الرسالة ! فقال لي : أنا أعرف به ، وهو كثير التبدّل ، فأبلغه ما سألتك ؛ فأبلغته فرضي عنه وأصلحتُ بينهما . [زائرة على غفلة]

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال : جاءني يوماً حسين بن الضحّاك ، فقلت له : أيّ شيء كان خبرك أمس ؟ فقال لي : اسمعه شعراً ولا أزيدك على ذلك وهو أحسن ؛ فقلت : هات يا سيدي ؛ فقال ² : [من السريع]

زائرة زارت على غفلة يا حبّذا الزّورة والزّائرة
فلم أزلُ أخدعها ليلتي خديعة السّاحر للسّاحرة

1 شعره : 116 عن الأغاني .

2 شعره : 67 .

حتى إذا ما أذعنت بالرضا وأنعمت دارت بها الدائرة
بت إلى الصبح بها ساهراً وباتت الجوزاء بي ساهرة
أفعل ما شئت بها ليلتي وملئ عيني نعمة ظاهرة
فلم نتم إلا على تسعة ومن غلّمة بي وبها ثائرة
سقياً لها لا لأخي شجرة شِعْرُته كالشجرة الوافرة
وبين رجليه له حربة مشهورة في حقوه شاهرة
وفي غدٍ يتبعها حية تلحقه بالكرة الخاسرة

قال : فقلت له : زينت يعلم الله إن كنت صادقاً . فقال : قل أنت ما شئت .

[أغرى الواثق بالصبح]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أبو العيّن قال : دخل حسين بن الضحّاك على الواثق في خلافة المعتصم في يوم طيّب ، فحثّه على الصُّبوح فلم ينشط له . فقال : اسمع ما قلت ؛ قال : هات ؛ فأنشده¹ :

إِسْتَرِ اللّهُوَ مِنْ مَكَامِنِهِ مِنْ قَبْلِ يَوْمٍ مَنُغْصٍ نَاهِي
بَابِنَةَ كَرَمٍ مِنْ كَفٍّ مُنْطَوِيٍّ مُؤْتَرِرٍ بِالْمُجُونِ تِيَاهِ
يَسْقِيكَ مِنْ لَحْظِهِ وَمِنْ يَدِهِ سَقِيَّ لَطِيفٍ مَجْرَبٍ دَاهِي
كَأْساً فَكَأْساً كَانَ شَارِبَهَا حَيْرَانُ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالسَّاهِي

قال : فنشط الواثق وقال : إن فرصة العيش لحقيقة أن تُنتهز ؛ واصطبح ووصل الحسين .

[ضبعة الاثنين]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبو الشَّيْل عاصم بن وهب البرجميّ قال : حجّ الحسين بن الضحّاك ، فمرّ في مُنْصَرَفِهِ على موضع يعرف بالقرّيتين ، فإذا جارية تطلّع في ثيابها وتنظر في حرّها ثم تضربه بيدها وتقول : ما أضيعني وأضيعك ! فأنشأ يقول² :

مررت بالقرّيتين مُنْصَرِفاً مِنْ حَيْثُ يَقْضِي ذُوو النُّهَى النُّسْكََا
إِذَا فَتَاةٌ كَانَتْهَا قَمَرٌ لَتَمَّ لَهَا تَوَسُّطُ الْفَلَكََا

1 تقدّمت هذه الأبيات في خبر مختلف مع الواثق مرّتين .

2 شعره : 91 عن الأغاني .

واضعةً كفّها على حِرّها تقول يا ضيّعتي وضيّعتك
قال : فلمّا سمعتُ قوله ضحكْتُ وغطّت وجهها وقالت : وافضيحتاه ! أو قد سمعتَ ما
قلتُ ؟ .

[في شفيح خادم المتوكّل.]

حدّثني محمّد الصّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون قال : كان الحسين بن الضحّاك
صديقاً لأبي ، وكنت ألقاه معه كثيراً ، وكانت نفسه قد تتبعت شفيحاً بعد انصرافه من
مجلس المتوكّل ؛ فأنشدنا لنفسه فيه ¹ :

وأبيض في حُمر الثياب كأنّه	إذا ما بدا نِسرِيّة في شقائق
سقاني بكفّيه رحيقاً وسامني	فسوقاً بعينيه ولستُ بفاسق
وأقسم لولا خشيةُ الله وحده	ومن لا أُسمي كنتُ أوّل عاشق
وإنّي لمعدورٌ على وجناته	وإن وسمّنتي شيبّة في المفارق
ولا عشتُ لي أو يُحدِث الدهرُ شرّة	تعود بعاداتِ الشباب المفارق
ولو كنتُ شكلاً للصبا لاتبعته	ولكن سني بالصبا غير لائق

[طلب من المتوكّل إجراء أرزاق ابنه على زوجته وأولاده.]

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال : كان للحسين بن الضحّاك ابن يسمّى
محمّداً ، له أرزاق ، فمات فقطعتُ أرزاقه . فقال يخاطب المتوكّل ويسأله أن يجعلَ أرزاقَ ابنه
المتوفّى لزوجته وأولاده ² :

إنّي أتيتك شافعاً	بولي عهد المسلمينا
وشبهك المعتزّ أو	جه شافع في العالمينا
يا ابن الخلائف الأوليـ	من ويا أبا المتأخريـ
إن ابن عبدك مات والأ	يأم تخرم القريـ
ومضى وخلف صبيّة	بعراضيه متلّدينا ³
ومُهيرةً عبّرى خيلا	ف أقارب مُستعبرينا

1 شعره : 85 - 86 .

2 شعره : 120 .

3 المتلّد : المتخبر .

أصبحنَ في ريبِ الحوا دث يُحسنون بك الظنونا
قطَّعَ الولاءُ جِرايةً كانوا بها مُستَمسِكينا
فأمننَ برَدِّ جميعِ ما قطعوه غيرَ مراقبينا
أعطاك أفضلَ ما تؤمِّد ل أفضلَ المتفضِّلينا

قال : فأمر المتوكِّل له بما سأل . فقال يشكره¹ :

يا خيرَ مُستَخْلَفٍ من آلِ عبَّاسٍ اسلمَ وليس على الأيامِ من باسٍ
أحييتَ من أُملي نِضْواً تَعاوَرَه تعاقبُ اليأسِ حتى مات بالياسِ

[هجا مغنية فهرت وانقطع خبرها]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : كنّا في مجلسٍ ومعنا حسين بن الضَّحَّاك ونحن على نبيذ ؛ فعبثَ بالمغنيةِ وجَمَّشَها ؛ فصاحت عليه واستخفتْ به . فأنشأ يقول² :

لها في وجهها عُكَنُ وثُلثا وجهها دُقَنُ
وأَسنانُ كَرِيشِ البَـ طَّ بين أصولها عَفَنُ

قال : فضحكنا وبكت المغنيةُ حتى قلتُ قد عَمِيتْ ؛ وما انتفعنا بها بقيَّةَ يومنا . وشاع هذان البيتان فكسدتُ من أجلهما . وكانت إذا حضرتُ في موضعٍ أنشدوا البيتين فتُجَنِّ . ثم هربتُ من سرٍّ من رأى ، فما عرفنا لها بعد ذلك خبراً . قال جعفر وحدَّثنا أبو العِناء أنَّه حضر هذا المجلس ، وحكى مثلَ ما حكاه محمد .

[سنه]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني يزيد بن محمد المهلبِي قال : سألتُ حسين بن الضَّحَّاك ونحن في مجلسِ المتوكِّل عن سنِّه ؛ فقال : لستُ أحفظُ السنَّةَ التي وُلِدْتُ فيها بعينها ، ولكنِّي أذكر وأنا بالبصرة موتَ شُعْبَةَ بن الحجاج سنة ستين ومائة .

[اعتذاره للمتوكِّل بكبر السن]

حدَّثني الصُّوْلِي قال حدَّثني علي بن محمد بن نصر قال حدَّثني خالي (يعني أحمد بن حمدون) قال : أمر المتوكِّل أن يُنادمه حسين بن الضَّحَّاك ويلازمه ؛ فلم يُطِقْ ذلك لكبير

1 شعره : 68 .

2 شعره : 109 عن الأغاني .

سنّه . فقال للمتوكّل بعضُ مَنْ حضر عنده : هو يُطيق الذّهَابَ إلى القرى والمواخير والسكرَ فيها ويعجز عن خدمتك ؛ فبلغه ذلك ، فدفع إليّ أبياناً قالها وسألني إيصالها ؛ فأوصلتها إلى المتوكّل ، وهي¹ :

أَمَّا فِي ثَمَانِينَ وَفِيَّهَا	عَذِيرٌ وَإِنَّا لَمْ أَعْتَذِرْ
فَكَيْفَ وَقَدْ جُرْتُهَا صَاعِدًا	مَعَ الصَّاعِدِينَ بَتَسْعَ أُخَرُ
وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ أَقْلَامَهُ	عَنْ ابْنِ ثَمَانِينَ دُونَ الْبَشَرِ
سِوَى مَنْ أَصْرَ عَلَى فِتْنَةٍ	وَالْحَدَّ فِي دِينِهِ أَوْ كَفَرُ
وَإِنِّي لَمَنْ أُسْرَاءُ إِلَّا	هُ فِي الْأَرْضِ نُصِبَ صُرُوفِ الْقَدَرِ
فَإِنْ يَقْضَ لِي عَمَلًا صَالِحًا	أَثَابَ وَإِنْ يَقْضَ شَرًّا غَفَرَ
فَلَا تَلَحْ فِي كَيْرٍ هَدَنِي	فَلَا ذَنْبَ لِي أَنْ بَلَغْتُ الْكِبَرِ
هُوَ الشَّيْبُ حَلَّ بِعَقَبِ الشَّبَابِ	فَاعْقِبْنِي خَوْرًا مِنْ أَشَرِ
وَقَدْ بَسَطَ اللَّهُ لِي عَذْرَهُ	فَمَنْ ذَا يُلُومُ إِذَا مَا عَذَرُ
وَإِنِّي لَفِي كَنْفٍ مُغْدِقٍ	وَعَزَّ بِنَصْرِ أَبِي الْمُنْتَصِرِ
يُيَارِي الرِّيحَ بِفَضْلِ السَّمَاءِ	حَ حَتَّى تَبْلُغَ أَوْ تَنْحَسِرِ
لَهُ أَكْدُ الْوَحْيِ مِيرَاثُهُ	وَمَنْ ذَا يُخَالِفُ وَحْيَ السُّورِ
وَمَا لِلْحُسُودِ وَأَشْيَاعِهِ	وَمَنْ كَذَبَ الْحَقَّ إِلَّا الْحَجَرُ

قال ابن حمدون : فلمّا أوصلتها شيعتها بكلامي أعذّره ، وقلت : لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعد بها . فقال المتوكّل : صدقت ، خذْ له عشرين ألف درهم واحملها إليه ؛ فأخذتها فحملتها إليه .

[ضربه الخلفاء من الرشيد إلى الواثق]

حدّثني عمّي قال حدّثني عليّ بن محمّد بن نصر قال حدّثني خالي عن حسين بن الضحّاك قال : ضربني الرشيد في خلافته لصحبتي ولده ، ثم ضربني الأمين لمُمايلة ابنه عبد الله ، ثم ضربني المأمون لميلّي إلى محمّد ، ثم ضربني المعتصم لمودة كانت بيني وبين العباس بن المأمون ، ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكّل ، وكلّ ذلك يجري مجرى الوَلَعِ بي والتحذير لي . ثم أحضرني المتوكّل وأمر شفيعاً بالوَلَعِ بي ، فتغاضب المتوكّل عليّ . فقلت له :

يا أمير المؤمنين ، إن كنت تريد أن تضربني كما ضربني أبؤك ، فاعلم أن آخر ضرب
ضربت بسببك . فضحك وقال : بل أحسن إليك يا حسين وأصونك وأكرمك .
[حاله في أواخر أيامه]

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن
محمد بن مروان الأبراري¹ قال : دخلت على حسين بن الضحّاك ، فقلت له : كيف أنت ؟
جعلني الله فداءك ! فبكى ثم أنشأ يقول² :

أصبحتُ من أسراء الله مُحْتَبَساً في الأرض نحو قضاء الله والقَدَرِ
إنَّ الثمانين إذ وقيتُ عدتها لم تُبقِ باقيةً منِّي ولم تَدْرِ

1 نسبة إلى الأبرار وهي قرية قرية من نيسابور وقد تقدّم «الأبراري» .

2 شعره : 62 .

[107] - أخبار أبي زكار الأعمى¹

[مغنٌ بغداديّ قديم انقطع لآل برمك]

قال أبو الفرج : أبو زكار هذا رجلٌ من أهل بغداد من قدماء المغنين ، وكان منقطعاً إلى آل برمك ، وكانوا يؤثرونه ويُفضّلون عليه إفضالاً .

[قتل جعفر البرمكي وهو يغنيه]

فحدثني محمد بن جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال : سمعت مسروراً يحدث أبي قال : لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى ، دخلتُ عليه وعنده أبو زكار الأعمى وهو يغنيه بصوت لم أسمع بمثله :

فلا تَبْعُدْ فكلُّ فتى سيأتي عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي²
وكلّ ذخيرة لا بدّ يوماً وإن بَقِيَتْ تصويرٌ إلى نَفَادِ
ولو يُفَدَى من الحداث شيءٌ فديتُك بالطريف وبالتلادِ

فقلت له : في هذا والله أتيتك ! فأخذت بيده فأقمته وأمرت بضرب عنقه .

[طلب أن يقتل مع جعفر]

فقال لي أبو زكار : نشدتك الله إلا ألحقني به . فقلت : وما رغبتك في ذلك ؟ قال : إنه أغنانني عمّن سواه بإحسانه ، فما أحبُّ أن أبقى بعده . فقلت : أستاذُ أمير المؤمنين في ذلك . فلما أتيت الرشيد برأس جعفر أخبرته بقصة أبي زكار ؛ فقال لي : هذا رجل فيه مُصْطَنَعٌ ، فاضمّمه إليك وانظر ما كان يُجرّيه عليه فاتممّه له .

[صوت مرق في العمى]

حدثني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق قال : غنى غلّويه يوماً بحضرة أبي ؛ فقال أبي : مه ! هذا الصوت مُعْرِقٌ في العمى . الشّعْر لبشار الأعمى ، والغناء لأبي زكار الأعمى ، وأوّل الصوت «عميت أمري» .

1 يذكر أبو زكار الأعمى في جميع كتب التاريخ التي تتحدث عن نكبة البرامكة . انظر الطبري (أبو الفضل إبراهيم 8 : 295) ، ووفيات الأعيان 1 : 338 .

2 فلا تبعد : هذا دعاء .

صوت
من المائة المختارة
من رواية جحظة عن أصحابه¹

[من الخفيف]

ما جَرَتْ خَطْرَةٌ عَلَى الْقَلْبِ مِنِّي فَيْلِكُ إِلَّا اسْتَرْتُ عَنْ أَصْحَابِي
 مِنْ دَمْعٍ تَجْرِي، فَإِنْ كُنْتُ وَحْدِي خَالِيًا أَسْعَدْتُ دَمْعِي انْتِحَابِي
 إِنْ حَبِّي إِيَّاكَ قَدْ سَلَّ جِسْمِي وَرَمَانِي بِالشَّيْبِ قَبْلَ الشَّبَابِ
 لَوْ مَنَحْتَ اللَّقَا شَفَى بَكَ صَبًّا هَائِمَ الْقَلْبِ قَدْ ثَوَى فِي التَّرَابِ
 الشعر في الأبيات للسيد الحميري . والغناء لمحمد نعة الكوفي ، مُغَنٍّ غير مشهور ولا مَنَّ
 خدام الخلفاء وليس له خبر . ولحنه المختارُ ثاني ثَقِيل مطلق في مجرى البنصر . وذكر حبش
 أنَّ لمحمد نعة فيه أيضاً خفيفَ رمل بالبنصر .

[108] - أخبار السيد الحميري¹

[نبه]

السيد لقبه . واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مُفَرَّغ الحميري . ويكنى أبا هاشم . وأمه امرأة من الأزد ثم من بني الحُدَّان . وجدّه يزيد بن ربيعة ، شاعر مشهور ، وهو الذي هجا زياداً² وبنيه ونفاهم عن آل حرب ؛ وحبسه عُبيد الله بن زياد لذلك وعذّبه ، ثم أطلقه معاوية . وخبره في هذا طويل يُذكر في موضعه مع سائر أخباره ؛ إذ كان الغرض هاهنا ذكر أخبار السيد .

ووجدتُ في بعض الكتب عن إسحاق بن محمد النخعي قال : سمعتُ ابن عائشة والقحذمي يقولان : هو يزيد بن مُفَرَّغ ، ومن قال : إنه يزيد بن معاوية فقد أخطأ . ومفَرَّغ لقب ربيعة ؛ لأنه راهن أن يشرب عُساً من لبن فشربه حتى فرَّغه ؛ فلقب مفَرَّغاً . وكان شَعَاباً بسِيالة³ ، ثم صار إلى البصرة .

[ترك شعره لدمه الصحابة]

وكان شاعراً متقدماً مطبوعاً . يقال : إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشَّار ، وأبو العتاهية ، والسيد ؛ فإنه لا يُعلم أن أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع . وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يُفَرِّط فيه من سب أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه في شعره ويستعمله من قذِفهم والطعن عليهم ، فتُحومي شعره من هذا الجنس وغيره لذلك ، وهجره الناس تخوفاً وتراقباً . وله طراز من الشعر ومذهب قَلَمًا يُلَحَقُ فيه أو يُقَارِبُه . ولا يُعرف له من الشعر كثيرٌ وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذم غيرهم ممن هو عنده ضدُّ لهم . ولولا أن أخباره كلّها تجري هذا المجرى ولا تخرج عنه لوجب ألا نذكر منها شيئاً ؛ ولكننا شَرَطْنَا أن نأتي بأخبار مَنْ نذكره من الشعراء ؛ فلم نجد بُدّاً من ذكر أسلم ما وجدناه له وأخلاقها من سيئ اختياره على قلة ذلك .

1 للسيد الحميري ترجمة في طبقات ابن المعتز : 32 وابن خلكان 6 : 343 وفوات الوفيات 1 : 188-193

والوافي 9 رقم 5003 وقد جمع ديوانه شاعر هادي شكر (منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت) .

2 المقصود زياد بن أبيه والي معاوية على العراق .

3 الشعاب : الذي يصلح شعب الإناء أي صدعه . والسِيالة : أوّل مرحلة بعد المدينة في طريق الذهاب إلى مكة .

[كان أبواه إباضيين ولما تشيّع همّا بقتله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمّد النّوفليّ عن إسماعيل بن الساحر راوية السيّد ، قال ابن عمّار وحدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه : أنّ أبوي السيّد كانا إباضيين ، وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بني ضبّة ، وكان السيّد يقول : طالما سبّ أمير المؤمنين في هذه الغرفة . فإذا سُئِلَ عن التشيّع من أين وقع له ، قال : غاصت عليّ الرحمة غوصاً .

وروي عن السيّد أنّ أبويه لما علما بمذهبه همّا بقتله ؛ فأتى عُقبة بن سلّم الهنائيّ فأخبره بذلك ، فأجاره وبوّاه منزلاً وهبه له ، فكان فيه حتى ماتا فورثهما .
[على مذهب الكيسانية]

وقد أخبرني الحسن بن عليّ البرقيّ عن محمّد بن عامر عن القاسم بن الرّبيع عن أبي داود سليمان بن سفيان المعروف بالحنزق راوية السيّد الحميميّ قال : ما مضى والله إلّا على مذهب الكيسانية . وهذه القصائد التي يقولها¹ الناس مثل :

تجعفرتُ باسم الله والله أكبرُ
و تجعفرتُ باسم الله فيمّن تجعفرا

وقوله² : [من الطويل]

أيّا راكباً نحو المدينة جَسْرَةً غُدافرةً تهوي بها كلّ سَنَسَبٍ³
إذا ما هداك الله لاقيتَ جعفرأ فقل يا أمين الله وابن المهذب⁴

لغلام للسيّد يقال له قاسم الخياط ، قالها ونحلّها للسيّد ، وجازت على كثير من الناس ممّن لم يعرف خبرها ، بمحل قاسم منه وخدمته إياه .

[أوصافه ومواهبه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمّد النّوفليّ قال حدّثني أبو جعفر الأعرج ابن بنت الفضيل بن بشّار قال : كان السيّد أسمر ، تامّ القامة ، أشنب⁵ ، ذا وفرة ،

1 ل : ينشدها .

2 ديوانه : 114-117 ولم يشر إلى كونها لغلامه قاسم الخياط .

3 تهوي في الديوان : يطوي .

4 رواية هذا البيت في الديوان :

إذا ما هداك الله عاينت جعفرأ فقل لولي الله وابن المهذب

5 الشنب : يياض الأسنان وبريقها .

حسن الألفاظ ، جميل الخطاب ، إذا تحدّث في مجلس قوم أعطى كل رجل في المجلس نصيبه من حديثه .

[رأي الفرزدق فيه وفي عمران بن حطان]

أخبرني أحمد قال حدّثني محمد بن عبّاد عن أبي عمرو الشيباني عن لَبْطَة بن الفرزدق قال : تذاكرنا الشعراء عند أبي ، فقال : إن هاهنا لرجلين لو أخذّا في معنى الناس لما كنّا معهما في شيء . فسألناه من هما ؟ فقال : السيّد الحميري وعمران بن حِطّان السّدوسي ، ولكن الله عزّ وجلّ قد شغل كلّ واحد منهما بالقول في مذهبه .

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني عليّ بن محمد النوفليّ قال حدّثني أبو جعفر ابن بنت الفضيل بن بشّار قال : كان السيّد أسمر ، تامّ الخلقة ، أشنب ، ذا وفرة ، حسن الألفاظ ، وكان مع ذلك اتّن الناس إبطين ، لا يقدر أحدٌ على الجلوس معه لتتن رائحتهما .

[رأي الأصمعيّ]

قال حدّثني التّوّزيّ قال : رأى الأصمعيّ جزءاً فيه من شعر السيّد ، فقال : لمن هذا ؟ فسترته عنه لعلمي بما عنده فيه ؛ فأقسم عليّ أن أخبره فأخبرته ؛ فقال : أنشدني قصيدةً منه ؛ فأنشدته قصيدةً ثم أخرى وهو يستزيدني ، ثم قال : قبّحه الله ما أسلكه لطريق الفحول ! لولا مذهبه ولولا ما في شعره ما قدّمت عليه أحدٌ من طبقته .

[رأي أبي عبيدة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم قال : سمعتُ أبا عبيدة يقول : أشعر المُحدّثين السيّد الحميريّ وبشّار .

[مذهبه]

أخبرني عمّي قال حدّثني الحسن بن عُليّ العنزّيّ عن أبي شُراعة القَيْسيّ عن مسعود بن بشر : أن جماعةً تذاكروا أمر السيّد ، وأنّه رجّع عن مذهبه في ابن الخنفة وقال بإمامة جعفر بن محمد¹ . فقال ابنُ السّاحر راويته : والله ما رجّع عن ذلك ولا القصائد الجعفرية إلاّ منحوّلة له قيلت بعده . وآخر عهدي به قبل موته بثلاث وقد سمع رجلاً يروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال لعليّ عليه السلام : «إنّه سيُولد لك بعدي ولدٌ وقد نَحَلْتُهُ اسمي وكُنيتي» فقال في ذلك وهي آخر قصيدة قالها² :

[من الوافر]

1 أي أنّه تحول عن الكيسانية إلى مذهب الإمامية .

2 ديوانه : 181-184 .

أَشَاقَتْكَ الْمَنَازِلُ بَعْدَ هِنْدٍ وَتَرْبِيهَا وَذَاتِ الدَّلِّ دَعْدٍ
مَنَازِلُ أَقْفَرَتْ مِنْهُنَّ مَحَّتْ مَعَالِمُهُنَّ مِنْ سَبَلٍ وَرَعْدٍ¹
وَرِيحٌ حَرْجَفٍ تَسْتَنُّ فِيهَا بِسَافِي التُّرْبِ تُلْجِمُ مَا تُسَدِّي²
أَلَمْ يَبْلُغْكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي مَقَالُ مُحَمَّدٍ فِيمَا يُؤَدِّي³
إِلَى ذِي عِلْمِهِ الْهَادِي عَلِيٍّ وَخَوْلَةُ خَادِمٍ فِي الْبَيْتِ تَرْدِي⁴
أَلَمْ تَرَ أَنَّ خَوْلَةَ سَوْفَ تَأْتِي بَوَارِي الرُّنْدِ صَافِي الْخِيَمِ نَجْدِي⁵
يَفُوزُ بِكُنْيَتِي وَاسْمِي لِأَنِّي نَحَلْتُهِمَاهُ وَالْمَهْدِيَّ بَعْدِي
يُغَيِّبُ عَنْهُمْ حَتَّى يَقُولُوا تَضَمَّنَهُ بِطَيْبَةِ بَطْنٍ لَحْدِي
سَنِينَ وَأَشْهُرًا وَيُرَى بَرَضَوِي بِشُعْبِ بَيْنِ أُنْمَارٍ وَأُسْدِي
مَقِيمٍ بَيْنَ آرَامٍ وَعَيْنٍ وَحَفَّانٍ تَرُوحُ خِلَالَ رَبْدِي⁶
تُرَاعِيهَا السَّبَاعُ وَلَيْسَ مِنْهَا مَلَاقِيَهُنَّ مَفْتَرَسًا بَحْدِي
أَمِنَ بِهِ الرَّدَى فَرْتَعَنَ طَوْرًا بَلَا خَوْفٍ لَدَى مَرْعَى وَوَرْدِي
حَلَفْتُ رَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى وَبَيْتِ طَاهِرِ الْأَرْكَانِ فَرْدِي
يَطُوفُ بِهِ الْحَجِيجُ وَكُلَّ عَامٍ يَحُلُّ لَدَيْهِ وَفْدٌ بَعْدَ وَفْدِي⁶
لَقَدْ كَانَ ابْنُ خَوْلَةَ غَيْرَ شَكٍّ صَفَاءً وَلَا يَتِيَّ وَخُلُوصَ وَدِّي
فَمَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ فِيمَا أُسِرَّ وَمَا أَبُوحَ بِهِ وَأُبْدِي
سِوَى ذِي الْوَحْيِ أَحْمَدُ أَوْ عَلِيٍّ وَلَا أَزْكَى وَأَطْيَبُ مِنْهُ عِنْدِي
وَمَنْ ذَا يَا ابْنَ خَوْلَةَ إِذْ رَمَتْنِي بِاسْتِغْنَاءِ الْمَنِيَّةِ حِينَ وَعْدِي
يُذْنِبُ عَنْكُمْ وَيَسُدُّ مِمَّا تَثَلَّمُ مِنْ حَصُونِكُمْ كَسَدِّي
وَمَا لِي أَنْ أُمِرَّ بِهِ وَلَكِنْ أَوْمِلُ أَنْ يُوَخَّرَ يَوْمُ فَقْدِي

1 مَحَّتْ : عَفَتْ . السَّبَلُ : الْمَطَرُ .

2 الرِّيحُ الْحَرْجَفُ : الرِّيحُ الْبَارِدَةُ . تَسْتَنُ : تَسْرِعُ . بِسَافِي فِي ل : بِهَارِي .

3 تَرْدِي : تَلْعَبُ .

4 الْخِيَمُ : الطَّيْبَةُ وَالسَّجِيَّةُ .

5 حَفَّانٍ : صِغَارُ النَّعَامِ .

6 يَطُوفُ فِي ل : يَطِيفُ .

فأدرك دولةً لك لستَ فيها بجبار فتوصفَ بالتعدّي
على قوم بَعَوْا فيكم علينا لتُعدي منكم يا خير مُعدٍّ¹
لتعلُّ بنا عليهم حيث كانوا بغورٍ من تهامة أو بنجد
إذا ما سرتَ من بلد حرامٍ إلى مَنْ بالمدينة من معدٍّ²
وماذا غرَّهم والخيرُ منهم بأشوسٍ أعصلَ الأنيابِ ورَدٍّ²
وأنتَ لمن بغى وعداً وأذكى عليك الحربَ واسترداك مُردٍّ

في البيتين الأولين من هذه القصيدة غناء ؛ نسبته : [من الوافر]

صوت

أشأقتك المنازلُ بعدَ هندی وترئبُها وذاتِ الدَّلِّ دعدٍ
منازلُ أقفرتَ منهنَّ مَحَّتْ معالمهنَّ من سَبَلٍ ورعدٍ

عروضه من الوافر . الشعر للسيد الحميري . والغناء لمبعد ثقيلٌ أوَّل بالسبابة في مجرى
البنصر عن يحيى المكي . وذكر الهشامي أنه لكرِّم . وذكر عمرو بن بانه أن اللحن للملك ثقيلٌ
أوَّل بالوسطى .

وقال إسماعيل بن الساحر راوية السيد : كنتُ عنده يوماً في جناح له ، فأجال بصره
فيه ثم قال : يا إسماعيل ، طال والله ما شتيمُ أمير المؤمنين عليٍّ في هذا الجناح . قلت : ومن
كان يفعل ؟ قال : أبوي . وكان يذهب مذهب الكيسانية ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ،
وله في ذلك شعر كثير . وقد روى بعضُ مَنْ لم تصحَّ روايته أنه رجع عن مذهبه وقال
بمذهب الإمامية ، وله في ذلك³ :

تجعفرتُ باسم الله والله أكبر وأيقنتُ أن الله يعفو ويغفرُ
وما وجدنا ذلك في رواية مُحصِّل ، ولا شعره أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب ،
لأنَّ هذا شعر ضعيفٌ يبيِّن التوليدُ فيه ، وشعره في قصائده الكيسانية مبينٌ لهذا جزالة ومتانة ،

1 المعدي : الناصر .

2 أعصل الأنياب : معوجها .

3 هكذا رواية البيت في طبقات ابن المعتز وفي الديوان :

ولما رأيت الناس في الدين قد غووا تجعفرتُ باسم الله فيمن تجعفروا
وناديتُ باسم الله والله أكبر وأيقنتُ أن الله يعفو ويغفر
ولم يُشر جامعه إلى الأغاني مع أنه من مصادره .

وله رونق ومعنى ليسا لما يُذكر عنه في غيره .

[رأى الأصمعي مرة أخرى]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد الثمالي قال حدثني التوزي قال قال لي الأصمعي : أحب أن تأتيني بشيء من شعر هذا الحميري فعَل الله به وفعل ؛ فأتيته بشيء منه ؛ فقرأه فقال : قاتله الله ! ما أطبعه وأسلكه لسبيل الشعراء ! والله لولا ما في شعره من سب السلف لما تقدّمه من طبقته أحد .

[رأى أبي عبيدة مرة أخرى]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال : أتيت أبا عبيدة معمر بن المثنى يوماً وعنده رجل من بني هاشم يقرأ عليه كتاباً ؛ فلما رأيته أطبقه . فقال له أبو عبيدة : إن أبا زيد ليس ممن يُحتشم منه ، فاقراً . فأخذ الكتاب وجعل يقرأه ، فإذا هو شعر السيد . فجعل أبو عبيدة يعجب منه ويستحسنه . قال أبو زيد : وكان أبو عبيدة يرويه . قال : وسمعت محمد بن أبي بكر المقدمي يقول : سمعت جعفر بن سليمان الضبعي يُنشد شعر السيد .

أخبرني ابن ذرئد قال : سئل أبو عبيدة من أشعر المولدين ؟ قال : السيد وبشار .

[عدم الإحاطة بشعره]

وقال الموصلي حدثني عمي قال : جمعت للسيد في بني هاشم ألفين وثلاثمائة قصيدة ؛ فخلت أن قد استوعبت شعره ، حتى جلس إلي يوماً رجل ذو أظمار رثة ، فسمعني أنشد شيئاً من شعره ، فأنشدني له ثلاث قصائد لم تكن عندي . فقلت في نفسي : لو كان هذا يعلم ما عندي كله ثم أنشدني بعده ما ليس عندي لكان عجباً ، فكيف وهو لا يعلم وإنما أنشد ما حضره ؛ وعرفت حينئذ أن شعره ليس مما يدرك ولا يمكن جمعه كله .

[رأى بشار فيه]

أخبرني عمي قال حدثني الكرائي عن ابن عائشة قال : وقف السيد على بشار وهو يُنشد الشعر ؛ فأقبل عليه وقال ² :

[من الخفيف]

أيها المادح العباد ليعطى إن الله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت إليهم وارح نفع المنزل العواد

1 تقدم الكلام على رأي الأصمعي وأبي عبيدة في شعره .

2 ديوان السيد الحميري : 180 وسترد هذه الأبيات في ترجمة عمران بن حطان مع الفرزدق ، وانظر ديوان شعر الخوارج ، القطعة (203) .

لا تَقُلْ في الجَوَادِ ما ليس فيه وتُسَمِّي البَخِيلَ باسم الجَوَادِ

قال بَشَّار : مَنْ هذا ؟ فَعُرِّقَهُ ؛ فقال : لولا أَنَّ هذا الرجلَ قد شُغِلَ عَنَّا بمدحِ بني هاشم لشغلنا ، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا . وروى في هذا الخبر أَنَّ عِمْرانَ بنَ حِطَّانَ الشَّارِي¹ خاطب الفرزدق بهذه المخاطبة وأجابه بهذا الجواب .

[سبه السلف]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفَش عن سعيد بن المسيَّب عن أبي سعيد السَّكْرِيِّ عن الطُّوسِيِّ قال : إذا رأيتَ في شعر السيِّد «دَعْ ذَا» فدعه ؛ فَإِنَّه لا يَأْتِي بعده إِلَّا سَبُّ السَّلَفِ أو بَلِيَّةٌ من بَلَاياه .

[تفسير ابن سيرين لرؤياه]

وروى الحسن بن علي بن المعتز الكوفي عن أبيه عن السيِّد قال : رأيتُ النبي ﷺ في النوم وكأنَّه في حديقةٍ سَبِيخةٍ فيها نخل طَوَالٌ وإلى جانبها أرض كأنَّها الكافورُ ليس فيها شيء ؛ فقال : أتَدْرِي لِمَن هذا النخل ؟ قلت : لا يا رسول الله ؛ قال : لامرئ القيس بن حُجْر ، فاقْلَعُها واغْرِسْها في هذه الأرض ففعلتُ . وأتيتُ ابنَ سيرينَ فَقَصَصْتُ رؤيَايَ عليه ؛ فقال : أتَقول الشعر ؟ قلت : لا ؛ قال : أما إِنَّكَ ستقول شعراً مثْلَ شعر امرئ القيس إِلَّا أَنَّكَ تقوله في قوم بَرَّةٍ أَطْهَار . قال : فما انصرفتُ إِلَّا وأنا أَقولُ الشعر .

[شهد جماعة بأنه مطبوع]

قال الحسن وحدثني غانم الوراق قال : خرجت إلى بادية البصرة فصيرتُ إلى عمرو بن تميم ، فأثبنتي بعضهم فقال : هذا الشيخُ والله راوية . فجلسوا إليّ وأنسوا بي ، وأنشدتهم ، وبدأتُ بشعر ذي الرِّمَّةِ فعرفوه ، وبشعر جرير والفرزدق فعرفوهما ؛ ثم أنشدتهم للسيِّد² :

أُتَعْرِفُ رَسْماً بالسَّوِّتَيْنِ قَدْ دَثَرَ عَقَّتْهُ أَهَاضِيبُ السَّحَابِ وَالْمَطَرُ³
وَجَرَّتْ بِهِ الْأَذْيَالُ رِيحَانِ خِلْفَةً صَباً وَدُبُورٌ بِالْعَشِيَّاتِ وَالْبُكْرِ
مَنَازِلُ قَدْ كَانَتْ تَكُونُ بِجَوْهَا هَضِيمُ الْحِشَا رِيّاً الشَّوْى سِحْرُهَا النَّظَرُ

1 الشاري : أحد الثُّرَاة وهم طائفة من الخوارج باعوا أنفسهم لله . إشارة إلى الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ .

2 ديوانه : 253 .

3 السَّوِّتَيْنِ في بعض المصادر ونسخ الأغاني : الثوين . أهاضيب : جمع أهضوبة وهي الدفعة من المطر .

قَطُوفُ الْخُطَا خَمْصَانَةٌ بَخْتَرِيَّةٌ كَأَنَّ مُحِيَّاهَا سَنَا دَارَةَ الْقَمَرِ
رَمْتَنِي يُبْعِدُ بَعْدَ قَرَبٍ بِهَا النُّوَى فَبَانَتْ وَلَمَّا أَقْضَى مِنْ عَبْدَةِ الْوَطْرِ
وَلَمَّا رَأَيْتَنِي خَشِيَةَ الْبَيْنِ مُوجِعاً أَكْفَكِفْ مِنِّي أَدْمَعاً فَيَضُّهَا دَرَرٌ
أَشَارَتْ بِأَطْرَافٍ إِلَيَّ وَدَمَعُهَا كَنَظْمِ جُمَانٍ خَانَهُ السَّلْكُ فَاتَثَّرَ
وَقَدْ كُنْتُ تَمَّا أَحْدَثَ الْبَيْنُ حَازِراً فَلَمْ يُغْنِ عَنِّي مِنْهُ خَوْفِي وَالْحَذَرُ
قال : فجعلوا يُمرِّقون¹ لإنشادي ويطربون ، وقالوا : لِمَنْ هذا ؟ فأعلمتهم ؛ فقالوا : هو
والله أخذ المطبوعين ، لا والله ما بقي في هذا الزمان مثله .

[شعر تجوز قراءته على المنابر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدثنا الزبير بن بكّار قال :
سمعتُ عمّي يقول : لو أن قصيدة السيّد التي يقول فيها² :
[من الخفيف]
إِنَّ يَوْمَ التَّطْهِيرِ يَوْمٌ عَظِيمٌ خُصَّ بِالْفَضْلِ فِيهِ أَهْلُ الْكِسَاءِ³
قُرُئَتْ عَلَى مَنِيرٍ مَا كَانَ فِيهَا بَأْسٌ ، وَلَوْ أَنَّ شَعْرَهُ كُلَّهُ كَانَ مِثْلَهُ لَرَوَيْنَاهُ وَمَا عَيْنَاهُ .
وأخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدثنا العباس بن ميمون طائع قال حدثنا نافع عن
التّوّزيّ بهذه الحكاية بعينها فإنّه قالها في :
[من الخفيف]
إِنَّ يَوْمَ التَّطْهِيرِ يَوْمٌ عَظِيمٌ

[أعرابيّ يفضّله على جرير]

قال : ولم يكن التّوّزيّ متشيعاً . قال عليّ بن المغيرة حدثني الحسين بن ثابت قال : قدِمَ
علينا رجل بدويّ وكان أروى الناس لجرير ، فكان يُنشِِدُنِي الشَّيْءَ مِنْ شَعْرِهِ ، فَأَنْشِدُ فِي مَعْنَاهُ
لِلسَّيِّدِ حَتَّى أَكْثَرْتُ . فقال لي : ويحك ؛ مَنْ هذا ؟ هو والله أشعر من صاحبنا .
[مدح السفاح]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدثني الحسن بن عُثَيْلٍ العنزيّ عن ابن عائشة قال : لما استقام
الأمر لبني العباس قام السيّد إلى أبي العباس السفّاح حين نزل عن المنبر فقال⁴ :
[من السريع]
دُونَكُمْوَهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ فَجَدُّدُوا مِنْ عَهْدِهَا الدَّارَسَا

1 يمرقون : يغنون .

2 لم يرد هذا البيت في ديوانه المطبوع .

3 أهل الكساء : هم علي وفاطمة والحسن والحسين كما في بعض الروايات .

4 ديوانه : 258-259 مع بعض اختلاف في بعض الأبيات .

دُونَكُمْوْهَا لَا عَلَا كَعْبُ مَنْ كَانَ عَلَيْكُمْ مُلْكُهَا نَافِسَا
دُونَكُمْوْهَا فَالْبَسُوا تَاجَهَا لَا تَعْدَمُوا مِنْكُمْ لَهُ لَابِسَا
لَوْ خَيْرُ الْمُنِيرِ فُرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسَا
قَدْ سَاسَهَا قَبْلَكُمْ سَاسَةً لَمْ يَتْرَكُوا رَطْبًا وَلَا يَابِسَا
وَلَسْتُ مِنْ أَنْ تَمْلِكُوْهَا إِلَى مَهِيْطِ عَيْسَى فَيْكُمْ آيَسَا

فسرَّ أبو العباس بذلك ، وقال له : أحسنت يا إسماعيل ! سلني حاجتك ؛ قال : تُؤَلِّي سليمان بن حبيب الأهواز ، ففعل .

[جعفر بن محمد يكي لسامع شعره]

وذكر التميمي ، وهو علي بن إسماعيل ، عن أبيه قال : كنتُ عند أبي عبد الله جعفر بن محمد إذ استأذن أذنه للسيد ، فأمره بإيصاله ، وأُقعد حُرْمَه خلف سترٍ . ودخل فسلم وجلس . فاستنشده فأنشده قوله¹ :

أُمرُّز على جدِّ الحسيه من فُقل لأعْظُمِهِ الزَكِيَّةُ²
آأعْظُمَا لَا زِلْتِ مِنْ وَطَفَاءِ سَاكِبِيَّةِ رَوِيَّةِ³
وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَأُطِلْ بِهِ وَقِفِ الْمَطِيَّةِ⁴
وَابْكِي الْمُطَهَّرَ لِلْمُطَهَّرِ رِ الْمُطَهَّرَةِ النَّقِيَّةِ⁴
كَبْكَاءِ مُعُولِيَّةِ أَتَتْ يَوْمًا لَوَاحِدَهَا الْمُنِيَّةِ⁵

قال : فرأيتُ دموعَ جعفر بن محمد تتحدَّر على خديهِ ، وارتفع الصُّراخ والبكاء من داره ، حتى أمره بالإمساك فأمسك . قال : فحدثتُ أبي بذلك لما انصرفت ؛ فقال لي : ويلي على الكيساني الفاعل ابن الفاعل ! يقول :

فإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَأُطِلْ بِهِ وَقِفِ الْمَطِيَّةِ

فقلت : يا أبتِ ، وماذا يصنع ؟ قال : أَوَلَا يَنْحَرُ ! أَوَلَا يَقْتُلُ نَفْسَهُ ! فَتَكَلِّتُهُ أُمُّهُ ! .

1 ديوانه : 470 .

2 فُقل في الديوان : وقل .

3 آأعْظُمَا في الديوان : يا أعْظُمَا . وطفاء : ثقيلة لكثرة ماثها .

4 النقية في الديوان : الزكية .

5 أَتَتْ في الديوان : غدت .

[من أفضل الناس بعد النبي !]

حدّثني أبو جعفر الأعرج ، وهو ابن بنت الفضيل بن بشّار ، عن إسماعيل بن الساحر راوية السيّد ، وهو الذي يقول فيه السيّد في بعض قصائده¹ :

وإسماعيلُ يَبْرُزُ من فلانٍ ويزعمُ أنّه للنّارِ صالي
قال : تلاحي رجلاً من بني عبد الله بن دارم في المفاضلة بعد رسول الله ﷺ وآله ؛ فرضيا بحكم أوّل من يطلّع . فطلع السيّد ، فقاما إليه وهما لا يعرفانه ، فقال له مفضل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه منهما : إني وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، فقلت : عليّ بن أبي طالب . فقطع السيّد كلامه ثم قال : وأي شيء قال هذا الآخر ابن الزانية ؟ فضحك من حضر ووجّه الرجل ولم يُجِرْ جواباً .

[ما يغفره الله لحبّ علي !]

وقال التّميميّ وحدّثني أبي قال قال لي فضيل الرّسان : أنشد جعفر بن محمّد قصيدة السيّد² :

لأُم عمرو باللّوى مرْبُعُ دارسةً أعلامه بلقَعُ
فسمعتُ النّحيبَ من داره . فسألني لمن هي ، فأخبرته أنّها للسيّد ، وسألني عنه فعرفته وفاته ؛ فقال : رحمه الله . قلت : إني رأيته يشرب النّبيذ في الرّستاق³ ؛ قال : أتعني الخمر ؟ قلت نعم . قال : وما خطرُ ذنبٍ عند الله أن يغفره لمحبّ عليّ ! .
[قوله بالرجعة]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن موسى قال : جاء رجلٌ إلى السيّد فقال : بلغني أنّك تقول بالرجعة⁴ ؛ فقال : صدق الذي أخبرك ، وهذا ديني . قال : أفتعطيني ديناراً بمائة دينار إلى الرّجعة ؟ قال السيّد : نعم وأكثر من ذلك إن وثّقت لي بأنك ترجع إنساناً . قال : وأي شيء أرجع ؟ قال : أخشى أن ترجع كلباً أو خنزيراً فيذهب مالي ؛ فأفحمه .
[جعفر بن عفان الطائي ومهره]

أخبرني⁵ الحسن بن عليّ قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال قال جعفر بن عفان الطائيّ

1 لم يرد هذا البيت في ديوانه .

2 ديوانه : 261 .

3 الرستاق : كل موضع فيه مزدراع وقرى .

4 الرجعة : مذهب من يقول بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت .

5 هذه حكاية مقحمة على ترجمة السيّد الحميري . ولعلّ الذي دعا أبا الفرج إلى إدراجها هنا هو النيل من عمر في الأبيات الأربعة الأخيرة من الشعر جرياً على طريقة الحميري في سبّ السلف .

الشاعر : أهدى إليّ سليمان بن عليّ مُهرًا أعجبنى وعزمتُ تربتَه . فلَمَّا مضت عليّ أشهرٌ عزمتُ على الحجّ ، ففكرتُ في صديق لي أودعه المهرَ ليقومَ عليه ، فأجمع رأيي على رجل من أهلي يقال له عمر بن حفص ، فصرتُ إليه فسألتُه أن يأمر سائسَه بالقيام عليه وخبرته بمكانه من قلبي ؛ ودعا بسائسَه فتقدّم إليه في ذلك ؛ ووهبتُ للسائس دراهمَ وأوصيته به ، ومضيتُ إلى الحجّ . ثم انصرفتُ وقلبي متعلّق به ، فبدأتُ بمنزل عمر بن حفص قبل منزلي لأعرف حالَ المهر ، فإذا هو قد ركبَ حتى دبرَ ظهره وعجفَ من قلة القيام عليه . فقلتُ له : يا أبا حفص ، أهكذا أوصيتك في هذا المهر ! فقال : وما ذنبي ! لم يتّجّع فيه العلفُ . فانصرفتُ به وقلت :

مَنْ عاذري من أبي حفص وثقتُ به	وكان عندي له في نفسه خطرُ
فلم يكن عند ظنّي في أمانته	والظنّ يُخلف والإنسانُ يُخترُ
أضاع مهري ولم يُحسن ولايته	حتى تبينَ فيه الجُهدُ والضُرُّ
عائبته فيه في رفق فقلتُ له	يا صاح هل لك من عذر فتعذّرُ
فقال داءٌ به قدماً أضّرّ به	وداؤه الجوعُ والإتعابُ والسفرُ
قد كان لي في اسمه عنه وكُنيتُه	لو كنتُ مُعتبراً ناهٍ ومُعتبرُ
فكيف ينصحني أو كيف يحفظني	يوماً إذا غبتُ عنه واسمه عمرُ
لو كان لي ولَدٌ شتّى لهم عددُ	فيهم سميّوه إن قَلُّوا وإن كثُروا
لم ينصحوا لي ولم يُنقُوا عليّ ولو	ساوى عديدهمُ الحصباءُ والشجرُ

[هجاء بني عدي وبني تيم]

قال وحدّثني أبو سليمان النّاجي قال : جلس المهديّ يوماً يعطي قريشاً صِلات لهم وهو وليّ عهدٍ ، فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قُريش . فجاء السيّد فرفع إلى الرّبيع¹ رقعةً مختومة وقال : إن فيها نصيحةً للأمير فأوصلها إليه ، فأوصلها ، فإذا فيها² : [من الكامل]
 قُل لابن عَبّاسٍ سَمِيّ مُحَمَّدٍ لا تُعْطِينَ بني عَدِيّ درهماً³
 احْرِمَ بني تَيْمَ بن مُرّة إنهم شرُّ البريّة آخراً ومُقدماً⁴

1 هو الربيع بن يونس حاجب المنصور .

2 ديوانه : 377-378 .

3 بنو عدي : رهط عمر بن الخطّاب .

4 بنو تيم : رهط أبي بكر الصديق .

إِنَّ تُعْطِيَهُمْ لَا يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً
 وَإِنْ ائْتَمْتَهُمْ أَوْ اسْتَعْمَلْتَهُمْ
 وَلَكِنْ مَنَعْتَهُمْ لَقَدْ بَدَّءَوكُمْ
 مَنَعُوا تُرَاثَ مُحَمَّدٍ أَعْمَامِهِ
 وَتَأَمَّرُوا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَخْلَفُوا
 لَمْ يَشْكُرُوا لِحَمْدِ إِنْعَامِهِ
 وَاللَّهُ مِنْ عَلَيْهِمْ بِمُحَمَّدٍ
 ثُمَّ انْبَرَوْا لَوْصِيَّهِ وَوَلِيِّهِ
 وَيَكَاْفُوكَ بِأَنْ تُذَمَّ وَتُسْتَمَّا
 خَانُوكَ وَاتَّخَذُوا خَرَاجَكَ مَغْنَمًا
 بِالْمَنْعِ إِذْ مَلَكُوا وَكَانُوا أَظْلَمًا
 وَأَبْنَيْهِ وَابْنَتَهُ عَدِيلَةَ مَرِيئًا
 وَكَفَى بِمَا فَعَلُوا هَذَاكَ مَأْتَمًا
 أَفِيْشْكُرُونَ لَغَيْرِهِ إِنْ أَنْعَمَا
 وَهَدَاهُمْ وَكَسَا الْجُنُوبَ وَأَطْعَمَا
 بِالْمُنْكَرَاتِ فَجَرَّعُوهُ الْعَلَقَمَا

وهي قصيدة طويلة حُذِفَ باقيها لقيح ما فيه . قال : فرمى بها إلى أبي عبيد الله¹ ثم قال :
 اقطع العطاء فقطعه ؛ وانصرف الناس ؛ ودخل السيد إليه ، فلما رآه ضحك وقال : قد قبلنا
 نصيحتك يا إسماعيل ، ولم يُعْطِهِمْ شَيْئًا . أخبرني به عمي عن محمد بن داود بن الجراح عن
 إسحاق النخعي عن أبي سليمان الرياحي مثله .

[مناظرة شيطان الطاق له في الإمامة]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْجُمْهُورِ الْقُمِّيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ الْمُسْتَرِقِ
 رَاوِيَةُ السَّيِّدِ : أَنَّهُ حَضَرَ يَوْمًا وَقَدْ نَظَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ النُّعْمَانِ الْمَعْرُوفُ بِشَيْطَانِ الطَّاقِ فِي
 الْإِمَامَةِ ، فَغَلَبَهُ مُحَمَّدٌ فِي دَفْعِ ابْنِ الْخَنْفِيَّةِ عَنِ الْإِمَامَةِ ؛ فَقَالَ السَّيِّدُ² :
 [من الوافر]

أَلَا يَا أَيُّهَا الْجَدِيلُ الْمَعْنِي
 أَتُبْصِرُ مَا تَقُولُ وَأَنْتَ كَهْلٌ
 أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قَرِيشٍ
 عَلِيٌّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ
 فَأَنْتَ فِي وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ
 بِهِمْ أَوْصَاهُمْ وَدَعَا إِلَيْهِ
 فَسَبْطُ سَبْطِ إِيْمَانٍ وَحِلْمٍ
 لَنَا ، مَا نَحْنُ وَنَحْكَ وَالْعَنَاءُ³
 تُرَاكُ عَلَيْكَ مِنْ وَرَعٍ رِدَاءُ
 وَلَاؤُا الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءُ
 هُمْ أَسْبَاطُهُ وَالْأَوْصِيَاءُ
 يَكُونُ الشُّكُّ مَنَا وَالْمِرَاءُ
 جَمِيعَ الْخَلْقِ لَوْ سُمِعَ الدَّعَاءُ
 وَسَبْطُ غَيْبَتِهِ كَرَبْلَاءُ

1 هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري كاتب المهدي .

2 ديوانه : 50-51 وانظر أبيات منسوبة لكثير في ديوانه (جمع إحسان عباس) : 521-522 .

3 الجدل : الشديده الخصومة .

سقى جَدَثًا تَضَمَّنَهُ مُلْتٌ هَتَفُ الرَّعْدِ مُرْتَجِزٌ رِوَاءُ¹
 تَظَلُّ مُظِلَّةٌ مِنْهَا عَزَالٌ عَلَيْهِ وَتَعْتَدِي أُخْرَى مِلَاءُ²
 وَسِيطٌ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللِّوَاءُ
 مِنْ الْبَيْتِ الْمَحْجَبِ فِي سَرَاةٍ شُرَاةٍ لَفَ بَيْنَهُمُ الْإِخَاءُ
 عَصَائِبُ لَيْسَ دُونَ أَغْرَأَ أَجْلَى بِمَكَّةَ قَائِمٌ لَهُمْ أَنْتَهَاءُ

[رؤيا العبدی]

وهذه الأبيات بعينها تُروى لكثير ، ذكر ذلك ابنُ أبي سعد فقال وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال حدثني إبراهيم بن هاشم العبدی البصري قال : رأيت النبي ﷺ في المنام وبين يديه السيد الشاعر وهو يُنشد³ : [من الوافر]

أَجَدَّ بَالٍ فَاطِمَةَ الْبُكُورِ فَدَمَعُ الْعَيْنِ مُنْهَمِرٌ غَزِيرُ
 حَتَّى أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا عَلَى آخِرِهَا وَهُوَ يَسْمَعُ . قَالَ : فَحَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ رَجُلًا جَمَعْتَنِي وَإِيَّاهُ طُوسٌ عِنْدَ قَبْرِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرُّضَا ، فَقَالَ لِي : وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ عَلَى خِلَافٍ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ يُنْشِدُ : [من الوافر]

أَجَدَّ بَالٍ فَاطِمَةَ الْبُكُورِ

إِلَى آخِرِهَا ؛ فَاسْتَيْقِظْتُ مِنْ نَوْمِي وَقَدْ رَسَخَ فِي قَلْبِي مِنْ حَبِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا كُنْتُ أَعْتَقِدُهُ .

أخبرني وكيع قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثنا أبو سليمان النّاجي ومحمد بن حليم الأعرج قالا : كَانَ السَّيِّدُ إِذَا اسْتَنْشِدَ شَيْئًا مِنْ شَعْرِهِ لَمْ يَبْدَأْ بِشَيْءٍ إِلَّا بِقَوْلِهِ : [من الوافر]

أَجَدَّ بَالٍ فَاطِمَةَ الْبُكُورِ فَدَمَعُ الْعَيْنِ مُنْهَمِرٌ غَزِيرُ

[رأى العبدی في شعره]

قَالَ إِسْحَاقُ : وَسَمِعْتُ الْعُتْبِيَّ يَقُولُ : لَيْسَ فِي عَصْرِنَا هُنَا أَحْسَنُ مَذْهَبًا فِي شَعْرِهِ وَلَا أَنْقَى الْفَافَاظَ مِنَ السَّيِّدِ ، ثُمَّ قَالَ لِبَعْضِ مَنْ حَضَرَ : أَنْشِدْنَا قَصِيدَتَهُ اللَّامِيَّةَ الَّتِي أَنْشَدْتَنَاهَا الْيَوْمَ ؛ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ⁴ : [من السريع]

1 المثلث : المطر الذي يدوم أياماً . ارتجاز الرعد : تتابع صوته . رواء : كثير يروي .

2 العزالي : مصب الماء من القرية . ويعني هنا المطر الكثير .

3 ديوانه : 197 .

4 ديوانه : 321-322 .

هل عند مَنْ أَحْبَبْتَ تَنْوِيلُ أَمْ لَا فَإِنَّ اللَّوْمَ تَضْلِيلُ
أَمْ فِي الْحَشَى مِنْكَ جَوَى بَاطِنُ لَيْسَ تُدَاوِيهِه الْأَبَاطِيلُ
عُلَّقْتَ يَا مَغْرُورُ خَدَاعَةً بِالْوَعْدِ مِنْهَا لَكَ تَخْيِيلُ
رَيَّا رَدَاحَ النُّومِ خَمَصَانَةً كَانَتْهَا أَذْمَاءُ عُطْبُولُ
يَشْفِيكَ مِنْهَا حِينَ تَخْلُو بِهَا ضَمُّ إِلَى النَّحْرِ وَتَقْبِيلُ
وَذَوْقُ رَيْقٍ طَيِّبٍ طَعْمُهُ كَانَتْهُ بِالْمَسْكِ مَعْلُولُ
فِي نِسْوَةٍ مِثْلَ الْمَهَا خُرْدُ تَضْيِيقُ عَنْهُمْ الْخِلَاحِيلُ

يقول فيها :

أُقْسِمُ بِاللَّهِ وَالْآئِثَةِ وَالْمَرْءِ عَمَّا قَالَ مَسْئُولُ
إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَى التَّقَى وَالْبِرِّ مَجْبُولُ

فقال العتبيّ : أحسن والله ما شاء ، هذا والله الشعرُ الذي يهجمُ على القلب بلا حجاب .
في البيتين الأولين من هذه القصيدة لمُخَارِقِ رَمَلٍ بالبصرة عن الهشاميّ ، وذكر حبش أنه
للغريض . وفيه لحنٌ لسليمان من كتب بَذَلٍ غيرُ مجنس .

[لا يستعمل الغريب في شعره]

أخبرني عمِّي قال حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّخَعِيُّ
عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَقْبَةَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ ثَابِتِ الْعَطَّارِ قَالَ : كُنَّا كَثِيرًا مَا نَقُولُ لِلسَّيِّدِ : مَا لَكَ
لَا تَسْتَعْمَلُ فِي شَعْرِكَ مِنَ الْغَرِيبِ مَا تَسْأَلُ عَنْهُ كَمَا يَفْعَلُ الشُّعْرَاءُ ؟ قَالَ : لَأَنْ أَقُولُ شَعْرًا قَرِيبًا
مِنْ الْقُلُوبِ يَلْذُهُ مَنْ سَمِعَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَقُولَ شَيْئًا مُتَعَقِّدًا تَضِلُّ فِيهِ الْأَوْهَامُ .

[سب محارب بن دثار وترحم على أبي الأسود]

أخبرني أحمد بن عمار قال أخبرنا يعقوب بن نعيم قال حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّلْحِيُّ
رَاوِيَةُ الشُّعْرَاءُ² بِالْكُوفَةِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ عَمْرُو بْنُ عَيْسَى الرَّبَّاحُ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ ، يَزِيدُ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ : أَنَّ السَّيِّدَ لَمَّا قَدِمَ الْكُوفَةَ أَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ رَاوِيَةُ الْكَمَيْتِ ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ
السَّيِّدُ فَقَالَ : مَنْ الَّذِي يَقُولُ :

[من الوافر]

يَعِيبُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ سَفَاهًا بَأْنِ أَرْجِي أَبَا حَسَنِ عَلِيًّا

1 الأدماء : كالظبية . العطبول : الطويلة العنق .

2 ل : الشعر .

وإرجائي أبا حسن صواباً
عن العُمَينِ بَرّاً أو شَقِيّاً¹
فإن قَدَسْتُ قوماً قال قومٌ
أَسأتَ وكنتَ كَذاباً رَدِيّاً
إذا أَيْقَنْتُ أَنَّ اللهَ رَبِّي
وَأَرْسَلَ أَحْمداً حَقّاً نَبِيّاً
وَأَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بُعِثُوا بِحَقٍّ
وَأَنَّ اللهَ كَانَ لَهُمْ وَلِيّاً
فليس عليّ في الإرجاء بأسٌ
ولا لَبَسٌ ولست أَخافُ شَيْئاً ؟

فقال محمد بن سهل : هذا يقوله مُحارب بن دِثَار الذُّهَلِيّ . فقال السَّيِّدُ : لا كان الله وليّاً للعَاضِ بَظَرُ أُمِّه ! مَنْ يُنشدنا قصيدة أبي الأسود :

أَحِبَّ مُحَمَّدًا حَبّاً شَدِيداً وَعَبَّاساً وَحَمَزَةً وَالْوَصِيّاً
فَأَنشدَه القصيدة بعض مَنْ كان حاضراً ؛ فطَفِقَ يَسُبُّ مُحارب بن دِثَارَ وَيُترَحِّمُ على أَبِي
الْأَسود . فبلغ الخَبْرُ مَنْصُوراً الثَّمَرِيّ فقال : ما كان على أَبِي هاشم لو هجَاه بقصيدة يعارض
بها أبياته ، ثم قال :

يَوَدُّ مُحاربٌ لو قَدْ رآها
وَأَنَّ لسانَهُ مِنْ نابٍ أَفْعَى
وَأَنَّ عَجُوزَهُ مَصَعَتٌ بِكَلْبٍ
مَتى تُرْجىءُ أبا حَسَنَ عَلِيّاً
وَأَبصرَهُم حَوَالِيَهَا جُثِيّاً
وما أَرْجأُ أبا حَسَنَ عَلِيّاً
وكان دِماءُ ساقِيها جَرِيّاً²
فقد أَرَجَيْتَ يا لُكْعُ نَبِيّاً

[كان جعفر بن سليمان ينشد شعره]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ القاسمِ البَزِّيّ قال حَدَّثَنِي إِسحاقُ بنُ
مُحَمَّدٍ النَّخَعِيّ قال حَدَّثَنِي إِبْراهيمُ بنُ الحَسَنِ الباهليّ قال : دَخَلْتُ على جَعْفَرِ بنِ سُلَيْمانِ الضُّبُعِيِّ
ومعِيَ أُحاديثُ لَأَسأَلُهُ عَنْها وَعِنْدَهُ قَوْمٌ لَمْ أَعْرِفَهُمْ ، وَكانَ كَثِيراً ما يُنشدُ شِعْرَ السَّيِّدِ ، فَمَنْ أَتَكَرَّهُ
عَلَيْهِ لَمْ يَحْدِثْهُ ؛ فَسَمِعْتُهُ يُنشدُهُم³ :

ما تَعَدَّلُ الدُّنْيا جَمِيعاً كُلُّها
مِنْ حَوْضِ أَحمَدَ شَرِبَةً مِنْ ماءٍ
ثم جاءه خبر فقام . فقلت للذين كانوا عنده : مَنْ يَقولُ هذا الشَّعْرَ ؟ قالوا : السَّيِّدُ
الْحَميريّ .

1 الإرجاء : التأخير . وهو هنا تأخير الإمام علي إلى الدرجة الرابعة .

2 مصعت : رمت .

3 ديوانه : 52 .

[هجاء زبيرية]

حَدَّثَنِي عُمِّي وَالْكُرَّانِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ عَنْ الْحَارِثِ بْنِ صَفْوَانَ ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ السَّيِّدَ كَانَ بِالْأَهْوَازِ ؛ فَمَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ مِنْ آلِ الزُّبَيْرِ تُزَفُّ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَسَمِعَ الْجَلْبَةَ فَسَأَلَ عَنْهَا فَأَخْبَرَ بِهَا ؛ فَقَالَ ¹ :

أَتَنَّا تُزَفُّ عَلَى بَغْلَةٍ وَفَوْقَ رِحَالِهَا قُبَّةُ
زُبَيْرِيَّةٌ مِنْ بَنَاتِ الَّذِي أَحَلَّ الْحَرَامَ مِنَ الْكَعْبَةِ
تُزَفُّ إِلَى مَلِكٍ مَاجِدٍ فَلَا اجْتِمَاعَ وَبِهَا الْوَجْبَةُ ²

رَوَى هَذَا الْخَبَرَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ السَّاحِرِ فَقَالَ فِيهِ : فَدَخَلْتُ فِي طَرِيقِهَا إِلَى خَرِيبَةٍ لِلْخَلَاءِ ، فَتَهَشَّتْهَا أَفْعَى فَمَاتَتْ ؛ فَكَانَ السَّيِّدُ يَقُولُ : لَحِقَتْهَا دَعْوَتِي .

[يدعو على الذين خرجوا للاستسقاء]

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي طَالِبِ الْجَعْفَرِيِّ ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ : خَرَجَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ يَسْتَسْقُونَ وَخَرَجَ فِيهِمُ السَّيِّدُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ خَزٍّ وَجَبَّةٌ وَمِطْرَفٌ وَعِمَامَةٌ ؛ فَجَعَلَ يَجْرُ مِطْرَفُهُ وَيَقُولُ ³ :

اهْبِطْ إِلَى الْأَرْضِ فَخُذْ جَلْمَدًا ثُمَّ ارْزُقْهُمْ يَا مُزْنُ بِالْجَلْمَدِ
لَا تَسْقِهُمْ مِنْ سَبَلٍ قَطْرَةً فَإِنَّهُمْ حَرَبُ بَنِي أَحْمَدِ

[تعريضه برواة الحديث]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْبَغَوِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَرِّمَازِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي رَجُلٌ قَالَ : كُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى ابْنَتِي قَيْسَ ، وَكَانَا يَرْوِيَانِ عَنِ الْحُسَيْنِ ؛ فَلَقِينِي السَّيِّدَ يَوْمًا وَأَنَا مُنْصَرَفٌ مِنْ عِنْدَهُمَا ، فَقَالَ : أَرِنِي الْوَاحِكَ أَكْتُبُ فِيهَا شَيْئًا وَإِلَّا أَخَذْتُهَا فَمَحَوْتُ مَا فِيهَا . فَأَعْطَيْتُهُ الْوَاحِي فَكُتِبَ فِيهَا ⁴ :

لَشَرِبَتُهُ مِنْ سَوِيقٍ عِنْدَ مَسْغَبَةٍ وَأَكَلْتُ مِنْ ثَرِيدٍ لَحْمُهُ وَارِي

1 ديوانه : 137 .

2 الوجبة : الوقعة أو صوت السقوط . وفي المثل : بجنبه فلتكن الوجبة .

3 ديوانه : 180 .

4 ديوانه : 234 .

أَشَدُّ مِمَّا رَوَى حَبَّاءُ إِلَى بَنُو قَيْسٍ وَمِمَّا رَوَى صَلْتُ بْنُ دِينَارٍ¹
مِمَّا رَوَاهُ فُلَانٌ عَنْ فُلَانِهِمْ ذَاكَ الَّذِي كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ

[إنشاده في النبي شعراً في المنام مرة أخرى]

أخبرني أحمد بن عليّ الخفاف قال حدثني أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن طباطبا قال : سمعت زيد بن موسى بن جعفر يقول : رأيت رسول الله ﷺ في النوم وقد أمه رجلٌ جالسٌ عليه ثيابٌ بيضٌ ؛ فنظرتُ إليه فلم أعرفه ، إذ التفتَ إليه رسول الله ﷺ فقال : يا سيّد ، أنشدني قولك : [من السريع]

لَأُمِّ عَمْرٍو فِي اللَّوَى مَرْبَعُ

فأنشده إياها كلّها ما غادر منها بيتاً واحداً ، فحفظتها عنه كلّها في النوم . قال أبو إسماعيل : وكان زيد بن موسى لَحَنَةً رديء الإنشاد ، فكان إذا أنشد هذه القصيدة لم يَتَنَتَّعَ فيها ولم يَلْحَن .

[نزل قدم وثبت أخرى]

وقال² محمد بن داود بن الجراح في روايته عن إسحاق النخعيّ حدثني عبد الرحمن بن محمد الكوفي عن عليّ بن إسماعيل الهيثمي عن فضيل الرسان قال : دخلت على جعفر بن محمد أعزّيه عن عمّه زيد ، ثم قلت له : ألا أنشدك شعر السيّد ؟ فقال : أنشد ؛ فأنشدته قصيدة يقول فيها :

فالناسُ يومَ البعثِ راياتهم	خمسٌ فمنها هالكٌ أربعُ
قائدها العجلُ وفرعونهم	وسامريّ الأمة المفضيعة
ومارقٌ من دينه مُخرَجُ	أسودُ عبدٌ لُكْعٌ أو كَعُ ³
ورايةٌ قائدها وجهه	كانه الشمسُ إذا تطلّعتُ

فسمعتُ مُجيباً من وراء الستور فقال : من قائل هذا الشعر ؟ فقلت : السيّد ! فقال : رحمه الله . فقلت : جعلت فداك ! إني رأيته يشرب الخمر . فقال : رحمه الله ؛ فما ذنبٌ على الله أن يغفره لآل عليّ ! إن محبَّ عليّ لا تزل له قدّم إلا تثبت له أخرى .

حدثني الأخفش عن أبي العيّن عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جعفر بن

1 كان ضعيف ، متهم الرواية ويتنقص الإمام علي .

2 تقدّم بمثل هذا الخبر عن فضيل الرسان .

3 أو كع : لثيم .

محمد أنه ذكر السيد فترحم عليه وقال : إن زلت له قدم فقد ثبتت الأخرى .
[غرق رجلاً ماراه في تفضيل علي]

نسختُ من كتاب الشاهيني حدثني محمد بن سهل الحميري عن أبيه قال : انخدر السيد الحميري في سفينة إلى الأهواز ، فماراه رجلاً في تفضيل علي وباهله¹ على ذلك . فلما كان الليل قام الرجل ليبول على حرف السفينة ، فدفعه السيد فغرقه ؛ فصاح الملاحون : غرق والله الرجل ؛ فقال السيد : دعوه فإنه باهلني .
[مها فوما لم ينصتوا لشعره]

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال حدثني التوزي قال :
جلس السيد يوماً إلى قوم ، فجعل يُنشدهم وهم يلغظون ؛ فقال² : [من البسيط]

قد ضيع الله ما جمعتُ من أدب بين الحمير وبين الشاء والبقر
لا يسمعون إلى قول أجيء به وكيف تستمع الأنعام للبشر
أقول ما سكتوا إنس فإن نطقوا قلت الضفادع بين الماء والشجر

[اغتابه رجل فهجاه]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم البزري قال حدثنا
إسحاق بن محمد النخعي عن محمد بن الربيع عن سويد بن حمدان بن الحصين قال : كان
السيد يختلف إلينا ويغشانا ، فقام من عندنا ذات يوم ، فخلقه³ رجل وقال : لكم شرف
وقدر عند السلطان ، فلا تجالسوا هذا فإنه مشهور بشرب الخمر وشتيم السلف . فبلغ
ذلك السيد فكتب إليه⁴ :

وصفتُ لك الحوض يا ابن الحصين على صفة الحارث الأعور⁵
فإن تُسَق منه غداً شربة تفز من نصيبك بالأوفر
فما لي ذنب سوى أنني ذكرت الذي فر عن خير⁶

1 باهله : لاعنه .

2 ديوانه : 237 .

3 ل : فتخلقه .

4 ديوانه : 229 .

5 الحارث الأعور بن عبد الله بن كعب من مقدمي أصحاب الإمام علي مات بالكوفة سنة 65 هـ .

6 إشارة إلى عمر بن الخطاب الذي تقول الرواية إنه لم يستطع فتح خيبر وفتحها علي .

ذَكَرْتُ أَمْرًا فَرَّ عَنْ مِرْحَبٍ فِرَارَ الْحِمَارِ مِنَ الْقَسَوْرِ¹
فَأَنْكَرَ ذَاكَ جَلِيسٌ لَكُمْ زَنِيمٌ أَخُو خُلُقِي أَعُورٍ
لَحَانِي بِحَبِّ إِمَامِ الْهَدَى وَفَارُوقِ أُمْتِنَا الْأَكْبَرِ
سَأَحْلِقُ لِحَيْتَهُ إِنَّهَا شُهُودٌ عَلَى الزَّوْرِ وَالْمُنْكَرِ
قال : فهجر والله مشايخنا جميعاً ذلك الرجل ولزموا محبة السيد ومجالسته .
[ردّ سوار بن عبد الله شهادته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن زكريّا الغلابيّ قال حدثنا مهديّ بن سابق . أنّ السيّد تقدّم إلى سوار القاضي ليشهد عنده ، وقد كان دافع المشهود له بذلك وقال : أعفني من الشهادة عند سوار ، وبذلّ له مالاً فلم يُعْفِهِ . فلمّا تقدّم إلى سوار فشهد قال : أَلَسْتَ الْمَعْرُوفَ بِالسَّيِّدِ ؟ قال : بلى ؛ قال : استغفر الله من ذنب تجرأت به على الشهادة عندي ، قم لا أرضى بك . فقام مُغَضَّباً من مجلسه وكتب إلى سوار رقعةً فيها يقول² : [من مجزوء الرمل]

إِنَّ سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ شَرِّ الْقَضَاةِ

فَلَمَّا قَرَأَهَا سَوَّارٌ وَثَبَ عَنْ مَجْلِسِهِ وَقَصَدَ أَبَا جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ نَازِلٌ بِالْجِسْرِ ، فَسَبَقَهُ السَّيِّدُ إِلَيْهِ فَأَنشَدَهُ³ :

قُلْ لِلْإِمَامِ الَّذِي يُنْجِي بَطَاعَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بُحْبُوحَةِ النَّارِ⁴
لَا تَسْتَعِينَنَّ جِزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً يَا خَيْرَ مَنْ دَبَّ فِي حَكْمِ سَوَّارٍ
لَا تَسْتَعِينَنَّ بِخَبِيثِ الرَّأْيِ ذِي صَلَفٍ جَمَّ الْعُيُوبِ عَظِيمِ الْكِبَرِ جَبَّارٍ
تُضْحِي الْخُصُومُ لَدَيْهِ مِنْ تَجْبِرِهِ لَا يَرْفَعُونَ إِلَيْهِ لِحْظَ أَبْصَارٍ
تِيهًا وَكِبْرًا وَلَوْلَا مَا رَفَعَتْ لَهُ مِنْ ضَبْعِهِ كَانَ عَيْنَ الْجَائِعِ الْعَارِي⁵

ودخل سوارٌ ؛ فلما رآه المنصور تبسّم وقال : أما بلغك خبر إياس بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد في الشهود⁶ ! فما أحوجك للتعريض للسيد ولسانه ؟ ثم أمر السيد بمصالحته .

1 مرحب هو اليهودي صاحب حصن خير قتله محمد بن مسلمة في رواية أو علي بن أبي طالب في رواية أخرى . القسور : الأسد . وهنا إشارة إلى الآية : ﴿ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنَفَرَةٌ . فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ (المدثر : 50-51) .

2 ديوانه : 139 وهي فيه مقطوعة من 13 بيتاً .

3 ديوانه : 232-233 .

4 بحبوحه المكان : وسطه .

5 الضبع : وسط العضد ويُطلق أيضاً على الإبط .

6 سيرد خبر إياس مع الفرزدق في ترجمة الثاني .

[مدح المنصور لما ولي ابنه العهد]

وقال إسحاق بن محمد النخعي حدثني عبد الله بن محمد الجعفري قال حدثني
محمد بن عبد الله الحيمري قال¹ : دخل السيد على المهدي لما بايع لابنیه موسى وهارون ،
فأنشأ يقول :

ما بال مجرى دمعي الساجم	أمن قذى بات بها لازم
أم من هوى أنت له ساهر	صباة من قلبك الهائم
آليت لا أمدح ذا نائل	من معشر غير بني هاشم
أولتهم عندي يد المصطفى	ذي الفضل والمنّ أبي القاسم
فإنها بيضاء حمودة	جزاؤها الشكر على العالم
جزاؤها حفظ أبي جعفر	خليفة الرحمن والقائم
وطاعة المهدي ثم ابنه	موسى على ذي الإربة الحازم
وللرشيد الرابع المرتضى	مفترض من حقه اللازم
ملكهم خمسون معدودة	برغم أنف الحاسد الراعم
ليس علينا ما بقوا غيرهم	في هذه الأمة من حاكم
حتى يردوها إل هابط	عليه عيسى منهم ناجم

[الأعمش يكتب عنه فضائل علي بن أبي طالب]

وقال علي بن المغيرة حدثني علي بن عبد الله السدوسي عن المدائني قال : كان السيد يأتي
الأعمش فيكتب عنه فضائل علي رضي الله عنه ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً .
فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمّله على فرس وخلع عليه ؛ فوقف بالكناسة ثم
قال : يا معشر الكوفيين ، من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته
فرسي هذا وما علي . فجعلوا يحدثونه وينشدهم ؛ حتى أتاه رجل منهم وقال : إن أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عزم على الركوب ؛ فلبس ثيابه وأراد لبس الخف فلبس
أحد خفيه ، ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه فانقض عقاب من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه
أسود² وانساب فدخل جحراً ؛ فلبس علي رضي الله عنه الخف . قال : ولم يكن قال في ذلك
شيئاً ؛ ففكر هنيهة ثم قال³ :

[من الوافر]

1 ديوانه : 406-407 عن الأغاني .

2 الأسود : العظيم من الحيات .

3 من قصيدة في ديوانه : 120-127 تألّف من 27 بيتاً .

ألا يا قومٍ للعجبِ العُجابِ لخُفَّ أبي الحسين وللحُبابِ¹
 أتى خُفّاً له وأنساب فيه لينهشَ رِجلَه منه بناب
 فخرٌ من السماء له عُقابٌ من العُقبان أو شِبهُ العُقابِ
 فطار به فحلّق ثم أهوى به للأرض من دون السّحابِ
 إلى جُحْرِ له فانساب فيه بعيد القعرِ لم يُرتجِ بباب
 كرىه الوجه أسود ذو بصيصٍ حديدُ النَّابِ أزرق ذو لُعابِ
 ودُوفِعَ عن أبي حسن عليٍّ نقيعُ سِمامه بعد أنسابِ

ثم حرّك فرسه ومضى وجعل تشبيها بعد ذلك : [من الوافر]

صبوتُ إلى سُلَيْمَى والرَّبابِ وما لأخي المشيبِ وللتّصابي

أخبرني أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال حدّثني عبد الله بن أحمد بن مُستورد قال : وقف السيّد يوماً بالكوفة ، فقال : مَنْ أتاني بفضيلة لعلّي بن أبي طالب ما قلتُ فيها شعراً فلَهُ دينارٌ ، وذكر باقي الحديث . فأما العُقَابُ الذي انقضَّ على خُفِّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فحدّثني بخبره أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانيّ قال حدّثني جعفر بن علي بن نجيع قال حدّثنا أبو عبد الرحمن المسعوديّ عن أبي داود الطّهويّ عن أبي الزُّعَلِ المراديّ قال : قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتطهّر للصلاة ، ثم نزع خُفّه فانساب فيه أفعى ، فلما عاد ليلبسه انقضّت عقابٌ فأخذته فحلّقت به ثم ألقته فخرج الأفعى منه . وقد رُوي مثل هذا لرسول الله ﷺ .

حدّثني به أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال حدّثني محمد بن عبيد بن عُقبة قال حدّثنا محمد بن الصّلت قال حدّثنا حيّان بن عليّ عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عبّاس قال : كان النّبيّ ﷺ إذا أراد حاجةً تباعد حتى لا يراه أحدٌ ، فنزع خُفّه فإذا عُقابٌ قد تدلّى فرفعه فسقط منه أسودٌ سالخ . فكان النّبيّ ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من شرِّ ما يمشي على بطنه ومن شرِّ ما يمشي على رجليه ومن شرِّ ما يمشي على أربع ومن شرِّ الجنِّ والإنس» .

قال أبو سعيد وحدّثنا محمد بن إسماعيل الرّاشديّ قال حدّثنا عثمان بن سعيد قال حدّثنا حيّان بن عليّ عن سعد بن طريف عن عكرمة عن ابن عبّاس مثله .

[نعم المطي والراكبان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا حاتم بن قبيصة قال : سَمِعَ السيّد محدثاً يحدث أنّ النّبيّ ﷺ كان ساجداً ، فركب الحسنُ والحسينُ على ظهره ؛

فقال عمرُ رضي الله عنه : نِعَمَ المطيُّ مطيُّكُمَا ! فقال النبي ﷺ : «ونِعَمَ الراكبانِ هما» .
فانصرف السيد من فوره فقال في ذلك¹ :

أتى حسناً والحسينَ النبيُّ	وقد جلسا حَجْرَةً يلعبانِ
فقدَّاهما ثم حيَّاهما	وكانا لديه بذاك المكانِ
فراحا وتحتهما عاتقاه	فنعم المطيَّةُ والراكبانِ
وليدانِ أمهما بَرَّةٌ	حصانٌ مُطَهَّرَةٌ للحِصانِ
وشيخهما ابنُ أبي طالب	فَنِعَمَ الوليدانِ والوالدانِ
خليلي لا تُرْجِيا واعلما	بأنَّ الهدى غيرُ ما تزعمانِ
وأنَّ عَمى الشكِّ بعدَ اليقين	وضَعَفَ البَصيرةُ بعدَ العيانِ
ضلالٌ فلا تَلَجْجا فيهما	فبعِستَ لعمركا الخَصْلَتانِ
أُيْرَجى عليَّ إمامُ الهدى	وعثمانُ ما أعندَ المُرجِيانِ
ويُرْجى ابنُ حَرْبٍ وأشياغهُ	وهُوجُ الخَوارجِ بالنَّهْروانِ
يكونُ إمامَهُمُ في المَعاد	خبيثُ الهوى مؤمنُ الشَّيْصَبانِ ²

[مدح المنصور وعنده سوار فعارضه فهجاه]

وذكر إسماعيل بن السَّاحر قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِيُّ قال حَدَّثني مُحَمَّدٌ عن أبيه قال حَدَّثني أبي وعمِّي عن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن يعقوب بن سعيد بن عمرو قال حَدَّثنا الحارث بن عبد المطلب قال : كنتُ جالِساً في مجلسِ أبي جعفر المنصور وهو بالجسر وهو قاعدٌ مع جماعة على دَجَلَةٍ بالبصرة وسوار بن عبد الله العَبْرِيُّ قاضي البصرة جالسٌ عنده والسيد بن مُحَمَّد بين يديه يُنشد قوله³ :

إنَّ الإلهَ الذي لا شيء يُشَبِّهه	أعطاكم الملكَ للدنيا وللدِّينِ
أعطاكم اللهُ مُلكاً لا زوالَ له	حتى يُقَادَ إليكم صاحبُ الصِّينِ
وصاحبُ الهند مأخوذاً برُمَّتِه	وصاحبُ التُّرك محبوباً على هُونِ

والمنصورُ يضحك سروراً بما يُنشدُه ؛ فحانت منه التفاتةُ فرأى وجهَ سوارٍ يترَبَّدُ غيظاً

1 ديوانه : 451-452 .

2 الشَّيْصَبان : الشَّيْطان .

3 ديوانه : 444 .

وَيَسُودَ حَقًّا وَيَدُلُّكَ إِحْدَى يَدَيْهِ بِالأُخْرَى وَيَتَحَرَّقُ ؛ فقال له المنصور : ما لك ؟ أراك شي ؟ قال : نعم ، هذا الرجلُ يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه ، والله يا أمير المؤمنين ما صدَّقك ما في نفسه ، وإن الذين يوالِيهم لغيرُكم . فقال المنصور : مهلاً ! هذا شاعرُنَا وولِيُنَا ، وما عرفتُ منه إلا صدقَ حُبَّةٍ وإخلاصَ نِيَّةٍ . فقال له السيّد : يا أمير المؤمنين ، والله ما تحمَلْتُ غَضَّكُمْ لأحد ، وما وجدتُ أبويَّ عليه فافتنتُ بهما ، وما زلتُ مشهوراً بموالاةكم في أيام عدوكم . فقال له : صدقت . قال : ولكن هذا وأهلوه أعداءُ الله ورسوله قديماً والذين نادَوْا رسولَ الله ﷺ من وراء الحجرات¹ ، فنزلت فيهم آية من القرآن ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحجرات : 4) . وجرى بينهما خطابٌ طويل . فقال السيّد قصيدته التي أولها :

قِفْ بنا يا صاحِ وارْبِعْ بالمَغْنايِ المَوْحِشاتِ

أنشدھا أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار عن النَّوْفَلِيِّ . وأخبرنا محمَّد بنخبره مع سَوَّار بالقِصَّة من هاهنا إلى آخرها ؛ وقال فيها :

يا أَمِينَ الله يا مَنْ	صَوْرُ يا خَيْرَ الوُلاةِ
إِنَّ سَوَّارَ بن عبد الله	مَنْ شَرَّ القُضاةِ
نَعَثَ لِي جَمَلِي	لَكُمْ غَيْرُ مُواتٍ ²
جَدُّهُ سارقُ عَنزٍ	فَجَرَّةٌ مِنْ فِجَرَاتِ
لرسول الله والقا	ذِفَه بِالْمُنْكَراتِ
وابنُ مَنْ كان ينادي	مَنْ وراءَ الحُجراتِ
يا هَناءُ اخرج إلينا	إِنَّا أَهْلُ هَناءِ
مَدْحُنا المدحُ وَمَنْ نَرُ	مِ يُصَبُّ بِالزَّفَرَاتِ
فاكْفِينِيهِ لا كَفاه الـ	لَهُ شَرُّ الطارِقَاتِ ³

[اعتذر إلى سَوَّار فلم يعذره]

فشكاه سَوَّار إلى أبي جعفر ، فأمره بأن يصير إليه معتذراً ؛ ففعل فلم يعذره ؛ فقال⁴ :

[من المتقارب]

1 يعني وفد بني تميم المعني في سورة الحجرات .

2 نعثل : يهودي من أهل المدينة وقيل رجل من مصر كان يشبه به عثمان من قبيل النبل منه . جملي : نسبة إلى وقعة الجمل .

3 فاكفنيه في ل : فاكفناه .

4 ديوانه : 234-233 .

أَتَيْتُ دَعِيَّ بَنِي الْعَنْبَرِ أَرُومَ اعْتِذَاراً فَلَمْ أُعْذِرِ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي وَعَاتِبْتُهَا عَلَى اللُّؤْمِ فِي فَعْلِهَا أَقْصِرِي
أُيَعْتَذِرُ الْحَرُّ مِمَّا أَتَى إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ
أَبُوكَ ابْنُ سَارِقٍ عَنَزَ النَّبِيَّ وَأُمُّكَ بِنْتُ أَبِي جَحْدَرِ
وَنَحْنُ عَلَى رَغْمِكَ الرَّافِضُو نَ لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالْمُنْكَرِ

[شكا سواراً إلى المنصور]

قال : وبلغ السيد أن سواراً قد أعدَّ جماعةً يشهدون عليه بسرقةً ليقطعه ؛ فشكاه إلى أبي جعفر ؛ فدعا بسوارٍ وقال له : قد عزلتُك عن الحكم للسيد أو عليه . فما تعرض له بسوء حتى مات .

[بينه وبين أبي الخلال]

وروى عبد الله بن أبي بكر العتكي أن أبا الخلال العتكي دخل على عُقْبَةَ بْنِ سَلَمٍ والسيد عنده وقد أمر له بجائزة ، وكان أبو الخلال شيخَ العشيرة وكبيرها ، فقال له : أيها الأمير ، أُعْطِي هذه العطايا رجلاً ما يفتُر عن سبِّ أبي بكر وعمر ؟ فقال له عُقْبَةُ : ما علمتُ ذاك ولا أُعْطِيته إلا على العشرة والمودة القديمة وما يُوجبه حقه وجواره مع ما هو عليه من موالاة قومٍ يلزمنا حَقُّهم ورعايتهم . فقال له أبو الخلال : فمره إن كان صادقاً أن يمدح أبا بكر وعمر حتى نعرف براءته مما يُنسب إليه من الرِّفْض . فقال : قد سمعتك ، فإن شاء فعل . فقال السيد² :

إِذَا أَنَا لَمْ أَحْفَظْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ وَلَا عَهْدَهُ يَوْمَ الْغَدِيرِ الْمُؤَكَّدَا
فَإِنِّي كَمَنْ يَشْرِي الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى تَنْصَرُّ مِنْ بَعْدِ التَّقَى وَتَهَوِّدَا³
وَمَا لِي وَتَيْمٍ أَوْ عَدِيٍّ وَإِنَّمَا أُولُو نِعْمَتِي فِي اللَّهِ مِنْ آلِ أَحْمَدَا⁴
تَيْمٌ صَلَاتِي بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَتْ صَلَاتِي بَعْدَ أَنْ أَتَشَهَّدَا
بِكَامِلَةٍ إِنْ لَمْ أُصَلِّ عَلَيْهِمْ وَأَدْعُ لَهُمْ رَبًّا كَرِيماً مُمَجِّدَا
بَذَلْتُ لَهُمْ وَدِّي وَنُصْحِي وَنُصْرَتِي مَدَى الدَّهْرِ مَا سُمِّيْتُ يَا صَاحِبَ سَيِّدَا

1 ل : لقن .

2 ديوانه : 164-165 .

3 عجز البيت في الديوان : من بعد الهدى أو تهودا .

4 وتيم أو عدي في الديوان : تيماً أو عدياً .

وإنَّ امرأاً يُلحَى على صدق ودِّهم أحقُّ وأولى فيهم أن يُفندا
فإن شئتَ فاختَرْ عاجِلَ الغمِّ ضِلَّةً وإلا فأمْسِكْ كي تُصانَ وتُحمدا
ثم نهض مُغضباً . فقام أبو الخلال إلى عُبَّة فقال : أعذني من شرِّ أعاذك الله من السوء
أيُّها الأمير ؛ قال : قد فعلتُ على ألاَّ تعرَّضَ له بعدها .
[تزوج تميمية إباضية]

ومما يحكى أنه اجتمع في طريقه بامرأة تميمية إباضية ، فأعجبها وقالت : أريد أن أتزوج بك
ونحن على ظهر الطريق . قال : يكون كنيكاح أم خارجة¹ قبل حضور ولي وشهود .
فاستضحكت وقالت : ننظر في هذا ؛ وعلى ذلك فمن أنت ؟ فقال² : [من البسيط]

إن تَسأليني بقومي تسألني رجلاً في ذروة العزِّ من أحياء ذي يمن
حوّلي بها ذو كلاعٍ في منازلها وذو رُعَيْنِ وهَمْدانٍ وذو يَزِنِ
والأزْدُ أزدُ عُمَانَ الأكرُمون إذا عدَّتْ مآثرهم في سالف الزمن
بانست كريمتهم عني فدارهم داري وفي الرّحْب من أوطانهم وطني
لي منزلان بلخجٍ منزلٌ وَسَطٌ منها ولي منزلٌ للعزِّ في عدنِ
ثمَّ الولاء الذي أرجو النجاة به من كَبَّةِ النارِ للهادي أبي حسن

فقلت : قد عرفناك ، ولا شيء أعجب من هذا : يمانٍ وتميمية ، ورافضي وإباضية ،
فكيف يجتمعان ؟ . فقال : بحسن رأيك في تسخو نفسك ، ولا يذكر أحدنا سلفاً ولا
مذهباً . قالت : أفليس التزويج إذا عُلِمَ انكشف معه المستور ، وظهرت خفيات الأمور ؟ .
قال : فانا أعرضُ عليك أخرى . قالت : ما هي ؟ قال : المتعة التي لا يعلم بها أحد . قالت :
تلك أخت الزنا . قال : أعيذك بالله أن تكفري بالقرآن بعد الإيمان ! . قالت : فكيف ؟ قال :
قال الله تعالى : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ . فقالت : استخير الله وأقلدك أن كنت صاحب قياس .
ففعلت . فأنصرفت معه وبات مُعْرِساً بها . وبلغ أهلها من الخوارج أمرها ، فتوعدوها بالقتل
وقالوا : تزوجت بكافر ! فجحدت ذلك ولم يعلموا بالمتعة . فكانت مدةً تختلف إليه على هذه
السبيل من المتعة وتواصله حتى افترقا .

1 المثل : أسرع من نكاح أم خارجة في الميداني 1 : 348 والدرّة الفاخرة 1 : 224 وفصل المقال : 500
والضبي : 58 .

2 ديوانه : 440-439 .

[بينه وبين ابن سليمان بن علي]

وقال الحسن بن علي بن المغيرة حدثني أبي قال : كنت مع السيد علي باب عُقْبَةَ بن سَلَمٍ ومعنا ابنُ سليمان بن علي¹ ننتظره وقد أُسْرَجَ له لَيْرُكَبٌ ، إذ قال ابنُ سليمان بن علي يعرض بالسيد : أشعرُ الناسِ والله الذي يقول :

محمَّدٌ خيرٌ من يمشي على قَدَمٍ وصاحِبَاهُ وعثمانُ بنُ عفَّانَا

فوثبَ السيدُ وقال : أشعرُ والله منه الذي يقول² :

سائلٌ قريشاً إذا ما كنتَ ذا عَمَةٍ مَنْ كان أثبتَها في الدين أوتادَا

مَنْ كان أعلمَها علماً وأحلَمَها حلماً وأصدقَها قولاً وميعادَا

إن يصدُقوك فلن يَعدُوا أبَا حَسَنِ إن أنتَ لم تَلَقَ للأبرار حُسَادَا

ثم أقبل علي الهاشمي فقال : يا فتى ، نعم الخلفُ أنت لشرف سلفك ! أراك تهديم شرفك ، وتثلب سلفك ، وتسعى بالعداوة على أهلِكَ ، وتفضل من ليس أصلك من أصله على مَنْ فضلك من فضله ؛ وسأخبر أمير المؤمنين عنك بذا حتى يَضَعَكَ . فوثب الفتى خجلاً ولم ينتظر عُقْبَةَ بن سَلَمٍ . وكتب إليه صاحبُ خبره بما جرى عند الرُّكُوبَةِ حتى خرجتِ الجائزةُ للسيد .

[يكره إطالة الجلوس إذا لم يمدح آل محمد.]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا ابن القاسم البرقي عن إسحاق بن محمد النخعي عن عقبة بن مالك الديلي عن الحسن بن علي بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي قال : كنا جلوساً عند أبي عمرو بن العلاء ، فتذاكرنا السيدَ ، فجاء فجلس ، وخضنا في ذكر الزرع والنخل ساعةً فنهض . فقلنا : يا أبا هاشم ، ممَّ القيامُ ؟ فقال³ :

إنِّي لأكره أن أُطيل بمجلس لا ذكرَ فيه لفضل آل محمد

لا ذكرَ فيه لأحمد ووصيه وبنيه ذلك مجلسٌ نطفٌ ردي⁴

إنَّ الذي ينسأهم في مجلس حتى يفارقه لغير مسدّد

1 عم أبي جعفر المنصور .

2 من أبيات في ديوانه : 160-162 والبيت الثاني فيه :

مَنْ كان أقدمها سلماً وأكثرها علماً وأطهرها أهلاً وأولادها

3 ديوانه : 177-178 .

4 النطف : السيئ الفاسد والمتهم بريئة .

[سكره بالأهواز وحبه]

وروى أبو سليمان النّاجي : أنّ السيّد قديم الأهواز وأبو بجير بن سِمَاك الأسديّ يتولّاهما ، وكان له صديقاً . وكان لأبي بجير مولى يقال له يزيد بن مدّغور يحفظ شعر السيّد يُنشده أبا بجير ، وكان أبو بجير يتشيع . فذهب السيّد إلى قوم من إخوانه بالأهواز فنزل بهم وشرب عندهم ؛ فلما أمسى انصرف ، فأخذ العَسَسَ فحسّ . فكتب من غده بهذه الأبيات وبعث بها إلى يزيد بن مدّغور . فدخل على أبي بجير وقال : قد جنى عليك صاحبُ عَسَسِكَ ما لا قِوَامَ لك به . قال : وما ذلك ؟ قال : اسمع هذه الأبيات ، كتبها السيّد من الحبس ؛ فأنشده يقول¹ :

قَفْ بِالذِّيارِ وَحيّها يا مَرْعُ	وأسأل وكيف يُجيبُ من لا يَسمعُ
إنّ الدِّيارَ خَلَتْ وليس بجوّها	إلاّ الضَّوابعُ والحَمَامُ الوُقْعُ ²
ولقد تكونُ بها أوانسُ كالدمى	جُمْلٌ وعَزّةٌ والرَّبابُ وبُوزَعُ
حورٌ نواعمُ لا تُرى في مثلها	أمثالهنّ من الصيانة أَرْعُ
فَعَرِينَ بعد تَأْلُفٍ وتَجْمَعُ	والدَّهْرُ ، صاح ، مُشَتَّتٌ ما تَجْمَعُ
فاسلّم فإنّك قد نزلتَ بمنزل	عند الأمير تُضُرُّ فيه وتَنفَعُ
تُوتِي هَواك إذا نطقتَ بِحاجةٍ	فيه وتَشَفّعُ عنده فيُشَفّعُ
قُلْ للأمير إذا ظفِرتَ بخلوةٍ	منه ولم يكُ عنده من يَسمعُ
هَبْ لي الذي أحببته في أحمد	وبنيهِ إنَّكَ حاصدٌ ما تَزْرَعُ
يَخْتَصُّ آلَ مُحَمَّدٍ بِمَحَبّةٍ	في الصّدر قد طُوِيَتْ عليها الأضْلَعُ

في هذا الغناء لسعيد³ .

[يهجو سوار القاضي بعد موته]

وحكى ابن السّاحر : أنّ السيّد دُعي لشهادة عند سوار القاضي ؛ فقال لصاحب الدّعوى : أعفني من الشهادة عند سوار ؛ فلم يُعَفِّهِ صاحبها منها وطالبه بإقامتها عند سوار . فلما حضر عنده وشهد قال له : أَلَمْ أُعْرِفْكَ وتعرفني ؟ وكيف مع معرفتك بي تقدّم على الشهادة عندي ؟

1 ديوانه : 268-272 وقد ضمّ إليها الأبيات العينية التي سترد فيما بعد .

2 الضوايح : الثعالب .

3 يبدو أن الخبر لم يتمّ ، وسيأتي تمامه مع بقية القصيدة بعد قليل . وقوله «في هذا الغناء لسعيد» ناقص أيضاً ولم يكمله .

فقال له : إِنِّي تَخَوَّفْتُ إِكْرَاهَهُ ، وَلَقَدْ افْتَدَيْتُ شَهَادَتِي عِنْدَكَ بِمَالٍ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنِّي فَأَقَمْتُهَا ؛ فَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَكَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا إِنْ قَبِلْتَهَا ، وَقَامَ مِنْ عِنْدِهِ ؛ وَلَمْ يَقْدِرْ سَوَّارٌ لَهُ عَلَى شَيْءٍ لِمَا تَقَدَّمَ بِهِ الْمَنْصُورُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِ ، وَاغْتَاظَ غَيْظًا شَدِيدًا وَانْصَرَفَ مِنْ مَجْلِسِهِ فَلَمْ يَقْضِ يَوْمَئِذٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ . ثُمَّ إِنَّ سَوَّارًا اعْتَلَّ عِلَّتَهُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا فَلَمْ يَقْدِرِ السَّيِّدُ عَلَى هِجَائِهِ فِي حَيَاتِهِ لِنَهْيِ الْمَنْصُورِ إِيَّاهُ عَنْ ذَلِكَ . وَمَاتَ سَوَّارٌ فَأُخْرِجَ عَشِيًّا وَحُفِرَ لَهُ . فَوَقَعَ الْحَفَرُ فِي مَوْضِعٍ كَنِيفٍ . وَكَانَ بَيْنَ الْأَزْدِ وَبَيْنَ تَمِيمٍ عداوةٌ ، فَمَاتَ عَقِبَ مَوْتِهِ عَبَادُ بْنُ حَبِيبٍ بْنُ الْمَهْلَبِ ؛ فَهَجَا السَّيِّدُ سَوَّارًا فِي قَصِيدَةٍ رَثَى بِهَا عَبَادًا وَدَفَعَهَا إِلَى نَوَائِحِ الْأَزْدِ لِمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ تَمِيمٍ مِنَ الْعداوةِ وَلِقَرَبِهِمْ مِنْ دَارِ سَوَّارٍ يُنْحَنُ بِهَا ، وَأَوَّلُهَا¹ :

يا مَنْ غَدَا حَامِلًا جُثْمَانَ سَوَّارٍ	من دَارِهِ ظَاعِنًا مِنْهَا إِلَى النَّارِ
لَا قَدَسَ اللَّهُ رُوحًا كَانَ هَيْكَلُهَا	فَقَدْ مَضَتْ بِعَظِيمِ الْخِزْيِ وَالْعَارِ
حَتَّى هَوَتْ قَعَرُ بُرْهُوتٍ مُعَدَّبَةٍ	وَجَسْمُهُ فِي كَنِيفٍ بَيْنَ أَقْدَارِ ²
لَقَدْ رَأَيْتُ مِنَ الرَّحْمَنِ مُعْجِبَةً	فِيهِ وَأَحْكَامُهُ تَجْرِي بِمَقْدَارِ
فَاذْهَبْ عَلَيْكَ مِنَ الرَّحْمَنِ بَهْلَتُهُ	يَا شَرَّ حَيٍّ بَرَاهِ الْخَالِقُ الْبَارِي ³

[مازح صديقاً زنجياً]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبِقَالُ قَالَ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَرَّانِيُّ ، وَكَانَ يُلقَّبُ بَعُوضَةَ وَصَارَ مِنْ سَادَاتِ الْأَزْدِ . قَالَ : كَانَ السَّيِّدُ جَارِي ، وَكَانَ أَذْلَمُ⁴ ، وَكَانَ يُنَادِمُ فَتِيانًا مِنْ فَتَيَانَ الْحَيِّ فِيهِمْ فَتَى مِثْلُهُ أَذْلَمُ غَلِيظُ الْأَنْفِ وَالشَّفَتَيْنِ مُزَنِّجُ الْخَلْقَةِ . وَكَانَ السَّيِّدُ مِنْ أَتْنِ النَّاسِ إِبْطِينَ . وَكَانَا يَتِمَارِضَانِ ، فَيَقُولُ لَهُ السَّيِّدُ : أَنْتَ زَنْجِي الْأَنْفِ وَالشَّفَتَيْنِ ، وَيَقُولُ الْفَتَى لِلْسَّيِّدِ : أَنْتَ زَنْجِي اللَّوْنِ وَالْإِبْطِينَ . فَقَالَ السَّيِّدُ⁵ :

[من الوافر]

أَعَارَكَ يَوْمَ بَعْنَاهُ رِياحٌ مَشَافِرَهُ وَأَنْفَكَ ذَا الْقِيحَا⁶

1 ديوانه : 230-232 مع بعض اختلاف وخمسة أبيات أخرى .

2 برهوت : بئر في حضرموت قيل إن فيها أرواح الكافرين .

3 البهلة : اللعنة .

4 أذلَم : شديد السواد .

5 ديوانه : 148 .

6 رياح : من أسماء العبيد .

وكانت حصتي إبطي منه ولوناً حالكاً أمسى فضوحاً
 فهل لك في مبادلتك إبطي بأنفك تحمدُ البيعَ الرِّيحاً
 فإنك أقبحُ الفتيانِ أنفأً وإبطي أننُ الأباطِ ربحاً

[هجا امرأة صديقه]

أخبرني أحمد قال حدثني شيبان قال : مات منّا رجلٌ موسيرٌ وخلف ابناً له فورث ماله وأتلفه بالإسراف ، وأقبل على الفساد واللّهو ، وقد تزوّج امرأةً تسمّى ليلي ، واجتمع على السيّد وكان من أظرف الناس ، وكان الفتى لا يصبر عنه ، وأنفق عليه مالاً كثيراً ؛ وكانت ليلي تعذّله على إسرافه وتقول له : كاتني بك قد افتقرت فلم يُغن عنك شيئاً . فهجاها السيّد . وكان ممّا قال فيها¹ :

أقولُ يا ليتَ ليلي في يَدَيَّ حَنَقٍ من العداوة منْ أَعْدَى أعاديها
 يعلو بها فوق رَعْنٍ ثمَّ يَحْدِرُها في هُوّةٍ فتدهدى يومها فيها
 أو ليتَها في عِمارِ البحرِ قد عصفت فيه الرِّياحُ فهاجت من أواذيها²
 أو ليتَها قرنت يوماً إلى فرسي قد شدّت منها إلى هاديه هادِها
 حتى يُرى لحمُها من حُضْرِهِ زِيماً وقد أتى القومَ بعد الموتِ ناعياً³
 فمَنْ بكأها فلا جفّت مدامعُها لا أسخن الله إلاَّ عينَ باكِها

[يشكر والي الكوفة على رداء أهداه له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إسحاق بن محمد النخعيّ وعبد الحميد بن عُقبة قالَا حدثنا الحسن بن عليّ بن المغيرة الكسلان عن محمد بن كناسة قال : أهدى بعضُ ولاة الكوفة إلى السيّد رداءً عَدَنِيّاً ؛ فكتب إليه السيّد فقال⁴ :

وقد أتانا رداء من هَدَيْتكم فلا عَدِمْتُكَ طولَ الدَّهرِ مِنْ والٍ
 هو الجمالُ جزاك الله صالحاً لو أنّه كان موصولاً بسرِّبالٍ
 فبعث إليه بخِلعة تامّة وفرسٍ جوادٍ وقال : يُقطع عتابُ أبي هاشمٍ واستزادته إيانا .

1 ديوانه : 467 .

2 الأواذي : الأمواج واحدها آذي .

3 الزيم : القطع المتفرقة .

4 ديوانه : 343 .

[يسبّ الشيخين عندما سمع قاصّاً يمدحهما]

حدّثني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن بعض البصريّين عن سليمان بن أرّقم قال : كنتُ مع السيّد ، فمرّ بقاصٍّ على باب أبي سفيان بن العلاء وهو يقول : يُوزن رسولُ الله ﷺ يومَ القيامة في كِفّة بأَمّته أجمع فيرجحُ بهم ، ثم يُوتى بفلان فيوزن بهم فيرجح ، ثم يُوتى بفلان فيوزن بهم فيرجح . فأقبل على أبي سفيان فقال : لعمري إنّ رسولَ الله ﷺ ليرجح على أمّته في الفضل ، والحديث حقٌّ : وإنّما رجح الآخِران الناسَ في سيّئاتهم ؛ لأنّ من سنّ سنة سيّئة فعُمِلَ بها بعده كان عليه وزرُها ووزرُ مَنْ عَمِلَ بها . قال : فما أجابه أحدٌ . فمضى فلم يبقَ أحدٌ من القوم إلاّ سبّه .

[يتغرّل بينت الفجاءة]

وقال أبو جعفر الأعرج حدّثني إسماعيل بن السّاحر قال : خرجتُ من منزل نصر بن مسعود أنا وكاتب عقبة بن سلّم والسيّد ونحن سكارى . فلما كنّا بزهران لقيتنا بنتُ الفجاءة بن عمرو بن قطريّ بن الفجاءة ، وكانت امرأةً برّزةً حسناءً فصيحَةً ، فواقفها السيّد وتخطب عليها وأنشدها من شعره بتجميش ، فأعجب كلُّ واحدٍ منهما صاحبه . فقال السيّد¹ :

من ناكثين وقاسطين الأروغ
حول الأمين وقال هات ليسمعوا
خضع الرقاب بأعين لا ترفع	قم يا ابن مذعورٍ فأنشد نكسوا
شنانهم وتفرّقوا وتصدّعوا	لولا حذارُ أبي بجير أظهروا
سبعين عاماً والأنوفُ تجدّع	لا تجزّعوا فلقد صبرنا فاصبروا
منكم بصاحبنا خطيبٌ مصنّع ²	إذ لا يزال يقوم كلّ عروبة
في الشتم مثله بخيل يسجّع ³	مُسحَفِرٌ في غيّه مُتتايِع
إنّ الشقيّ بكلّ شرٍّ موع	ليسرّ مخلوقاً ويُسخط خالقاً

فلما سمعها أبو بجير دعا صاحبَ عَسَسِه فشتمه وقال : جنيتَ عليّ ما لا يد لي به ؛ اذهب صاغراً إلى الحبس وقل : أيّكم أبو هاشم ؛ فإذا أجابك فأخرجه واحمله على دابّتك وامش معه

1 لا ارتباط بين هذا الخبر والشعر . ويبدو أنّ الأبيات التالية وما بعدها تتمّة لخبر حبسه على السكر في الأهواز .

2 عروبة : يوم الجمعة .

3 مسحفر : سريع . متايّع : متهاف .

صاغراً حتى تأتيني به ففعل . فأبى السيد ولم يُجِبْهِ إلى الخروج إلا بعد أن يُطْلَقَ له كلٌّ من أخذ معه . فرجع إلى أبي بجير فأخبره ، فقال : الحمد لله الذي لم يَقُلْ أَخْرِجْهُمْ وَأَعْطِرْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَالاً ، فما كنا نقدر على خلافه ؛ افعل ما أَحَبَّ برغم أنفك الآن . فمضى فخلّى سبيله وسبيل كلٍّ من كان معه ممّن أخذ في تلك الليلة ، وأتى به إلى أبي بجير . فتناوله بلسانه وقال : قدِمْتَ علينا فلم تأتِنا وأتيت بعض أصحابك الفسّاق وشربت ما حرّم عليك حتى جرى ما جرى ؛ فاعتذر من ذلك إليه ؛ فأمر له أبو بجير بجائزة سنّية وحمله وأقام عنده مدّة .

[أبو بجير والتشيع]

قال التّوفليّ وحدثني أبي : أنّ جماعة من أهل الثغور قدِموا على أبي بجير بتسييب بهم فأطلقهم ، ثم جاءوه فعاتبوه على التشيع وسألوه الرجوع ؛ فغضب من ذلك ودعا بمولاه يزيد بن مدعور فقال : أنشدني ويْلَكَ لأبي هاشم . فأنشده قوله¹ :

يا صاحبيّ لدمتني عفاهما مرّ الرياح عليهما فمحاها
حتى فرغ . ثم قال : هاتِ التّوبيّة ؛ فأنشده² :

يا صاحبيّ تروّحاً وذّراني ليس الخليّ كمُسعّر الأحران
فلما فرغ قال : أنشدني الدماغة الرائيّة ، فأنشده إياها . فلما فرغ أقبل عليه الثّغريّون فقالوا له : ما أعتبنا فيما عاتبناك عليه . فقال : يا حمير ! هل في الجواب أكثر ممّا سمعتم ؟ والله لولا أنّي لا أعلم كيف يقع فعلي من أمير المؤمنين لضربتُ أعناقكم ! قوموا إلى غير حفظ الله فقاموا . وبلغ السيّد الخبرُ فقال³ :

إذا قال الأميرُ أبو بجيرٍ
طربتُ إلى الكرامِ فهاتِ فيهم
رأيتُ لمن بحضرته وجوهاً
كأنّ يزيد يُنشد بامتداح
أخو أسدٍ لمنشده يزيداً
مديحاً من مديحك أو نشيداً
من الشُّكّاكِ والمرجّين سوداً
أبا حسنٍ نصارى أو يهوداً

[أشعر الناس أبو العبد]

وروى أبو داود المسترقّ : أنّ السيّد والعبديّ اجتمعا ؛ فأنشد السيّد⁴ :

[من البسيط]

1 ديوانه : 385 .

2 ديوانه : 445 .

3 ديوانه : 163 عن الأغاني .

4 ديوانه : 418 ورواية صدر البيت الثاني فيه : وما به دان يوم النهر دنت به

إِنِّي أَدِينُ بِمَا دَانَ الْوَصِيُّ بِهِ يَوْمَ الْخُرَيْبَةِ مِنْ قَتْلِ الْمُحَلِّينَا¹
وبالذي دَانَ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ بِهِ وَشَارَكَتْ كَفَّهُ كَفِّي بِصِفِينَا
فَقَالَ لَهُ الْعَبْدِيُّ : أَخْطَأْتُ ، لَوْ شَارَكَتُ كَفُّكَ كَفَّهُ كُنْتُ مِثْلَهُ ؛ وَلَكِنْ قُلْ : تَابَعْتُ كَفِّي
كَفَّهُ لَتَكُونَ تَابِعًا لَا شَرِيكَاً . فَكَانَ السَّيِّدُ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ : أَنَا أَشْعَرُ النَّاسِ إِلَّا الْعَبْدِيُّ .
[سُكَّرَ وَسَبَّ الشَّيْخِينَ]

وَقَالَ إِسْحَاقُ النَّخَعِيُّ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْأَعْرَجِ عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ
السَّاحِرِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ السَّيِّدِ وَقَدْ أَكْرَبْنَا سَفِينَةً إِلَى الْأَهْوَازِ ؛ فَجَلَسَ فِيهَا مَعَنَا قَوْمٌ شُرَاقٌ ،
فَجَعَلُوا يَنَالُونَ مِنْ عِثْمَانَ . فَأَخْرَجَ السَّيِّدُ رَأْسَهُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ² :
[مِنْ الْبَسِيطِ]
شَفِيتَ مَنْ نَعَثَلٍ فِي نَحْتٍ أَثْلَتَهُ فَأَعْمِدْ هُدَيْتَ إِلَى نَحْتِ الْغَوَّيْنِ³
اعْمِدْ هُدَيْتَ إِلَى نَحْتِ اللَّذَيْنِ هُمَا كَانَا عَنِ الشَّرِّ لَوْ شَاءَ غَيَّيْنِ
قَالَ إِسْمَاعِيلُ : فَلَمَّا قَدِمْنَا الْأَهْوَازَ قَدِمَ السَّيِّدُ وَقَدْ سَكِرَ ، فَاتَى بِهِ أَبَا بَجِيرَ بْنِ سَمَّاكَ
الْأَسَدِيَّ ؛ وَكَانَ ابْنُ النَّجَاشِيِّ عِنْدَ ابْنِ سَمَّاكَ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، وَكَانَ يَعْرِفُهُ بِاسْمِهِ وَلَمْ يَعْرِفْهُ .
فَقَالَ لَهُ : يَا شَيْخَ السَّوِّءِ ، تَخْرُجُ سَكِرَانٍ فِي هَذَا الْوَقْتِ ! لِأَحْسِنَنَّ أَذْبَكَ . فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ لَا
فَعَلْتُ ، وَلَتُكْرِمَنِي وَلَتُخْلَعَنَّ عَلَيَّ وَلَتَحْمِلَنِي وَتُجِيزَنِي . قَالَ : أَوْتَهَزْ أَيْضاً ! قَالَ : لَا وَاللَّهِ ؛ ثُمَّ
انْدَفَعَ يُنْشِدُهُ فَقَالَ⁴ :

مَنْ كَانَ مَعْتَذِراً مِنْ شَتْمِهِ عَمراً فَابْنُ النَّجَاشِيِّ مِنْهُ غَيْرُ مُعْتَذِرٍ
وَابْنُ النَّجَاشِيِّ بَرَاءٌ ، غَيْرَ مُحْتَشِمٍ ، فِي دِينِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَمِنْ عَمْرِ
ثُمَّ أَنْشَدَهُ قَوْلَهُ⁵ :

إِحْدَاهُمَا نَمَّتْ عَلَيْهِ حَدِيثُهُ وَبَغَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ إِحْدَاهُمَا⁶
فَهُمَا اللَّتَانِ سَمِعْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ فِي الذِّكْرِ قَصَّ عَلَى الْعِبَادِ نَبَاهُمَا⁷
فَقَالَ : أَبُو هَاشِمٍ ؟ فَقَالَ نَعَمْ . قَالَ : ارْتَفِعْ . فَحَمَلَهُ وَأَجَازَهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا صَدَّقَنَّا قَوْلَكَ فِي
جَمِيعِ مَا حَلَفْتَ عَلَيْهِ .

1 الخريبة : موضع ، بالبصرة كانت به وقعة الجمل .

2 ديوانه : 441 عن الأغاني .

3 نحت أثلته : ذمه وتنقصه .

4 ديوانه : 238 عن الأغاني .

5 أنظر ديوانه : 386 .

6 يقصد حفصة وعائشة .

7 إشارة إلى ما جاء في سورة التحريم : ﴿وَإِذَا اسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً...﴾ .

[أباح له أبو بجير شرب النبيذ]

قال إسماعيل : رأى أبو بجير السيّد متغيّر اللون ، فسأله عن حاله ؛ فقال : فَقَدْتُ الشَّرَابَ الذي أَلْفَتُهُ لِكراهةِ الأميرِ إِيَّاه ؛ قال : فَأَشْرَبْهُ ، فَإِنَّا نَحْتَمِلُهُ لَكَ . قال : ليس عندي . قال لِكاتبه : اكُتِبْ لَهُ بِمَائَتِي دَوْرُق مِيبَخْتَج¹ . فقال له السيّد : ليس هذا من البلاغة . قال : وما هي ؟ قال : البلاغة أن تأتي من الكلام بما يُحتاج إليه وتَدَع ما يُستغنى عنه . قال : وكيف ذلك ؟ قال : اكتب بمائتي دَوْرُق «مي» ولا تكتب «بَخْتَج» ، فَإِنَّكَ تَسْتَغْنِي عَنْهُ . فضحك ، ثم أمر فَكُتِبَ لَهُ بِذَلِكَ . قال : والمي : النبيذ .

[شماتة المرجئة بأبي بجير]

قال إسماعيل : وبلغ السيّد وهو بالأهواز أَنَّ أبا بجير قد أَشْرَفَ عَلَى المَوْتِ ، فَأَظْهَرَتِ المَرْجئةُ الشَّمَاتَةَ بِهِ . فخرج السيّد متحرِّقاً حَتَّى اكْرَى سَفِينَةً وَخَرَجَ إِلَيْهَا ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ² :

تَبَاشَرُ أَهْلُ تَدْمَرَ إِذْ أَتَاهُمْ	بَأْمَرِ أَمِيرِنَا لَهُمْ بَشِيرُ
وَلَا لِأَمِيرِنَا ذَنْبٌ إِلَيْهِمْ	صَغِيرٌ فِي الْحَيَاةِ وَلَا كَبِيرُ
سَوْى حَبِّ النَّبِيِّ وَأَقْرَبِيهِ	وَمَوْلَاهُمْ بِحَبِّهِمْ جَدِيرُ
وَقَالُوا لِي لَكَيْمًا يُحْزِنُونِي	وَلَكِنْ قَوْلُهُمْ إِفْكَ وَزَوْرُ
لَقَدْ أَمْسَى أَخُوكَ أَبُو بَجِيرٍ	بِمَنْزِلِهِ يُزَارُ وَلَا يَزُورُ
وَوَلَّتْ شِيعَةُ الْهَادِي عَلِيٍّ	كَأَنَّ الْأَرْضَ تَحْتَهُمْ تَمُورُ
فَبِتُّ كَأَنَّنِي مِمَّا رَمَوْنِي	بِهِ فِي قِدِّ ذِي حَلْقِي أُسِيرُ
كَأَنَّ مَدَامِعِي وَجَفُونَ عَيْنِي	تُوَخَّزُ بِالْقَتَادِ فَهَنْ غُورُ
أَقُولُ عَلَيَّ لِلرَّحْمَنِ نَذْرُ	صَحِيحٌ حَيْثُ تُحْتَبَسُ النَّذُورُ
بِمَكَّةَ ، إِنْ لَقِيتُ أَبَا بُجَيْرٍ	صَحِيحاً وَاللَّوَاءَ لَهُ يَسِيرُ

وهي قصيدة طويلة .

[أشَد النبي في النوم قصيدته العينية]

وروى محمد بن عاصم عن أبي داود المسترقي عن السيّد : أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي النُّوْمِ ، فَاسْتَنْشَدَهُ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :

[من السريع]

1 ميبختج : كلمة فارسية مركبة من «مي» ومعناها النبيذ و«بختج» ومعناها المطبوخ .

2 ديوانه : 207-208 عن الأغاني .

لَأَمْ عمرو باللّوى مَرْبُعُ طَامِسَةٌ أَعْلَامُهُ بَلَقَعُ
حتى انتهى إلى قوله :

قالوا له لو شئتَ أَعْلَمْتُنَا إلى مَنْ الغَايَةُ والمَفْزَعُ
فقال : حَسْبُكَ ! ثم نَفَضَ يَدَهُ وقال : قد وَاللّهِ أَعْلَمْتُهُمْ .

[مرضه ووفاته]

وروى أبو داود وإسماعيل بن السّاحر : أَنَّهُمَا حَضَرَا السَّيِّدَ عِنْدَ وَفَاتِهِ بِوَاسِطٍ وَقَدْ أَصَابَهُ
شَرٌّ وَكَرَبٌ ؛ فَجَلَسَ ؛ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَهْكَذَا جَزَائِي فِي حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ! قَالَ : فَكَأَنَّهَا كَانَتْ
نَارًا فَطَفِئَتْ عَنْهُ .

[يَتَبَرَّأُ مِنْ عِثْمَانَ وَالشَّيْخِينَ وَهُوَ يَحْتَضِرُ]

وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ بِإِسْنَادٍ لَهُ لَمْ يَحْضُرْنِي وَأَنَا أُخْرِجُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ :
حَدَّثَنِي مَنْ حَضَرَ السَّيِّدَ وَقَدْ احْتَضَرَ فَقَالَ¹ :

بَرِئْتُ إِلَى إِلَهِهِ مِنْ ابْنِ أَرْوَى وَمِنْ دِينِ الْخَوَارِجِ أَجْمَعِينَ²
وَمِنْ فَعْلِي بَرِئْتُ وَمِنْ فَعْلِي غَدَاةَ دُعَايِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ³
ثُمَّ كَانَ نَفْسُهُ كَانَتْ حَصَاةً فَسَقَطَتْ .

[أَهْلُ وَاسِطٍ لَا يَدْفِنُونَهُ]

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ عَنْ أَبِي الْهَدَيْلِ الْعَلَّافِ عَنْ
أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ السَّيِّدَ مَاتَ بِوَاسِطٍ فَلَمْ يَدْفِنُوهُ . وَاللّهِ لَنْ تَحَقَّقَ عِنْدِي
لَأَحْرِقْنَهَا ! .

[مُحِبُّو آلِ مُحَمَّدٍ لَا يَمُوتُونَ إِلَّا تَائِبِينَ]

وَوَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى اللَّوْثِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ عَنْ
صُهَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَأَتَاهُ نَعْيُ السَّيِّدِ ، فَدَعَا لَهُ وَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ .
فَقَالَ رَجُلٌ : يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ ، تَدْعُو لَهُ وَهُوَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيُؤْمِنُ بِالرَّجْعَةِ ؟ فَقَالَ : حَدَّثَنِي
أَبِي عَنْ جَدِّي أَنَّ مُحَبِّبِي آلِ مُحَمَّدٍ لَا يَمُوتُونَ إِلَّا تَائِبِينَ وَقَدْ تَابَ ، وَرَفَعَ مُصَلًّى كَانَتْ تَحْتَهُ ،
فَأَخْرَجَ كِتَابًا مِنَ السَّيِّدِ يَعْرِفُهُ فِيهِ أَنَّهُ قَدْ تَابَ وَيَسْأَلُهُ الدُّعَاءَ لَهُ .

1 ديوانه : 427 .

2 ابن أروى : عثمان بن عفان .

3 يعني أبا بكر وعمر .

[عاش إلى خلافة الرشيد ومدحه]

وذكر محمد بن إدريس العُتبيُّ أنَّ مُعاذ بن يزيد الحِميريَّ حَدَّثَهُ أَنَّ السَّيِّدَ عَاشَ إِلَى خِلاَفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ ، وَانَّهُ مَدَّحَهُ بِقَصِيدَتَيْنِ فَأَمَرَ لَهُ بِدُرَّتَيْنِ فَفَرَّقَهُمَا . فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّشِيدَ فَقَالَ : أَحْسَبُ أَبَا هَاشِمٍ تَوَرَّعَ عَنْ قَبُولِ جَوَائِزِنَا .
[لَمَّا مَاتَ أَحْضَرَهُ لِهَ سَبْعُونَ كَفْنًا]

أَخْبَرَنِي ابْنُ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ نُعَيْمٍ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّلْحِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ بَشِيرٍ بْنُ عَمَّارِ الصَّيْرَفِيِّ عَنْ جَدِّهِ بَشِيرِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ : حَضَرَتْ وَفَاةَ السَّيِّدِ فِي الرُّمَيْلَةِ بِبَغْدَادَ ، فَوَجَّهَ رَسُولًا إِلَى صَفِّ الْجَزَّارِينَ الْكُوفِيِّينَ يُعَلِّمُهُمْ بِحَالِهِ وَوَفَاتِهِ ؛ فَغَلِطَ الرَّسُولُ فَذَهَبَ إِلَى صَفِّ السَّمُوسِينَ ، فَشْتَمَوْهُ وَلَعَنُوهُ ؛ فَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ غَلِطَ ، فَعَادَ إِلَى الْكُوفِيِّينَ يُعَلِّمُهُمْ بِحَالِهِ وَوَفَاتِهِ ؛ فَوَفَّاهُ سَبْعُونَ كَفْنًا . قَالَ : وَحَضَرْنَاهُ جَمِيعًا وَانَّهُ لِيَتَحَسَّرَ تَحَسَّرًا شَدِيدًا¹ وَإِنْ وَجَّهَ لِأَسْوَدَ كَالْقَارِ وَمَا يَتَكَلَّمُ ، إِلَى أَنْ أَفَاقَ إِفَاقَةً وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فَنَظَرَ إِلَى نَاحِيَةِ الْقَبِيلَةِ ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَفْعَلُ هَذَا بَوْلِيكَ ؟ قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . قَالَ : فَتَجَلَّى وَاللَّهِ فِي جَنِينِهِ عِرْقُ بَيَاضٍ ، فَمَا زَالَ يَتَسَّعُ وَيَلْبَسُ وَجْهَهُ حَتَّى صَارَ كُلُّهُ كَالْبَدْرِ² ، وَتَوَفَّى فَأَخَذْنَا فِي جِهَازِهِ وَدَفَنَاهُ فِي الْجَنِينَةِ بِبَغْدَادَ ، وَذَلِكَ فِي خِلاَفَةِ الرَّشِيدِ .

1 ل : لينخر نخيراً .

2 ل : كالبرد .

109 - [أخبار عبد الله بن علقمة وحيشة]

صوت من المائة المختارة¹

[من الطويل]

فلا زلنَ حَسْرَى ظُلَعًا لِمَ حَمَلْنَهَا إلى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأَصَادِقِ
ولا ذَنبَ لي إذ قلتُ إذ نحن جِيرةٌ أثْيبي بوْدٌ قبل إحدى البوائِقِ
عروضه من الطويل .

قوله : « فلا زلن حسرى » : دعاء على الإبل التي ظَعَنْتَ بها وأبعدتها عنه . وحسرى : قد حَسِرْنَ أي بَلَغَ منهن الجَهْدُ فلم يُبقِ فيهنَّ بَقِيَّةً ، يقال : حَسَرَ نَاقَتَهُ فهو يَحْسِرُهَا ، وهي حَسْرَى ، والذَّكَرُ حَسِيرٌ² ؛ قال الله عز وجل : ﴿ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ . وفي الحديث « فَإِنْ اتَّعَبْتَهَا حَسَرْتَهَا » . وَالظَّلْعُ في كلِّ شيءٍ : أَنْ تَأْلُمَ رِجْلُهُ فلا يَقْدِرُ أَنْ يَمْشِيَ عليها فَيَعْجِزَ في مَشْيِهِ كالأعرج إذا مشى ، ويقال : ظَلَعَ فهو ظَالِعٌ . والنائي : البعيد ، والنَّيَّةُ : الناحية التي تنوي إليها ، والنوى : البعد ، والتنائي : التباعد . والبوائق : الحوادث التي تأتي بما يُحْذَرُ بَغْتَةً ، وهي مثل المصائب والنوائب .

البيت الأول من الشعر لكثير ، ويقال : إِنَّهُ لَأَيُّ جُنْدَبٍ الهذلي . والبيت الثاني لرجل من كِنانة ثم من بني جَذِيمَة ، وزعم ابن ذَابٍ أَنَّهُ عبد الله بن عَلْقَمَة أَحَدُ بني عامر بن عبد مَنَاةَ بن كِنانة ، وقيل أيضاً : إِنَّهُ يقال له عمرو الذي قتله خالد بن الوليد في بعض مَغَارِبه التي وجَّهه رسول الله ﷺ فيها .

الغناء في اللحن المختار مُتَمِّمٌ مولاةَ علي بن هشام وأُمُّ أولاده . ولحنها رمل بالبصر ، من رواية إسحاق وعمرو ؛ وهو من الأُرْمال النادرة المختارة . وفيه خفيفٌ ثَقِيلٌ ، يقال : إِنَّهُ لحسين بن مُحَرِّز ، ويقال : إِنَّهُ قديمٌ من غناء أهل مَكَّةَ .

1 انظر ديوان كثير عزة (جمع إحسان عباس) : 533 .

2 في اللسان (حسر) : الذكر والأنثى سواء والجمع حسرى مثل قتيل قتلى .

[أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا العباس بن بكار قال حدثنا ابن ذاب قال : كان من حديث عبد الله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة أنه خرج مع أمه وهو مع ذلك غلام يفقه دون المحتلم لتزور جارة لها ، وكان لها بنت يقال لها حبيشة بنت حبش أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة . فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبه ووقع في نفسه ، وانصرف وترك أمه عند جارتها ، فليثت عندها يومين . ثم أتتها عبد الله بن علقمة ليرجعها إلى منزلها ، فوجد حبيشة قد زينت لأمر كان في الحى ، فازداد بها عجباً ، وانصرف بأمه في غداة تمطر ، فمشى معها شيئاً ثم أنشأ يقول :

وما أدري بلى إنني لأدري أصوب القطر أحسن أم حبش
حبيشة والذي خلق الهدايا وما عن بعدها للصب عيش

فسمعت ذلك أمه فتغافلت عنه وكرهت قوله . ثم مشياً ملياً ، فإذا هو بظبي على ربوة من الأرض ، فقال :

يا أمّا أخبريني غير كاذبة وما يُريد مسؤل الحق بالكذب
أنتك أحسن أم طبيّ براية لا بل حبيشة في عيني وفي أربي

فجزته أمه وقالت له : ما أنت وهذا ؟ تزوجك بنت عمك فهي أجمل من تلك . وأتت امرأة عمه فأخبرتها خبره ، وقالت : زيني ابتك له ، ففعلت وأدخلتها عليه . فلما رآها أطرق . فقالت له أمه : أيهما الآن أحسن ؟ فقال :

إذا غيّبت عني حبيشة مرة من الدهر لم أملك عزاء ولا صبرا
كأن الحشى حرّ السعير يحشّه وقود الغضى والقلب مستعراً [جمراً]¹

وجعل يُراسل الجارية وتراسله حتى علقتة كما علّقها ، وكثر قوله للشعر فيها . فمن ذلك قال :

حبيشة هل جدّي وجدك جامع بشمليكم شملي وأهلكم أهلي
وهل أنا ملتف بثوبك مرة بصحراء بين الألتين إلى النخل

وهل أَشْتَفِي من رِيْقِ ثَغْرِكِ مَرَّةً كَرَّاحٍ ومِسْكِ خَالِطَا ضَرْبِ النَّحْلِ

فلَمَّا بَلَغَ أَهْلُهَا خَبْرُهَا حَجَبُوهَا عَنْهُ مُدَّةً ، وَهُوَ يَزِيدُ غَرَاماً بِهَا وَيُكْثِرُ قَوْلَ الشَّعْرِ فِيهَا .
فَأَتَوْهَا فَقَالُوا لَهَا : عِدِّيهِ السَّرْحَةَ ، فَإِذَا أَتَاكَ فَقُولِي لَهُ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ أَحْبَبْتَنِي فَوَاللَّهِ مَا
عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ أَبْغُضَ إِلَيَّ مِنْكَ ، وَنَحْنُ قَرِيبٌ نَسْتَمَعُ مَا تَقُولِينَ . فَوَعَدْتَهُ وَجَلَسُوا قَرِيباً
يَسْتَمْعُونَ ، وَجَلَسْتُ عِنْدَ السَّرْحَةِ ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ لَوْعِدَهَا . فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا ذَمَعَتْ عَيْنُهَا
والتفتت إلى حيث أَهْلُهَا جُلُوسٌ ، فَعَرَفَ أَنَّهُمْ قَرِيبٌ فَجَرَعَ . وَبَلَغَهُ مَا قَالُوا لَهَا أَنْ تَقُولَهُ فَأَنْشَأَ
يقول :

لو قُلْتَ مَا قَالُوا لَزِدْتُ جَوِيَّ بِكُمْ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ سِتْرٌ وَلَا صَبْرٌ
ولم يَكُ حَبِّي عَنْ نَوَالٍ بِذِلَّتِهِ فَيُسَلِّينِي عَنْهُ التَّجَهُُّمُ وَالْهَجْرُ
وما أَنَسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ دَمْعَهَا وَنَظَرَتَهَا حَتَّى يُعَيِّنِي الْقَبْرُ

[سرية خالد بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مناة]

وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي عَامِرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ
وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَجَابُوهُ وَالْأَقَاتْلَهُمْ . فَصَبَحَهُمْ¹ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ
بِالْغَمِيصَاءِ² وَقَدْ سَمِعُوا بِهِ فَخَافُوهُ فَطَعَنُوا ، وَكَانُوا قَتَلُوا أَخَاهُ الْفَاكَةَ بْنَ الْوَلِيدِ وَعَمَّهُ
الْفَاكَةَ بْنَ الْمَغِيرَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانُوا مِنْ أَشَدِّ حَيٍّ فِي كِنَانَةَ بِأَسَأَ يُسْمَوْنَ «لَعَقَةُ الدَّمِ» .
فَلَمَّا صَبَحَهُمْ خَالِدٌ وَمَعَهُ بَنُو سُلَيْمٍ ، وَكَانَتْ بَنُو سُلَيْمٍ طَلَبْتُهُمْ بِمَالِكِ بْنِ خَالِدِ بْنِ
صَخْرِ بْنِ الشَّرِيدِ وَإِخْوَتِهِ كُرْزٍ وَعَمْرُو وَالْحَارِثِ ، وَكَانُوا قَتَلُوهُمْ فِي مَوْطِنٍ وَاحِدٍ . فَلَمَّا
صَبَحَهُمْ خَالِدٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَرَأَوْا مَعَهُ بَنِي سُلَيْمٍ زَادَهُمْ ذَلِكَ نَفُوراً . فَقَالَ لَهُمْ خَالِدٌ :
أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا . قَالُوا : نَحْنُ قَوْمٌ مُسْلِمُونَ . قَالَ : فَالْقُوا سِلَاحَكُمْ وَأَنْزِلُوا . قَالُوا : لَا
وَاللَّهِ . فَقَالَ جَذِيمَةُ بْنُ الْحَارِثِ أَحَدُ بَنِي أَقْرَمَ : يَا قَوْمَ ، لَا تَضَعُوا سِلَاحَكُمْ ، وَاللَّهِ مَا بَعْدَ
وَضْعِ السِّلَاحِ إِلَّا الْقَتْلُ . قَالُوا : لَا وَاللَّهِ لَا نُلْقِي سِلَاحَنَا وَلَا نَنْزِلُ ، مَا نَحْنُ مِنْكَ وَلَا لِمَنْ
مَعَكَ بِأَمِينٍ . قَالَ خَالِدٌ : فَلَا أَمَانَ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَنْزِلُوا . فَانْزَلَتْ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ فَأَسْرَهُمْ ، وَتَفَرَّقَ
بَقِيَّةُ الْقَوْمِ فِرْقَتَيْنِ ، فَأَصْعَدَتْ فِرْقَةٌ وَسَفَلَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى .

[رواية أخرى]

قال ابنُ دُأْبَ : فَأَخْبَرَنِي مَنْ لَا أَنَّهُمْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدَرْدَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ : كُنْتُ

1 قارن بسيرة ابن هشام 2 : 429 وما بعدها وفي الشعر والرواية اختلاف غير يسير ، والرواية هنالك هي أيضاً
عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي .

2 الغميصاء : موضع قرب مكة .

يومئذ في جند خالد ، فَبَعَثْنَا فِي أَثَرِ ظُعْنٍ¹ مُصْعَدَةٍ يَسُوقُ بَهَنَ فِتْيَةٍ ، فقال : أَدْرِكُوا أَوْلَئِكَ . قال : فخرجنا في أَثَرِهِمْ حَتَّى أَدْرَكْنَاهُمْ وَقَدْ مَضَوْا ، وَوَقَفَ لَنَا غَلامٌ شَابٌّ عَلَى الطَّرِيقِ . فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ جَعَلَ يِقَاتِلُنَا وَهُوَ يَقُولُ :

بَيْنَ أَطْرَافِ الدُّيُولِ وَارْبَعْنَ مَشْيَ حَيَّاتٍ كَأَن لَمْ يَفْزَعْ
إِنْ يُمْنَعِ الْيَوْمَ نِسَاءً تُمْنَعْنَ

فَقَاتَلْنَا طَوِيلًا فَقَتَلْنَاهُ ، وَمَضَيْنَا حَتَّى لَحِقْنَا الظُّعْنَ ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا غَلامٌ كَأَنَّهُ الْأَوَّلُ ، فَجَعَلَ يِقَاتِلُنَا وَيَقُولُ :

أَقْسَمَ مَا إِنْ خَادِرٌ ذُو لَيْدِهِ يَزَارُ بَيْنَ أَيْكَةٍ وَوَهْدَةٍ²
يَفِرْسُ شُبَّانَ الرِّجَالِ وَحَدَّهُ بِأَصْدَقِ الْغَدَاةِ مَنِّي نَجْدَةٍ

فَقَاتَلْنَا حَتَّى قَتَلْنَاهُ ، وَأَدْرَكْنَا الظُّعْنَ فَأَخَذْنَاهُمْ ، فَإِذَا فِيهِمْ غَلامٌ وَضِيءٌ بِهِ صَفْرَةٌ وَفِي لَوْنِهِ كَالنَّهْوَكَ ، فَرَبَطْنَاهُ بِحَبْلِ وَقَدَّمْنَاهُ لِنَقْتُلَهُ ؛ فَقَالَ لَنَا : هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ ؟ قُلْنَا : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : تُدْرِكُونَ بِي الظُّعْنَ أَسْفَلَ الْوَادِي ثُمَّ تَقْتُلُونَنِي ؛ قُلْنَا : نَفْعُ . فَخَرَجْنَا حَتَّى نُعَارِضَ الظُّعْنَ أَسْفَلَ الْوَادِي . فَلَمَّا كَانَ بِحَيْثُ يَسْمَعُنَ الصَّوْتَ ، نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : اسْلَمِي حُبَيْشَ ، عِنْدَ نَفَادِ الْعَيْشِ . فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ بِيضَاءِ حُسْنَانَةٍ فَقَالَتْ : وَأَنْتَ فَاسْلَمِي عَلَى كَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَشِدَّةِ الْبَلَاءِ . فَقَالَ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ دَهْرًا ، وَإِنْ بَقِيَتْ عَصْرًا . قَالَتْ : وَأَنْتَ سَلَامٌ عَلَيْكَ عَشْرًا ، وَشَفْعًا تَتْرَى ، وَثَلَاثًا وَتَرَا . فَقَالَ :

إِنْ يَقْتُلُونِي يَا حُبَيْشُ فَلَمْ يَدَعْ وَأَنْتِ الَّتِي أَخْلَيْتِ لِحِمِي مِنْ دَمِي

فَقَالَتْ لَهُ :

وَنَحْنُ بِكَيْنَا مِنْ فِرَاقِكَ مَرَّةً وَأُخْرَى وَأَسَيْنَاكَ فِي الْعَسْرِ وَالْيَسْرِ
جَمِيلُ الْعَفَافِ فِي الْمَوَدَّةِ وَالسَّتْرِ

فَقَالَ لَهَا :

أَرَيْتَكَ إِنْ طَالِبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِخَلِيَّةٍ أَوْ أَدْرَكْتُكُمْ بِالْخَوَاتِقِ³

1 ظعن : جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج .

2 الأسد الخادر : المقيم في عرينه .

3 الخواتق : جمع خاتق وهو موضع بتهامة . حلية : واد بتهامة أعلاه لهذيل وأسفله لكانة .

أَلَمْ يَكُ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ
تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السُّرَى وَالْوِدَائِقِ¹
فَقَالَتْ : بَلَى وَاللَّهِ . فَقَالَ :

فَلَا ذَنْبَ لِي إِذْ قُلْتُ إِذْ نَحْنُ جِيرَةٌ
أُثْبِي بُوْدَ قَبْلِ إِحْدَى الْبَوَائِقِ
أُثْبِي بُوْدَ قَبْلِ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى
وَيَنْأَى خَلِيطُ بِالْحَبِيبِ الْمَفَارِقِ

قال ابن أبي حدرّد : فضربنا عنقه ، فتصحمت الجارية من خدرها حتى أتت نحوه فالتصمت فاه ، فترعنا منها رأسه وإنها لتكسع² بنفسها حتى ماتت مكانها . وأفلت من القوم غلام من بني أقرم يقال له السميدع حتى اقتحم على رسول الله ﷺ فأخبره بما صنع خالد وشكاه .

[على يصلح خطأ خالد]

قال ابن دأب : فأخبرني صالح بن كيسان أن رسول الله ﷺ سأله «هل أنكر عليه أحد ما صنع» ؟ فقال : نعم ، رجل أصفر ربعة ورجل أحمر طويل . فقال عمر : أنا والله يا رسول الله أعرفهما ، أما الأول فهو ابني وصفته ، وأما الثاني فهو سالم مولى أبي حذيفة . وكان خالد قد أمر كل من أسر أسيراً أن يضرب عنقه ، فأطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة أسيرين كانا معهما . فبعث رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه بعد فراغه من حنين وبعث معه بإبل وورق وأمره أن يديهم فوداهم ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ ، فسأله فقال علي : قدمت عليهم فقلت لهم : هل لكم أن تقبلوا هذا الجمل بما أصيب منكم من القتل والجرحى وتحللوا رسول الله ﷺ ؟ قالوا نعم . فقلت لهم : فهل لكم أن تقبلوا الثاني بما دخلكم من الرّوع والفرع ؟ قالوا نعم . فقلت لهم : فهل لكم أن تقبلوا الثالث وتحللوا رسول الله ﷺ مما علم ومما لم يعلم ؟ قالوا نعم . قال : فدفعته إليهم ، وجعلت أديهم ، حتى إني لأدي ميلغة الكلب ، وفضلت فضلة فدفعتها إليهم . فقال رسول الله ﷺ : «أقبلوها ؟» قال نعم . قال : «فوالذي أنا عبده لهي أحب إلي من حمر النعم» .

وقالت سلمى بنت عُميس³ :

وكم غادروا يوم الغميضاء من فتى
أصيب فلم يجرح وقد كان جارحا
ومن سيد كهل عليه مهابة
أصيب ولما يعلو الشيب واضحا

1 الودائق : جمع وديقة وهي شدة الحر في الهاجرة .

2 تكسع : تضرب .

3 انظر سيرة ابن هشام 2 : 432 وفي الشعر اختلاف كبير .

أُحَاطَتْ بِخُطَّابِ الْأَيَّامِ وَطَلَّقَتْ غَدَاتْنِي مِنْ مَنْهَنْ نَاكِحَا
وَلَوْلَا مَقَالُ الْقَوْمِ لِلْقَوْمِ أَسْلِمُوا لَلَاقَتْ سَلِيمٌ يَوْمَ ذَلِكَ نَاطِحَا

[إيقاع بني عامر بن عبد مناة برجال قريش في الجاهلية]

قال ابن دأب : وأما سبب قتلهم القرشيين ، فإنه كان نفرٌ من قريش بضعةَ عشرَ أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياه بني عامر بن عبد مناة بن كنانة ، وكان يقال لهم «لَعَقَةُ الدَّمِ» وكانوا ذوي بأسٍ شديد . فجاءت إليهم بنو عامر فقالوا للقرشيين : إياكم أن يكونَ معكم رجل من فهم ؛ لأنه كان له عندهم ذُحْلٌ . قالوا : لا والله ما هو معنا ، وهو معهم . فلما راحوا أدركهم العامريون ففتشواهم فوجدوا الفهميَّ معهم في رحالهم ، فقتلوه وقتلوههم وأخذوا أموالهم . فقال راجزهم :

إِنْ قَرِيشًا غَدَرْتُ وَعَادَةٌ نَحْنُ قَتَلْنَا مِنْهُمْ بِغَادَةٍ¹
عَشْرِينَ كَهْلًا مَا لَهُمْ زِيَادَةٌ

وكان فيمن قُتل يومئذٍ عَفَّانُ بنُ أَبِي العاصي أبو عثمان بن عَفَّان ، وعوف بن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف ، والفاكه بن المغيرة ، والفاكه بن الوليد بن المغيرة . فأرادت قريشُ قتالهم حتى خذلتهم بنو الحارث بن عبد مناة فلم يفعلوا شيئاً . وكان خالد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد مناة فيمن حضر الوقعة هو وضرار . فأشار إلى ذلك ضرار بن الخطاب² بقوله :

دَعَوْتُ إِلَى خُطَّةٍ خَالِدًا مِنَ الْمَجْدِ ضِيْعَهَا خَالِدُ
فَوَاللَّهِ أَدْرِي أَضَاهَى بِهَا بَنِي الْعَمِّ أَمْ صَدْرُهُ بَارِدُ
وَلَوْ خَالِدٌ عَادَ فِي مِثْلِهَا لَتَابَعَهُ عُتْقٌ وَارِدُ³

وقال ضرارٌ أيضاً :

أَرَى ابْنِي لَوْيٍّ أَسْرَعَا أَنْ تَسَالِمَا وَقَدْ سَلَكْتَ أَبْنَاؤَهَا كُلَّ مَسَلِكِ
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَّشَرُّوا بِرِجَالِكُمْ فَذُوكُوا الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِمَذُوكِ⁴

1 عادة : موضع في ديار كنانة .

2 هو ضرار بن الخطاب الفهري من الأشراف والشعراء المعدودين من مسلمة الفتح .

3 عتق واردة : أي متدل ، كناية عن موته .

4 ذوكوا : اسحقوا .

[من الطويل]

فَإِنَّ أَدَاةَ الْحَرْبِ مَا قَدْ جَمَعْتُمْ وَمَنْ يَتَّقِ الْأَقْوَامَ بِالشَّرِّ يُتْرَكِ

[سرايا النبي إلى قبائل كنانة]

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجِيُوشِ إِلَى قَبَائِلِ بَنِي كِنَانَةَ حَوْلَهُ ، فَبَعَثَ إِلَى بَنِي ضَمْرَةَ نُمَيْلَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ ، وَإِلَى بَنِي الدُّثُلِ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ ، وَبَعَثَ إِلَى بَنِي مُدْلَجِ عِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيَّ ، وَبَعَثَ إِلَى بَنِي بَغِيضٍ وَمَحَارِبَ بْنَ فَهْرٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ نَهْيِكَ أَحَدَ بَنِي مَالِكِ بْنِ حِجْسَلٍ ، وَبَعَثَ إِلَى بَنِي عَامِرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ خَالِدًا . فَوَافَاهُمْ خَالِدٌ بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ الْغُمَيْصَاءُ ؛ وَقَدْ كَانَ خَبْرُهُ سَقَطَ إِلَيْهِمْ ، فَمَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَتَلَهُ بِقَوْمٍ مِنْهُمْ ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو قَيْسِ بْنِ عَامِرٍ وَبَنُو قُعَيْنَ بْنِ عَامِرٍ وَهُمْ خَيْرُ الْقَوْمِ وَأَشْرَفُهُمْ ، فَأُصِيبَ مَنْ أُصِيبَ . فَلَمَّا أَقْبَلَ خَالِدٌ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « يَا خَالِدُ مَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا » ! قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ آيَاتُ سَمِعْتُهُنَّ أَنْزَلَتْ عَلَيْكَ . قَالَ : « وَمَا هِيَ » ؟ قَالَ : قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرُّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ . وَيَذْهَبَ غِيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ وَجَاءَنِي ابْنُ أُمِّ أَصْرَمَ فَقَالَ لِي : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقَاتِلَ . فَحِينَئِذٍ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَدَاهُمْ .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَعْبٌ قَالَ حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي نَصْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ مُسَاحِقٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ عَاصِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ وَأَمَرَنَا أَلَّا نَقْتُلَ أَحَدًا إِنْ رَأَيْنَا مَسْجِدًا أَوْ سَمِعْنَا أَذَانًا ، قَالَ وَكَعْبٌ وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارِ الرَّمَادِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نَوْفَلٍ عَنْ ابْنِ عَاصِمٍ هَذَا عَنْ أَبِيهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ : فَبَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ إِذَا بَفْتَى يَسُوقُ ظِعَائِنَ ؛ فَعَرَضْنَا عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَإِذَا هُوَ لَا يَعْرِفُهُ ؛ فَقَالَ : مَا أَنْتُمْ صَانِعُونَ بِي إِنْ لَمْ أُسْلِمَ ؟ قُلْنَا : نَحْنُ قَاتِلُوكَ . قَالَ : فَدَعَوْنِي الْحَقَّ هَذِهِ الظُّعَائِنُ ، فَتَرَكْنَاهُ ؛ فَأَتَى هُودَجًا مِنْهَا وَأَدْخَلَ رَأْسَهُ فِيهِ وَقَالَ : اسْلَمِي حَبِيشَ ، قَبْلَ نَفَادِ الْعِيشِ . فَقَالَتْ : وَأَنْتَ فَاسْلَمِ تَسْعًا وَتَرَا ، وَثَمَانِيًا تَتَرَى ، وَعَشْرًا أُخْرَى . فَقَالَ لَهَا :

فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ نَحْنُ جِيرَةٌ أَثِيبِي بَوْدٌ قَبْلَ إِحْدَى الْبَوَائِقِ
أَثِيبِي بَوْدٌ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى وَيَنْأَى أَمِيرٌ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِقِ

قَالَ : ثُمَّ جَاءَ فَضْرَبْنَا عَنَقَهُ . فَخَرَجَتْ مِنْ ذَلِكَ الْهُودَجِ جَارِيَةٌ جَمِيلَةٌ فَجَنَّاتٌ¹ عَلَيْهِ ، فَمَا زَالَتْ تَبْكِي حَتَّى مَاتَتْ .

[حديث خالد للنبي عن غزوته بني جذيمة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وعمرو بن عبد الله العتكي قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال : يُروى أَنَّ خالد بن الوليد كان جالساً عند النبي ﷺ ، فسُئِلَ عن غزوته بني جَذِيمَةَ فقال : إِنَّ أذن رسول الله ﷺ تَحَدَّثْتُ . فقال : «تَحَدَّثْ» . فقال : لقيناهم بالغُمَيْصَاء عند وجه الصبح ، فقاتلناهم حتى كاد قرنُ الشمس يَغِيبُ ، فَمَنَحَنَا اللهُ أَكْثَافَهُمْ فَتَبِعْنَاهُمْ نَطْلِبُهُمْ ، فإذا بغلام له ذوائبُ على فرس ذُنُوبٌ¹ في أَخْرِيَّاتِ القوم ، فبَوَّأتُ² له الرمح فوضعتُه بين كَتْفَيْهِ ؛ فقال : لا إِلَهَ ، فقبضتُ عنه الرَّمْحَ ؛ فقال : إلَّا اللَّاتُ أَحْسَنَتْ أَوْ أَسَاءَتْ . فهِمَّسْتُ³ هَمْسَةً أَذْرَيْتُهُ وَقَيْدًا⁴ ؛ ثم أَخَذْتُهُ أَسِيرًا فَشَدَدْتُهُ وَثَاقًا ؛ ثم كَلَّمْتُهُ فلم يَكَلِّمْني ، واستخبرته فلم يُخْبِرني . فلَمَّا كان ببعض الطريق رأى نِسْوةً من بني جَذِيمَةَ يسوقُ بهنَّ المسلمون ، فقال : أيا خالد ، قلتُ : ما تشاء ؟ قال : هل أنت واقفي على هؤلاء النسوة ؟! فَأَتَيْتُ على أصحابي ففعلتُ ، وفيهن جارية تُدعى حُبَيْشَةَ ؛ فقال لها : ناوليني يدك فناولته يدها في ثوبها ؛ فقال : اسلمي حبيش ، قبل نفاذ العيش . فقالت : حُيِّتَ عَشْرًا ، وتسعاً وترًا ، وثمانياً تَتْرَى . فقال :

[من الطويل]

أَرَيْتَكَ إِنْ طَالَبْتُكُمْ فوجدتكم	بَحْلِيَّةً أَوْ أَدْرَكْتُكُمْ بالخَوَاتِقِ
أَلَمْ يَكُ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عاشقٌ	تَكَلَّفَ إدلاجَ السُّرى والودائِقِ
وقد قلتُ إذ أهلي لأَهْلِكَ جيرةٌ	أُثْبِي بُوْدٌ قبل إحدى الصَّعَاتِقِ
أُثْبِي بُوْدٌ قبل أَنْ تَشْحَطَ النوى	وينأى أميرٌ بالحبيبِ المَفَارِقِ
فإِنِّي لَا ضِيْعَتُ سِرًّا أَمَاتِي	ولا راقٍ عيني بعد عينك رائقٌ ⁵
[سوى أَنَّ ما نال العشيرةَ شاغلٌ]	عن الودِّ إلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامِقُ

فلَمَّا جاء على حاله تلك قَدَمَتُهُ فَضْرِبُ عُنُقِهِ . فَأَقْبَلَتِ الجاريةُ ووضعتُ رَأْسَهُ في حِجْرِهَا وجعلتُ تَرَشُّفُهُ وتقول :

[من الطويل]

لا تَبْعَدَنَّ يا عمرو حَيًّا وَهَالِكًا فحقَّ بحسن المدح مثلك من مثلي

1 ذنوب : وافر الذنب .

2 بَوَّأتُ الرمح : سدَّته .

3 همسه : عصره .

4 الوقيد : المشرف على الموت .

5 في هذا البيت والذي يليه إقواء فلعلَّهما أضيفا إلى الأبيات المتقدمة .

لا تَبْعَدَنَّ يا عمرو حَيًّا وَهالِكًا فقد عشتَ محمودَ الثَّنا ماجدَ الفعلِ
فَمَنْ لَطِيفُ الدَّيْلِ تُشَجَّرُ بِالْقَنَا وللْفَخْرِ يوماً عندَ قَرَقَرَةِ البُزْلِ
وجعلتَ تبكي وتُرَدِّدُ هذه الأبياتِ حتى ماتت وإنَّ رأسَه لفي جِجْرَها . فقال رسولُ
الله ﷺ : «لقد رُفِعَتْ لي يا خالد وإنَّ سبعينَ مَلَكًا لَمُطِيفُونَ بكِ يحضُّونَكَ على قتلِ عمرو
حتى قتلته» .

[طرب أبي السائب المخزومي]

أخبرني مُحَمَّدُ بنُ العَبَّاسِ الزُّيْدِيُّ قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى ثعلب قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ
قال حَدَّثَنِي عبدُ اللهِ بنُ المُنْذِرِ عن صفِيَّةِ بنتِ الزُّبَيْرِ بنِ هِشَامٍ قالت : كانَ أَبُو السَّائِبِ
المَخْزُومِيُّ رَجُلًا صَالِحًا زَاهِدًا مُتَقَلِّلاً يَصُومُ الدَّهْرَ ، وَكَانَ أَرْقَ خَلَقَ اللهُ وَأَشَدَّهُمْ غَزَلًا . فوجَّهَ
إِبنَهُ يوماً يَأْتِيهِ بِمَا يُفْطِرُ عَلَيْهِ ، فَأَبْطَأَ الْغَلَامُ إِلَى الْعَتَمَةِ . فَلَمَّا جَاءَ قَالَ لَهُ : يا عَدُوَّ نَفْسِهِ ، ما
أَخْرَكَ إلى هَذَا الوَقْتِ ؟ قال : جُرْتُ بِبَابِ بَنِي فَلانَ فَسَمِعْتُ مِنْهُ غِنَاءً فَوَقَفْتُ حَتَّى أَخَذْتُهُ .
فقال : هَاتِ يا بُنَيَّ ، فوالله لئن كُنْتَ أَحْسَنْتَ لِأَحِبِّونِكَ ، وَلَئِنْ كُنْتَ أَسَأْتَ لِأَضْرَبِكَ .
فاندفعَ يَغْنِي بِشعرٍ كَثِيرٍ :

وَلَمَّا عَلَوْا شَغْبًا تَبَيَّنَتْ أَنَّهُ تَقَطَّعَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ علائقي
فَلَا زِلْنَ حَسْرَى ظُلْعًا لِمَ حَمَلْنَهَا إلى بَلَدٍ ناءٍ قَلِيلِ الْأَصَادِقِ
فلم يَزَلْ يَغْنِيهِ إلى نِصفِ اللَّيْلِ . فقالت له زوجته : يا هَذَا ، قد انتصفَ اللَّيْلُ وما أَفْطَرْنَا .
قال لها : أَنْتِ طالِقٌ إِنْ كانَ فَطُورُنَا غَيْرَهُ . فلم يَزَلْ يَغْنِيهِ إلى السَّحَرِ . فَلَمَّا كانَ السَّحَرُ قالت له
زوجته : هَذَا السَّحَرُ وما أَفْطَرْنَا ؛ فقال : أَنْتِ طالِقٌ إِنْ كانَ سَحُورُنَا غَيْرَهُ . فَلَمَّا أَصْبَحَ قال
لأَبْنِهِ : خُذْ جُبَّتِي هَذِهِ وَأَعْطِنِي خَلَقَكَ لِيَكُونَ الْحِباءُ فَضْلًا ما بَيْنَهُما . فقال له : يا أَبَتِ ، أَنْتِ
شَيْخٌ وَأَنَا شَابٌّ وَأَنَا أَقْوَى على البَرْدِ مِنْكَ . قال : يا بُنَيَّ ، ما تَرَكَ صَوْتُكَ هَذَا لِلْبَرْدِ عَلَيَّ سَبِيلًا
ما حَيَّيْتُ .

[شعر لسليمان بن أبي دباكل]

أخبرني وَكَيْعٌ قال أَنشَدَنَا أَحْمَدُ بنُ يَزِيدَ الشَّيْبَانِيُّ عن مَصْعَبِ الزُّبَيْرِيِّ لسليمان بن أبي
دُبَاكِلٍ قال :

فَهَلَّا نَظَرْتَ الصَّبْحَ يا بَعْلَ زَيْنَبٍ فَتَقْضِي لُباناتُ الحَبِيبِ المِفارِقِ
يَرُوحُ إِذا يُمَسِّي حَنِينًا وَيَعْتَدِي وتهجِيرُهُ عندَ احتدامِ الودائِقِ
فَطَرُ جَاهِدًا أَوْ كُنْ حَلِيفًا لَصَخْرَةٍ مُمْنَعَةٍ في رَأْسِ أَرْعَنَ شَاهِقِ

فَمَا زَالَ هَذَا الدَّهْرُ مِنْ شَوْءٍ صَرَفَهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْعَاشِقِينَ الْأَوَامِقِ
فَيُبْعِدُنَا مِمَّنْ نُرِيدُ اقْتِرَابَهُ وَيُدْخِلُنِي إِلَيْنَا مِنْ نُحْبِّ نُفَارِقُ¹
وَلَمَّا عَلَوْا شَغْبًا تَبَيَّنَتْ أَنَّهُ تَقَطَّعَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ عَلَائِقِي
فَلَا زِلْنَ حَسْرَى ظُلُّعًا لِمَ حَمَلْنَهَا إِلَى بَلَدٍ نَاءٍ قَلِيلِ الْأَصَادِقِ

[110] - ذكر مُتَيْمِ الهشامية وبعض أخبارها

كانت مُتَيْمٌ صفراءَ مولدةً من مُولِّداتِ البصرة ، وبها نشأت وتَأدَّبَتْ وَغَنَتْ . وأخذتُ
عن إسحاق وعن أبيه من قبله وعن طبقتهما من المغنين .
[مغنية شاعرة]

وكانت من تخريج بَذَلٍ وتعليمها . وعلى ما أخذتُ عنها كانت تَعْتَمِدُ . فاشتراها علي بن
هشام بعد ذلك ، فأزادته أخذاً مِّنْ كان يغشاه من أكابر المغنين . وكانت من أحسن الناس
وجهاً وغناءً وأدباً . وكانت تقول الشعر ليس ممَّا يُسْتَجَادُ ، ولكنه يُسْتَحْسَنُ من مثلها .
وحَظِيَّتْ عند علي بن هشام حُظوةً شديدة ، وتقدَّمتْ على جواريه جُمَعَ عنده ، وهي أُمُّ وَلَدِهِ
كلهم .

وقال عبد الله بن المعتز فيما أخبرني عنه محمد بن إبراهيم قُرَيْشٍ قال أخبرني الحسن بن
أحمد المعروف بابي عبد الله الهشامي قال :
[كانت مولاة للبانة]

كانت مُتَيْمٌ لِلْبَانَةِ بنت عبد الله بن إسماعيل المراكبي مولى عَرِيبٍ ، فاشتراها علي بن
هشام منها بعشرين ألف درهم وهي إذ ذاك جُورِيَّةٌ ، فولدت له صفية وتكنى أُمُّ
العباس ، ثم ولدت محمداً ويعرف بابي عبد الله ، ثم ولدت بعده ابناً يقال له هارون
ويعرف بابي جعفر ، سماه المأمون وكناه لما وُلِدَ بهذا الاسم والكنية . قال : ولما توفِّي
علي بن هشام عَتَقَتْ .
[كانت تغني المأمون والمعتصم]

وكان المأمون يبعث إليها فتجيئه فتغنيه . فلما خرج المعتصم إلى سُرٍّ مَنْ رأى أُرسل
إليها فأشخصها وأنزلها داخلَ الجَوْسَقِ في دار كانت تسمى الدُمَشْقِيَّ وأقطعها غيرها .
وكانت تستأذن المعتصم في الدخول إلى بغداد إلى ولدها فتزورهم وترجع ، ثم ضمها لما
خرجت قَلَمٌ . وقَلَمٌ جاريةٌ كانت لعلِّي بن هشام . وكانت مُتَيْمٌ صفراءَ حلوةَ الوجه .
[فضلها عبد الله بن العباس على نفسه]

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أَنَّ الحسين بن يحيى بن أَكْثَمَ حَدَّثَهُ عن الحسن بن
إبراهيم بن رياح قال : سألتُ عبد الله بن العباس الرِّيعِيَّ : مَنْ أَحْسَنُ من أَدْرَكَتْ صَنَعَةً ؟

قال : إسحاق . قلت : ثم من ؟ قال : علويه . قلت : ثم من ؟ قال : متيم . قلت : ثم من ؟ قال : ثم أنا . فعجبت من تقديمه متيم على نفسه ؛ فقال : الحق أحق أن يتبع .
أخبرني محمد بن الحسن قال حدثنا عمر بن شبة قال : سئل عبد الله بن العباس الربيعي عن أحسن الناس غناء . فذكر مثل هذه الحكاية ، وزاد فيها أن قال له : ما أحسن أن أصنع كما صنعت متيم في قوله :

فلا زلن حسرى ظلعا لم حملنها

ولا كما صنع علويه في قول الصمة :

فواحسرتي لم أقصر منك لبانة ولم أتمتع بالجوار وبالقرب
قال : فأين عمرو بن بانة ؟ قال : عمرو لا يضع نفسه في الصنعة هذا الموضع ، ولكنه صنع لنا في هذا الغناء .

نسبة صوت علويه

صوت

[من الطويل]

فواحسرتي لم أقصر منك لبانة ولم أتمتع بالجوار وبالقرب
يقولون هذا آخر العهد منهم فقلت وهذا آخر العهد من قلبي
ألا يا حمام الشعب شعب مراهق سقتك الغواصي من حمام ومن شعب
الشعر للصمة بن عبد الله القشيري . والغناء فيه لعلويه ، ثقیل أول مطلق في مجرى
الوسطى . وفيه لمخارق خفيف رمل بالوسطى ، أوله : «ألا يا حمام الشعب» ثم الثاني ثم
الأول . وذكر حبش أن فيه لإسحاق ثاني ثقیل بالنصر .
[أخذ إبراهيم بن المهدي منها صوتاً]

وقال ابن المعتز أخبرني الهشامي قال : كانت متيم ذات يوم جالسة بين أيدي المعتصم
ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضر ؛ فغنت متيم في الثقیل الأول :

لزينب طيف تغتريني طوارقه هذوا إذا ما النجم لاحت لواحقه
فأشار إليها إبراهيم أن تعيده ؛ فقالت متيم للمعتصم : يا سيدي ، إبراهيم يستعيني
الصوت وكأنه¹ يريد أن يأخذه ؛ فقال لها : لا تعيده . فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً

مجلس المعتصم ومتيم غائبة ، فانصرف إبراهيم بعد حين إلى منزله ومتيم في منزلها بالميدان¹ وطريقه عليها وهي في منظر لها مشرفة على الطريق وهي تغني هذا الصوت وتطرّحه على جوارى علي بن هشام ؛ فتقدم إلى المنظر وهو على دابته فتناول حتى أخذ الصوت ، ثم ضرب باب المنظر بمقرعته وقال : قد أخذناه بلا حمدك .

[طلبها المأمون من علي بن هشام فلم يرض]

وقال ابن المعتز : وحدثت أن المأمون سأل علي بن هشام أن يهبها له وكان بغنائها معجباً ؛ فدافعه بذلك ولم يكن له منها ولد . فلما ألح المأمون في طلبها حرص علي على أن تعلق منه حتى حبلت ويئس المأمون منها . فيقال إن ذلك كان سبباً لغضبه عليه حتى قتله . وحدثني سليمان الطيال أنه رأى متيم في بعض مجالس المعتصم يمازحها ويجذ بردائها .

[أراد إسحاق انتحال صوت لها]

وحكى علي بن محمد الهشامي قال : أهدى إلى علي بن هشام برذون² أشهب قرطاسي³ وكان في النهاية من الحسن والفراة ، وكان علي به معجباً ، وكان إسحاق يشتبه شهوة شديدة ، وعرض لعلّي بطلبه مراراً فلم يرض أن يعطيه له . فسار إسحاق إلى علي يوماً بعقب صنعة متيم « فلا زلن حسرى » فاحتبسه علي وبعث إلى متيم أن تجعل صوتها هذا في صدر غنائها ففعلت ، فأطرب إسحاق إطراباً شديداً ، وجعل يسترده ، فترده وتستوفيه ليزيد في إطرابه إسحاق وهو يصفى إليها ويفهمه حتى صح له . ثم قال لعلّي : ما فعل البرذون الأشهب ؟ قال : على ما عهدت من حسنه وفراسته . قال : فاختر الآن مني خلّة من اثنتين : إما أن طبت لي نفساً به وحملتني عليه ، وإما أن أبيت فادعي والله هذا الصوت لي وقد أخذته ، أفتراك تقول : إنه لمتيم وأقول : إنه لي ويؤخذ قولك ويترك قولي ؟ ! قال : لا والله ما أظن هذا ولا أراه ؛ يا غلام قد³ البرذون إلى منزل أبي محمد بسرجه ولجامه ، لا بارك الله له فيه ! .

قال علي بن محمد وحدثني أحمد بن حمدون : أن إسحاق قال لمتيم لما سمع هذا الصوت منها : أنت أنا فأنا من يريد أنها قد حلت محله وساوته .

1 الميدان : محلة ببغداد .

2 قرطاسي : خالص البياض .

3 ل : قدم .

قال علي بن محمد وقال جدِّي أبو جعفر : كانت متيم تقول : [من الطويل]

صوت

فلا زلن حسرى ظلّعا لم حملنها

الرمل كله .

[علي بن هشام وعتابه بذل جاريته]

وحدّثني الهشاميّ قال مدّ عليّ بن هشام يده إلى بذل جاريته في عتابٍ يعاتبها ؛ ثم ندِم عليّ فعله ذلك ، ثم أنشأ يقول :

[من الطويل]

فليت يدي بانت غداة مددتها إليك ولم ترجع بكفّ وساعد

وغنّت متيم جاريته فيه في الثقل الأول ؛ فكان يقال لبذل جارية عليّ بذل الصغيرة .

[ضرب موسوس بذل بالعود فكان سبب موتها]

وحدّثني الهشاميّ قال : كان سبب موت بذل هذه أنّها كانت ذات يوم جالسةً عند المأمون فغتنه ، وكان حاضراً في ذلك المجلس موسوسٌ يُكنى بأبي الكركدن من أهل طبرستان يضحك منه المأمون ، فعثوا به فوثب عليهم وهرب الناس من بين يديه فلم يبق أحدٌ حتى هرب المأمون ، وبقيت بذل جالسةً والعود في جحرها ، فأخذ العود من يدها وضرب به رأسها فشجّها في شابورتها اليمنى ؛ فانصرفت وحمت ، وكان سبب موتها .

[نزوّج المعتصم بذل الصغيرة]

وحدّثني الهشاميّ قال : لما مات عليّ بن هشام ومات المأمون ، أخذ المعتصم جّواريّ عليّ بن هشام كلّهنّ فأدخلهنّ القصر ، فنزوّج ببذل المغنية وبقيت عنده إلى أن مات ؛ فخرجت بذل الكبيرة والباقون إلّا بذل الصغيرة لأنّها كانت حرّمت فلم يُخرجوها . ويقال : إنّ لم يكن في المغنين أحسن صنعةً من علّويه وعبد الله بن العباس ومتيم .

[شعر ابن الجهم في متيم الهشامية وأولادها]

وفي أولادها يقول عليّ بن الجهم :

[من البسيط]

بني متيم هل تدرون ما الخير وكيف يُستَر أمرٌ ليس يستَتر
حاجيتكم من أبوكم يا بني عصب شتى ولكنما للعاهر الحجر¹

1 إشارة إلى الحديث : «الولد للفراس وللعاهر الحجر» .

[غضبت من علي بن هشام وصالحها بشعر]

قال : وحدّثني جدّي قال : كلّم عليّ بن هشام متيّم فأجابته جواباً لم يرّضه ، فدفع يده في صدرها ، فغضبت ونهضت ، فتناقلت عن الخروج إليه . فكتب إليها : [من الطويل]

صوت

فليت يدي بانة غداة مددتها إليك ولم ترجع بكفّ وساعد
فإن يرجع الرحمن ما كان بيننا فلست إلى يوم التّنادي بعائد
غنّته متيّم خفيف رمل بالنصر .

[خصام بينها وبين عليّ بن هشام]

قال : وعُتبت عليه مرّة فتمادى عتّبها ، وترضاها فلم ترّض ، فكتب إليها : الإدلال يدعو إلى الإملال ، وربّ هجر دعا إلى صبر ، وإنما سُمّي القلب قلباً لتقلّبه . ولقد صدق العباس بن الأحنف حيث يقول¹ :

ما أراني إلّا ساهجر من لي سَ يراني أقوى على الهجران
قد حدّا بي إلى الجفاء وفائي ما أضرّ الوفاء بالإنسان²
قال : فخرجت إليه من وقتها ورضيت .

[تهدي للهشامي نقاباً بحه]

وحَدّثني الهشاميّ قال : كانت متيّم تُحبّني حبّاً شديداً يتجاوز محبة الأخت لأخيها ، وكانت تعلم أنّي أحبّ النّبيّ ، فكانت لا تزال تبعث إليّ منه . فإني لأذكر في ليلة من الليالي في وقت السّحر إذا أنا بياي يَدَقّ . فقيل : من هذا ؟ فقالوا : خادم متيّم يريد أن يدخل إلى أبي عبد الله . فقلت : يدخل . فدخل ومعه إليّ صينيّة فيها نبيّ ؛ فقال لي : تُقرّئك السلام وتقول لك : كنتُ عند أمير المؤمنين المعتمد بالله فجاءوه بنبيّ من أحسن ما يكون ؛ فقلتُ له : يا سيّدي ، أطلب من أمير المؤمنين شيئاً ؟ فقال لي : تطلين ما شئت . قالت : يُطعمني أمير المؤمنين من هذا النّبيّ . فقال لسمانة³ : اجعل من هذا النّبيّ في صينيّة واجعلوها قدّام متيّم ؛ فأخذته وذللّته لك وقد بعثت به إليك معي ، ثمّ دفعت إليّ دراهم وقالت : هبّ للحراس هذه الدّراهم لكي يفتحوا الدّروب لك حتى تصير به إليه .

1 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 298 .

2 رواية صدر البيت في الديوان : * ملّني واثقاً بحسن وفائي * .

3 هو سمانة الخادم ويدعى مسرور سمانة كما في الطبري .

ثم حدثنا الهشامي قال¹ : بعث علي بن هشام إلى إسحاق فجاء ، فأخرج متيم جاريته إليه ؛ فغنت بين يديه :

فلا زلنَ حَسْرَى ظُلْعاً لِمَ حَمَلْنَهَا إلى بَلَدٍ ناءٍ قَلِيلِ الْأَصَادِقِ

فاستعاده إسحاق واستحسنه ، ثم قال له : بكم تشتري مني هذا الصوت ؟ فقال له علي بن هشام : جاريتي تصنع هذا الصوت وأُشتره منك ؟ قال : قد أخذته الساعة وأدعيه ، فقول من يُصدّق ، قولي أو قولك ! فافتداه منه ببرذون اختاره له .

[صوت بمائة ألف دينار]

وحدثني الهشامي قال : سمع علي بن هشام قُدامَ المأمون من قَلَمٍ جارية زُبَيْدة صوتاً عجيباً ، فرشا لمن أخرجه من دار زبيدة بمائة ألف دينار حتى صار إلى داره وطُرح الصوتُ على جواريه . ولو علمت بذلك زُبَيْدة لاشتدَّ عليها ، ولو سألتها أن توجهَ به ما فعلت .

[متيم في كتاب إسحاق]

وحدثني يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه قال : لما صنعت متيم اللحن في قوله :

فلا زلنَ حَسْرَى ظُلْعاً لِمَ حَمَلْنَهَا

أعجب به علي بن هشام ، وأسمعه إسحاق فاستحسنه وقال : من أين لك هذا ؟ فقال : من بعض الجوّاري . فقال : إنه لعريب ؛ ولم يزل يستعيده حتى قال : إنه لمتيم ؛ فأطرق . وكان متحاملاً على المغنين شديد النفاسة عليهم كثير الظلم لهم مُسْرِفاً في حَطِّ درجاتهم ، وما رأيته في غنائه ذكر لعلويه ولا مخارق ولا عمرو بن بانة ولا عبد الله بن عباس ولا محمد بن الحارث صوتاً واحداً ترفعاً عن ذكرهم مُنتصباً² لهم ، وذكر في آخر الكتاب قوله :

فلا زلنَ حَسْرَى ظُلْعاً لِمَ حَمَلْنَهَا إلى بَلَدٍ ناءٍ قَلِيلِ الْأَصَادِقِ

ووقع تحته «لُتيم». وذكر آخر كل صوت في الكتاب ونسب إلى كل مغنٍ صوته غير مُخَارِقٍ وَعَلَوِيهِ وعَمْرُو بن بانة وعبد الله بن عباس فما ذكرهم بشيء .

[أعجبت بها شاهر جدة علي بن هشام]

أخبرنا أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال قال لي علي ابن هشام :

1 تقدّم هذا الخبر مفصلاً برواية الهشامي أيضاً .

2 منتصباً لهم : مظهراً العداوة .

لَمَّا قَدِمْتُ عَلَى شَاهِكِ جَدَّتِي مِنْ خَرَّاسَانَ ، قَالَتْ : اَعْرِضْ جَوَارِيكَ عَلَيَّ ، فَعَرَضْتُهُنَّ عَلَيْهَا .
ثُمَّ جَلَسْنَا عَلَى الشَّرَابِ ، وَغَتَّنا مُتَمِّمٌ . وَأَطَالَتْ جَدَّتِي الْجُلُوسَ فَلَمْ أَنْبَسِطْ إِلَى جَوَارِيٍّ كَمَا
كَنتُ أَفْعَلُ ؛ فَقُلْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

صوت

أَنْبَقَى عَلَى هَذَا وَأَنْتِ قَرِيْبَةٌ وَقَدْ مَنَعَ الزُّوَارُ بَعْضَ التَّكَلُّمِ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا سَلَامَ مُودِّعٍ وَلَكِنْ سَلَامٌ مِنْ حَبِيبٍ مُتَمِّمٍ

وَكُتِبَتْهُمَا فِي رُقْعَةٍ وَرَمِيتُ بِهَا إِلَى مُتَمِّمٍ ؛ فَأَخَذَتْهَا وَنَهَضَتْ إِلَى الصَّلَاةِ ، ثُمَّ عَادَتْ وَقَدْ
صَنَعَتْ فِيهِ اللَّحْنَ الَّذِي يُغْنَى فِيهِ الْيَوْمَ ، فَغَنَّتْ . فَقَالَتْ شَاهِكُ : مَا أَرَانَا إِلَّا قَدْ ثَقُلْنَا عَلَيْكُمْ
الْيَوْمَ ؛ وَأَمَرْتُ الْجَوَارِيَ فَحَمَلْنَ مِحْفَتَهَا ، وَأَمَرْتُ بِجَوَائِزَ لِلْجَوَارِي وَسَاوَتْ بَيْنَهُنَّ ، وَأَمَرْتُ
لِمَتَمِّمٍ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

[أَوَّلُ مَنْ عَقَدَ زَنَارًا]

وَأَخْبَرَنِي قَالَ : أَوَّلُ مَنْ عَقَدَ مِنَ النِّسَاءِ فِي طَرَفِ الْإِزَارِ زَنَارًا وَخِيطَ إِبْرَيْسَمٌ¹ ثُمَّ تَجَعَلَهُ فِي
رَأْسِهَا فَيُثْبِتُ الْإِزَارُ وَلَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يَزُولُ مُتَمِّمٌ .

[رَأَاؤُهَا مَوْلَاهَا]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ جَحْظَةَ قَالَ حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ : مَرَّتْ مُتَمِّمٌ فِي نِسْوَةٍ
وَهِيَ مُسْتَخْفِيَةٌ بِقَصْرِ عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ بَعْدَ أَنْ قُتِلَ ، فَلَمَّا رَأَتْ بَابَهُ مُغْلَقًا لَا أَنْيْسَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ
عَلَاهُ التَّرَابُ وَالْعُبْرَةُ ، وَطَرَحَتْ فِي أَفْنِيَّتِهِ الْمَزَابِلُ ، وَقَفَتْ عَلَيْهِ وَتَمَثَّلَتْ : [مِنْ السَّرِيعِ]

صوت

يَا مَنْزِلًا لَمْ تَبَلْ أَطْلَالُهُ حَاشَا لِأَطْلَالِكَ أَنْ تَبْلَى
لَمْ أَبْكْ أَطْلَالِكَ لَكُنَّيْ بَكَيْتُ عَيْشِي فِيكَ إِذْ وَلَّيْ
قَدْ كَانَ لِي فِيكَ هَوًى مَرَّةً غَيْبَهُ التُّرْبُ وَمَا مُلَأَ
فَصَرْتُ أَبْكِي جَاهِدًا فَقَدَهُ عِنْدَ آذْكَارِي حَيْثُمَا حَلَا
فَالْعَيْشُ أَوْلَى مَا بَكَاهُ الْفَتَى لَا بَدَّ لِلْمَحْزُونِ أَنْ يَسْلَى

فيه رمل بالوسطى لابن جامع . قال : ثم بكت حتى سقطت من قامتها ، وجعل النسوة يُنْشِدْنَها وَيَقُلْنَ : الله الله في نفسك ! فَإِنَّكَ تُؤْخِذِينَ الْآنَ ، فبعد لأيٍ ما حُمِلَتْ تَتَهَادَى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضع .

[أمرها المعتصم بالغناء فعرضت بمولاها]

نسختُ من كتاب أبي سعيد السُّكَّرِيِّ : حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيِّ قَالَ : قَالَتْ لِي مَتِيمٌ : بَعَثَ إِلَيَّ الْمُعْتَصِمُ بَعْدَ قُدُومِهِ بِبَغْدَادَ ، فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ ، فَأَمَرَنِي بِالْغِنَاءِ فَغَنَيْتُ :

[من المجتث]

هل مُسَعِدٌ لبكاءٍ بعبرةٍ أو دماءٍ

فقال : اَعْلِي عَنِ هَذَا الْبَيْتِ إِلَى غَيْرِهِ ؛ فَغَنَيْتُهُ غَيْرَهُ مِنْ مَعْنَاهُ ؛ فَلَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ : غَنِّيْ غَيْرَ هَذَا . فَغَنَيْتُ فِي لَحْنِي :

[من الطويل]

أُولَئِكَ قَوْمِي بَعْدَ عَزٍّ وَمَنْعَةٍ تَفَانَوْا وَإِلَّا تَذَرِفُ الْعَيْنُ أَكْمَدِ

فبَكَى وَقَالَ : وَيَحِكُ لَا تُغْنِيَنِي فِي هَذَا الْمَعْنَى شَيْئاً أَلْبَتَّةَ . فَغَنَيْتُ فِي لَحْنِي ¹ :

[من البسيط]

لَا تَأْمَنُ الْمَوْتَ فِي حِلٍّ وَفِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَابِيَا تَغْشَى كُلَّ إِنْسَانٍ

وَاسْلُكْ طَرِيقَكَ هَوْنًا غَيْرَ مَكْتَرٍ فَسَوْفَ يَأْتِيكَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي ²

فقال : وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ إِنَّمَا غَنَيْتَ بِمَا فِي قَلْبِكَ لِصَاحِبِكَ وَأَنَّكَ لَمْ تُرِيدْ بِنِي لَمَثَلْتُ بِكَ ؛ وَلَكِنْ خَذُوا بِيَدِهَا فَأَخْرِجُوهَا ، فَأَخَذُوا بِيَدِي فَأَخْرِجْتُ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من المجتث]

هل مُسَعِدٌ لبكاءٍ بعبرةٍ أو دماءٍ

وذا لفقد خليلٍ لِسَادَةٍ نُجَبَاءٍ

الشعر لمراد شاعرة علي بن هشام ترثيه لما قتله المأمون . والغناء لمتيم . ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى .

1 رواية البيهقي في اللسان :

لَا تَأْمَنُ الْمَوْتَ فِي حِلٍّ وَفِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَابِيَا تَوَافِي كُلَّ إِنْسَانٍ
وَاسْلُكْ طَرِيقَكَ فِيهَا غَيْرَ مُحْتَشِمٍ حَتَّى تَلَاقِي مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي

2 يعني لك الماني : يقدر لك المقدّر .

منها :

* ذهبْتُ من الدُّنيا وقد ذهبْتُ مِنِّي¹ *

وقد أخرج في أخبار إبراهيم بن المهدي لآته من غنائه وشعره ، وشُرِّحتْ أخبارُهُ فيه . ولحنه رملٌ بالوسطى .

[من الطويل]

ومنها :

صوت

أولئكَ قومي بعد عزٍّ ومنعةٍ تفانوا وإلاَّ تَذَرِفِ العينُ أَكْمَدِ
وقد أخرج في أخبار أبي سعيد مولى فائد والعَبَلِيّ وغنّيا فيه من مرثيئهما في بني أُمّية .
ولحنُ متيمٍّ هذا الذي غنّت فيه المعتصمُ ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى .

[من البسيط]

ومنها :

صوت

* لا تأمّن الموتَ في حلٍّ وفي حرَمٍ *

ذكر الهشاميُّ أنّه ممّا وجدّه من غناء متيمٍّ ، غير أنّ لها لحناً فيه يُذكر في موضع غير هذا على شرحٍ إن شاء الله تعالى ، وإنّما ولّهُتْ صوتاً تولّعتْ به وغنّته فنسبه إليها .

[..... أحمد بن هشام يقول لها عواذل اشتراها من إنسان مدني . . . ، فيه صوتين

فأشتهيها منهما فأخذتهما بحضرتي ، ثم سمعتُ . . . بيتين هما لها أحدهما : [من السريع]

يا منزلاً لم تبَلْ أَطلالُهُ حاشا لأَطلالِكَ أن تبَلَى
لم أبكِ أَطلالِكَ لكنني بكيتُ عيشي فيكَ إذ ولّى

والآخر :

أمسح الربع بخدّي إذ مشى فيه الخليلُ
وعلى مثلك يبكي أيُّها الربعُ المحيلُ
عرفتُ عيني الطلول فلها دمعي يسيلُ
وبكتُ لي إذ رأتني خالياً فيها أجولُ²

1 لم يذكر هذا الصوت فيما تقدّم .

2 ما بين معكوفين زيادة من ل . وما زال الخبر ناقصاً من أوله .

[تغني نفسها]

وأخبرني قال : كنّا في مجلسنا نياماً . فلمّا كان مع الفجر إذا متيمٌ قد دخلت علينا وقالت :
أطعموني شيئاً ؛ فأخرجوا إليها شيئاً تأكله ، فأكلت ، ودعتُ بنيذٍ وابتدأتِ الشرب ، ودعتُ
بعودٍ فاندفعت تغني لنفسها وتشرب . وكان ممّا غنّت : [من البسيط]

كيف الثوّاء بأرض لا أراك بها يا أكثرَ الناس عندي منّةً ويذا
خفيف رمل . وقال : ما رأيتُ أحداً من المغنين والمغنيات إذا غنّوا لأنفسهم يكادون
يغنون إلا خفيف رمل .
[نوحها على سيدها]

وأخبرني قال حدثني بعض أهلها قال : لما أضيئنا بعلي بن هشام ، جاء النوائح ، فطرح
بعض من حضر من مغنياته عليهن نوحاً من نوح متيم ، وكان حسناً جيّداً ، فأبطأ نوح النوائح
اللاتي جئن لحسنه وجودته . وكانت زين حاضرةً فاستحسنته جدّاً ، وقالت : رضي الله عنك
يا متيم ! كنتِ علماً في السرور ، وأنتِ علم في المصائب .
وأخبرني قال : إني لأذكر من بعض نوحها : [من الخفيف]

لعلي وأحمد وحسين ثم نصر وقبله للخليل

هزج .

[أرسلت لها مؤسسة هدية يوم حجامتها]

قال ابن المعتز : وأخبرني الهشامي قال : وجهت مؤسسةً جاريةً المأمون إلى متيم جارية علي بن
هشام في يومٍ احتجمت فيه مخنقة¹ في وسطها حبة² لها قيمة جليلة كبيرة وعن يمين الحبة
ويسارها أربع يواقيت وأربع زمرّدات وما بينها من شذور الذهب ، وباقي المخنقة قد طيب
بغالية .

وأخبرني قال : كانت متيمٌ يُعجبها البنفسج جدّاً ، وكان عندها أثرٌ من كلّ ريحان وطيب ،
حتى إنّها من شدة إعجابها به لا يكاد يخلو من كمّها الريحان ولا نراه إلا كما قُطِف من البستان .
[عرس في الجنة]

وقد أخبرني رحمه الله قال حدثنا أبو جعفر بن الدهقانة : أنّ جاريةً للمعتصم قالت له لما
مات متيم وإبراهيم بن المهدي وبذلّ يا سيدي ، أظنّ أنّ في الجنة عرساً ، فطلبوا هؤلاء إليه .
فنهاها المعتصم عن هذا القول وأنكره . فلمّا كان بعد أيام ، وقع حريقٌ في حجرة هذه القائلة

1 المخنقة : القلادة .

2 ل : حبة حنّاء ، والحنّاء : الحديقة .

فاحترق كلُّ ما تَمْلِكُهُ . وسمع المعتصمُ الجَلْبَةَ فقال : ما هذا ؟ فَأَخْبِرَ عنه ؛ فدعا بها فقال : ما قَصَّتُكَ ؟ فبكت وقالت : يا سيّدي ، آحترق كلُّ ما أملكه . فقال : لا تَجْزَعِي ، فإنّ هذا لم يحترق وإنّما استعاره أصحابُ ذلك العرس .
[أمرها المأمون بأن تجيز شعراً]

وقد ذكرتُ في متقدّم أخبار متيمّ أنّها كانت تقول الشعرَ ولم أذكر شيئاً . فمن ذلك ما أخبرنا به الحرّميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الحسن بن أحمد بن أبي طالب الديناريّ قال حدّثني الفضل بن العباس بن يعقوب قال حدّثني أبي قال : قال المأمون لمتيمّ جارية عليّ بن هشام : أجيّزي لي هذين البيتين :

تعالِيْ تكونُ الكُتُبُ بيني وبينكم ملاحظَةً نُومي بها ونُشيرُ
ورُسُلي بحاجاتي وهنّ كثيرةٌ إليك إشاراتٌ بها وزفيرُ

صوت

من المائة المختارة¹

[من البسيط]

إنّ العيونَ التي في طَرْفها مرضَ قَتَلْنَا ثم لم يُحْيَيْن قَتْلانا
يَصْرُغْنَ ذا اللَّبِّ حتى لا حَرَكَ له وهنّ أضعفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَنا
عروضه من البسيط . والشعر لجريّر . والغناء لابن مُحرّز . ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل . وفي هذه القصيدة أبياتٌ آخرُ تُغْنِي فيها الحانٌ سوى هذا اللحن ، منها قوله :

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

أَتَبِعْتُهُمْ مَقْلَةً إِنْسَانُهَا غَرِقُ هل ما تَرَى تاركٌ للعين إنسانا
إنّ العيونَ التي في طَرْفها مَرَضُ قَتَلْنَا ثم لم يُحْيَيْن قَتْلانا
[الغناء في هذين البيتين ثقيلٌ] أوّلُ مطلق بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

1 من قصيدة جريّر التي مطلعها (ديوان جريّر ص 490 ط . صادر) :

بأنّ الخليط ولو طوعت ما بانا وقطعوا من جبال الوصل أقرانا

ومنها أيضاً :

[من البسيط]

صوت

بَانَ الْأَخِلَاءُ وَمَا وَدَّعْتُ مَنْ بَانَا وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الْوَصْلِ أَرْكَانَا
 أَصْبَحْتُ لَا أَبْتَغِي مِنْ بَعْدِهِمْ بَدَلًا بِالذَّارِ دَارًا وَلَا الْجِيرَانِ جِيرَانَا
 وَصَرْتُ مَذَّعَ الْأَطْعَانِ ذَا طَرَبٍ مَرُوعًا مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ مِحْزَانَا
 فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِيِ وَالثَّالِثِ مِنَ الْأَيَّاتِ خَفِيفُ رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ . وَفِيهَا لِلْغَرِيزِ ثَانِي ثَقِيلُ
 بِالْبَنْصَرِ ، مِنْ رَوَايَةِ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ وَالْهَشَامِيِّ . وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ فِيهِ لِمَالِكٍ خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى ،
 وَلابْنِ سَرَجَسٍ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِيِ وَبَعْدَهُمَا :

أَتَبَعْتُهُمْ مَقْلَةً إِنْسَانُهَا غَرِقٌ

رَمَلٌ بِالْوَسْطَى . وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّ لَابْنَ مُحْرَزٍ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِيِ بَعْدَهُمَا «أَتَبَعْتُهُمْ مَقْلَةً» لِحَنَّا
 مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبَنْصَرِ ، وَذَكَرَ الْمَكِّيُّ أَنَّهُ لِمَعْبُدٍ .

* * * *

الفهرس

- [99] - أخبار الوليد بن يزيد ونسبه 5
- [100] - ذكر أخبار عمر الواديّ ونسبه 65
- [101] - أخبار أبي كامل 69
- [102] - أخبار يزيد بن ضبة ونسبه 72
- [103] - أخبار إسماعيل بن الهريذ 79
- [104] - نسب نابغة بني شيبان 81
- [105] - أخبار أبي دهل ونسبه 87
- [106] - أخبار حسين بن الضحّاك ونسبه 111
- [107] - أخبار أبي زكار الأعشى 175
- [108] - أخبار السيّد الحميريّ 177
- 109 - [أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة] 212
- [110] - ذكر مُتَمِّم الهشاميّة وبعض أخبارها 222